٢٢٢

كتاب تفسير للقاضي بيضاوي

٢٧

38

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتأمل
أكرمه الله تعالى بالزلفى والحسنى حرره الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين عفي عنهما

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء
فلم يجد به قديرا، وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا، ثم بين للناس ما نزل
إليهم حسب ما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب تذكيرا، فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات
هن أم الكتاب وأخر متشابهات هي رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا، وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا
الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا، ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها
ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا، فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه
رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا، فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه
وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا، وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا
وبعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع
وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية
والفنون الأدبية بأنواعها، ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين
وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراآت المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين
إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام، ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام، حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع
فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه
سبحانه وتعالى أقول وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل مسئول. **سورة فاتحة الكتاب مكية سبع آيات** وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه
فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة
معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء وسورة الكنز والوافية
والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها أو استحبابها فيها والشافية
والشفاء لقوله عليه الصلوة والسلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد التسمية دون أنعمت عليهم
ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة أو الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح أنها مكية

لقوله

لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص. **بسم الله الرحمن الرحيم** من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك
والشافعي رحمهما الله وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي رحمهما الله ولم ينص أبو حنيفة رحمه الله فيه
بشيء فظن أنها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن رحمه الله عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى ولنا أحاديث كثيرة منها
ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلوة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول
أم سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن أجلها
اختلف في أنها آية برأسها أو بما بعدها والإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق على إثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد
القرآن حتى لم تكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل
التسمية مبدأ له وذلك أولى من أن يضمر أبدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه أو ابتدائي لزيادة إضمار فيه وتقديم المعمول ههنا أوقع
كما في قوله تعالى بسم الله مجريها وقوله إياك نعبد لأنه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود فإن اسمه تعالى مقدم على
القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث إن الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ
فيه باسم الله فهو أبتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله أقرأ وهذا وما بعده إلى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا
كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسئل من فضله وإنما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية
والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند أصحابنا البصريين من الأسماء
التي حذفت أعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لأن من دأبهم
أن يبتدؤوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفهم على أسماء وأسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال والله أسماك
سمى مباركا آثرك الله به إيثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لأنه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين وأصله
وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل إعلاله ورد بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم
وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم إن أريد به اللفظ فغير المسمى لأنه يتألف من أصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف
الأمم والأعصار ويتعدد تارة ويتحد أخرى والمسمى لا يكون كذلك وإن أريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله
سبح اسم ربك المراد به اللفظ لأنه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب
أو الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما. وإن أريد به الصفة كما هو رأي الشيخ أبي الحسن الأشعري انقسم انقسام الصفة
عنده إلى ما هو نفس المسمى وإلى ما هو غيره وإلى ما ليس هو ولا غيره وإنما قال بسم الله ولم يقل بالله لأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه
أو للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الألف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله أصله إله فحذفت
الهمزة وعوض عنها الألف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع إلا أنه مختص بالمعبود بالحق والإله في أصله لكل معبود ثم غلب على المعبود
بالحق واشتقاقه من أله إلاهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من أله إذا تحير إذ العقول تتحير في معرفته أو من ألهت
إلى فلان أي سكنت إليه لأن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه وآلهه غيره أجاره إذ العائذ
يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه أو من أله الفصيل إذا أولع بأمه إذ العباد مولعون بالتضرع إليه في الشدائد أو من وله إذا تحير وتخبط عقله

وكأن اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على
آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على
كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار • وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به
ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قوله لا اله الا الله توحيدا مثل
لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا
والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار
امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله
في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول
المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة
وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر • الا لا بارك الله في سهيل • اذا ما الله
بارك في الرجال • الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف
يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي
التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك
انما يؤخذ باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص
بالمؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم
والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم
الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء
او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية
الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل
على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الآي والاظهر انه غير منصرف
وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا بما هو الاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف
ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره
الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره • الحمد لله • الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري
من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان
والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال • افادتكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا • فهو اعم منهما من وجه واخص
من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر ما شكر الله
من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل

على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه
الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال
وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام
وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة • رب العالمين • الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله
شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه
يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع
وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة
وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل
الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها
الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب
على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي
حال بقائها • الرحمن الرحيم • كرره للتعليل على ما سنذكره • مالك يوم الدين • قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرئ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه
من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف في الامر والنهي في المامورين من الملك
وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف
وملك مضافا بالرفع والنصب • ويوم الدين • يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة • ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا • اضاف
اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب
الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى
يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين
ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها وعاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق منه
بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات
لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني
والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع
لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين • اياك نعبد واياك نستعين • ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد
ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة
ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا
بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظم شانه وباهر سلطانه

ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون
السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب
الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد • ونام الخلي ولم ترقد • وبات وباتت له ليلة • كليلة ذي العائر الارمد •
وذلك من نبإ جاءني • وخبرته عن ابي الاسود • واياك ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم
والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارأيتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب
اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة
فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه
طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية
او غير ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه
عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ
ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها
ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد
غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادات لا من حيث انها عبادة صدرت
عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى
انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه
عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه
ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله
واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا تستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون
فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف اعينكم
فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهداية
وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى
تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك

الذين

الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه
او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء
بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكأنه
يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى
المبدل عنه وقرأ ابن كثير ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب
وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل
وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه
وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم
الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل
الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين
دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق
وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات
الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين
مع الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب
عليهم ولا الضالين** بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم
هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به
معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني • وقولهم • اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني • او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه
فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين
والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف
الاول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب
وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه
كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل
وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له
من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين
آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه
وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا • وقال آخر • آمين فزاد الله ما بيننا بعدا • وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبرئيل عليه السلام
آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية

لما روي عن وائل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رحمه الله انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه
كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين
وان الامام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الا اخبرك
بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلعم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم
سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ
صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة مائتان وثمانون آية
وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به
من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة
والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد
بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب
مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها
افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا
عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط
ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه
وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها
الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف
ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره
ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي
يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف
البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها احد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى
وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في با اسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها
تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء
والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام
والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف
الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها

ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك واستقريت الكلم وتراكيبها
وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي
اصولها كلمات مفردة ومركبة من كلمتين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع
ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة
على ثلثة اوجه ففي الاسماء من اذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام
الثلاثة في ثلث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما
اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا ككردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير
التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا
بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها
كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن بأسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كان مفهمة فاما ان يراد بها السور التي
هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن
نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر
كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس انه قال الالف آلاء الله
واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ونون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله
واللام من جبرئيل والميم من محمد عليه السلام اي القرآن منزل من الله بلسان جبرئيل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية
متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك
وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها
لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا
مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى وتستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة
للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار
من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه
عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه
لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت
وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول
اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل

انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص
يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو اوسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها
ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم
من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها
اسماء الله تعالى او القرآن او السورة كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب
او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليس
الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء
او الخبر على ما مر وان جعلتها اقساما يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها
ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأ والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام
اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم آية وحم عسق
آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب** ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة
او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه وصار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه
خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة
وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر به عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة
لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه
الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه
ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير
المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه
يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى للمتقين**
يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى لعلى هدى
او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته
عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الدلائل والآيات والنظر
في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم
وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري
عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع والمعني
بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله واتقوا الله حق تقاته وقد فسر

قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الستة واعلم ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره
وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة
والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى
من منصوب المحل بلا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره
ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب
على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون
ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستأهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها
اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه
كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب فيه لانه لا كمال اعلى
مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او يستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل
للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك
ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة
ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة
الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا
وتفخيما لشأنه **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية
على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر التقوى بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة
فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء
الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء
وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كأن المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة
وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون
بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق
والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا
وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم
الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين
الارادة في الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه

ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به والغيب مصدر وصف به للمبالغة
كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه
الحس ولا تقتضيه بداهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في هذه الآية ان جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة
والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به
لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة **ويقيمون الصلوة** اي يعدلون اركانها ويحفظونها
من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة
سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كان كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها
من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على
القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح
من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك
ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم
وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني
مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة
الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام
لانه منع الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه اسند الرزق هاهنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام
لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض
على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله
طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج
والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم
المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي آتاهم الله
من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون**
بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين
دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على
المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام

وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث فالصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان
بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة
منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء
من علو الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوق الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل ان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا
روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيلقيه على الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن
الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك سائر الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله
فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل واحد يوجب الحرج وفساد المعاش **وبالآخرة هم يوقنون** اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه
من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه
وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن الايقان
واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر
صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو
همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود **اولئك على هدى من ربهم**
الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون
الى آخر الآيات والا فاستيناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا
بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة هاهنا كاعادة الموصول بصفاته المذكورة وهو ابلغ
من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء على
هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل
باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره
ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة
وبغير غنة **واولئك هم المفلحون** كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف
في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين هاهنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة
والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه
في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة
او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم **تنبيه** تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى
بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبث بهذه الآية الوعيدية

في خلود الفساق من أهل القبلة في العذاب ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له
رأساً **إن الذين كفروا** لما ذكر خاصة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والفلاح عقبهم بأضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى
ولا يغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فإن الأولى
سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى سوقت لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وإن من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء
على الفتح ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني
إيذاناً بأنه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعاً بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف وأجيب
بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها
القسم وتصدر بها الأجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً إنا مكنا له في الأرض وقال موسى يا فرعون إني
رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود أو للجنس متناولاً من صمم على الكفر وغيرهم
فخص منهم غير المصرين بما أسند إليه والكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع إنكار
ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوها كفراً لأنها تدل على التكذيب فإن من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهراً
لا لأنها كفر في أنفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث
الكلام كما في العلم **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم** خبر إن وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع
بأنه خبر إن وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه أو بأنه خبر لما بعده بمعنى إنذارك وعدمه سيان عليهم والفعل
إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ما وضع له أما لو أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة
والإسناد إليه كقوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وإنما عدل هاهنا عن المصدر
لما فيه من إيهام التجدد وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء
عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة والإنذار التخويف أريد به التخويف من عقاب الله وإنما اقتصر عليه لأنه أوقع في القلب
وأشد تأثيراً في النفس من حيث إن دفع الضرر أهم من جلب النفع فإذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف
الثانية بين بين وقلبها ألفاً وهو لحن لأن المتحركة لا تقلب ولأنه يؤدي إلى جمع الساكنين على غير حده وبتوسط ألف بينهما محققتين وبتوسطها والثانية
بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها **لا يؤمنون** جملة مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة
أو بدل عنه أو خبر إن والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فإنه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان
فلو آمنوا انقلب خبره كذباً وشمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلاً من حيث إن الأحكام
لا تستدعي غرضاً سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه كإخباره تعالى عما يفعله هو والعبد باختياره
وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا ينجع إلزام الحجة وحيازة الرسول فضل الإبلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الأصنام سواء
عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون وفي الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهي من المعجزات **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة**

تعليل

تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له والبلوغ آخره نظراً إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه
والغشاوة فعالة من غشاه إذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم
هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ
فيها الحق وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين
وتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الإبصار وسماها على الاستعارة ختماً وتغشية أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بأشياء ضرب حجاب
بينها وبين الاستنفاع بها ختماً وتغطية وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم
وبالإغفال في قوله ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالإقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث إن الممكنات بأسرها مستندة إلى الله تعالى واقعة
بقدرته أسندت إليه ومن حيث إنها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم
وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوهاً من التأويل الأول أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك
في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن
أو قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء إذا طالت غيبته الثالث أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر
لكن لما كان صدوره عنه بإقداره تعالى إياه أسند إليه إسناد الفعل إلى المسبب الرابع أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق
إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثم لم يقسرهم إبقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فإنه سد لإيمانهم وفيه إشعار على تمادي أمرهم في الغي
وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينكم
حجاب تهكماً واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس أن ذلك في الآخرة وإنما أخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم
فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولأنهما لما اشتركا
في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وإدراك الأبصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها
الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للأمن من اللبس واعتبار الأصل
فإنه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع أو على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والأبصار جمع بصر وهو إدراك العين وقد يطلق مجازاً على القوة الباصرة
وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لأنه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة
كما في قوله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وإنما جاز إمالتها مع الصاد لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة
رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الأخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة أو على
حذف الجار وإيصال الختم بنفسه إليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة
وبالفتح مرفوعاً ومنصوباً وعشاوة بالعين غير المعجمة **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشيء
ونكل عنه إذا أمسك ومنه ماء عذب لأنه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخاً وفراتاً ثم اتسع فأطلق على كل ألم فادح وإن لم يكن نكالاً أي عقاباً يردع الجاني
عن المعاودة فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو إزالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما أن الحقير

دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به أنه إذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه ومعنى التنكير في الآية أن على
أبصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله **ومن الناس من يقول آمنا بالله
وباليوم الآخر** لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم
الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا
للتقسيم وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله تعالى لأنهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم
بأفعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين
والناس أصله أناس لقولهم إنسان وإنس وأناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله
إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال إذ لم يثبت فعال في أبنية الجمع مأخوذ من أنس لأنهم يستأنسون بأمثالهم أو آنس لأنهم
ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة إذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون أو للعهد والمعهود
هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن أبي وأصحابه ونظراؤه فإنهم من حيث إنهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم
بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فإن الأجناس إنما تتنوع بزيادات يختلف فيها أبعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني
واختصاص الإيمان بالله واليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الأعظم من الإيمان وادعاء بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه وأحاطوا بقطريه
وإيذان بأنهم منافقون فيما يظنون أنهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لأن القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانا
كلا إيمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة ويرون المؤمنين أنهم آمنوا
مثل إيمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وإفراطهم في كفرهم لأن ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن إيمانا فكيف وقد قالوه
تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الإيمان بكل واحد على الأصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى
المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا ينتهي أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار
النار لأنه آخر الأوقات المحدودة **وما هم بمؤمنين** إنكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا إثباته وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل
دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك
أكد النفي بالباء وأطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء ويحتمل أن يقيد بما قيدوا به لأنه جوابه والآية تدل على أن من ادعى الإيمان
وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لأن من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية
في الثاني فلا ينهض حجة عليهم **يخادعون الله والذين آمنوا** الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه أو عما هو بصدده من قولهم
خدع الضب إذا توارى في جحره وضب خادع وخدع إذا أوهم الحارش إقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الإخفاء ومنه المخدع للخزانة والأخدعان
لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه لا يخفى عليه خافية ولأنهم لم يقصدوا خديعته بل المراد إما
مخادعة رسوله على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد أطاع الله إن الذين يبايعونك
إنما يبايعون الله وإما أن صورة صنيعهم مع الله من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث
الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين أمر الله في إخفاء حالهم وإجراء حكم الإسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم

صورة

صورة صنيع المتخادعين ويحتمل أن يراد بيخادعون يخدعون لأنه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه إلا أنه أخرج في زنة فاعلت للمبالغة
فإن الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة من قرأ
يخدعون وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق من سواهم من الكفرة وأن يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء وأن يختلطوا
بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها إلى منابذيهم إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد **وما يخدعون إلا أنفسهم** يخادعون قراءة نافع وابن كثير
وأبي عمرو والمعنى أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها يحيق بهم أو أنهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث منتهم
بالأماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لأن المخادعة لا تتصور إلا بين اثنين وقرئ يخدعون من خدع
ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح
لأن نفس الحي به وللقلب لأنه محل الروح أو متعلقه وللدم لأن قوامها به وللماء لفرط حاجتها إليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث عنها
أو يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم **وما يشعرون** لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق
وبال الخداع ورجوع ضرره إليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى إلا على مؤوف الحواس والشعور الإحساس ومشاعر الإنسان حواسه وأصله الشعر ومنه الشعار
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ومجاز في الأعراض النفسانية التي
تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لأنها مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية والآية تحتملهما
فإن قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات أمر الرسول واستعلاء شأنه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في
إعلاء أمره وإشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع أو بازدياد التكاليف
وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان إسناد الزيادة إلى الله تعالى من حيث إنه مسبب من فعله وإسنادها إلى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا
ويحتمل أن يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته
تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الأعداء وتبسطا في البلاد **ولهم عذاب أليم** أي مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة
كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده **بما كانوا يكذبون** قرأها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء لهم وهو قولهم
آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لأنهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم وإذا خلوا إلى شياطينهم أو من كذب الذي هو للمبالغة أو للتكثير مثل بين الشيء
وموتت البهائم أو من كذب الوحشي إذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فإن المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله
لأنه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به
وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض عطف على يكذبون أو يقول وما روي عن سلمان أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله أراد به أن أهلها ليس الذين كانوا فقط
بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لأن الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع
وكان من فسادهم في الأرض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم بإفشاء الأسرار إليهم فإن ذلك يؤدي إلى فساد ما في الأرض من
الناس والدواب والحرث ومنه إظهار المعاصي والإهانة بالدين فإن الإخلال بالشرائع والإعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم
والقائل هو الله تعالى أو الرسول أو بعض المؤمنين **قالوا إنما نحن مصلحون** جواب لإذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك
فإن شأننا ليس إلا الإصلاح وإن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لأن إنما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل إنما زيد منطلق وإنما ينطلق زيد وإنما قالوا ذلك لأنهم

تصور الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا **ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** رد لما ادعوه أبلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقيق ما بعدها فإن همزة الاستفهام التي للإنكار إذا دخلت على النفي أفادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد يقع الجملة بعدها إلا مصدرة بما يتلقى به القسم وأختها أما التي هي من طلائع القسم وإن المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم إنما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون **وإذا قيل لهم آمنوا** من تمام النصح والإرشاد فإن كمال الإيمان بمجموع الأمرين الإعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا **كما آمن الناس** في حيز النصب على المصدر وما مصدرية أو كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل فإن اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بإنسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله إذ الناس ناس والزمان زمان أو للعهد والمراد به الرسول ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأصحابه والمعنى آمنوا إيمانا مقرونا بالإخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لإيمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وأن الإقرار باللسان إيمان وإلا لم يفد التقييد **قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء** الهمزة فيه للإنكار واللام مشار بها إلى الناس أو الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وإنما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم أو لتحقير شأنهم فإن أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم إن فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله **ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** رد ومبالغة في تجهيلهم فإن الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فإنه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وإنما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لأنه أكثر طباقا لذكر السفه ولأن الوقوف على أمر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر إلى نظر وتفكر وأما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فإنما يدرك بأدنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي أن ابن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته إذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته إذا طرحته فإنك بطرحه جعلته بحيث يلقى **وإذا خلوا إلى شياطينهم** من خلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه أو من خلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية أو من خلوت به إذا سخرت منه وعدي بإلى لتضمن معنى الإنهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم وإضافتهم إليهم للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون شيطان تارة أصلية على أنه من شطن إذا بعد فإنه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة على أنه من شاط إذا بطل ومن أسمائه الباطل **قالوا إنا معكم** أي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بأن لأنهم قصدوا بالأولى دعوى إحداث الإيمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولأنه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الإيمان على المؤمنين من المهاجرين والأنصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **إنما نحن مستهزئون** تأكيد لما قبله لأن المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا إنا معكم إن صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الإيمان فأجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان إذا مات على مكانه وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم**

يجازيهم

يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما لمقابلة اللفظ باللفظ أو لكونه مماثلا له في القدر أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه أو يعاملهم معاملة المستهزئ أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان وأما في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار بابا إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وإنما استؤنف به ولم يعطف ليدل على أن الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين أن يعارضوهم وأن استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله تعالى بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم إيماء بأن الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال تعالى أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش وأمده إذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فإنه يعدى باللام كأملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم إجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسدهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا أو مكن الشيطان من إغوائهم فزادهم طغيانا أسند ذلك إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبب مجازا وأضاف الطغيان إليهم لئلا يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة ومصداق ذلك أنه لما أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي فقال وإخوانهم يمدونهم في الغي أو أصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في أعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا إلا طغيانا وعمها فحذف اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه أو التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر وأصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الأمر يقال رجل عامه وعمه وأرض عمهاء لا منار بها قال أعمى الهدى بالجاهلين العمه **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اختاروها عليه واستبدلوها به وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان فإن كان أحد العوضين ناضا تعين من حيث إنه لا يطلب لعينه أن يكون ثمنا وبذله اشتراء وإلا فأي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الأضداد ثم استعير للإعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني أو الأعيان ومنه قول الشاعر أخذت بالجمة رأسا أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى أنهم أخلوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا إليها أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا وإسناده إلى التجارة وهو لأربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين لأن رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به إلى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للأصل **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فإنه أوقع في القلب وأقمع للخصم الألد لأنه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولأمر ما أكثر الله في كتبه الأمثال وفشت في كلام الأنبياء والحكماء والمثل في الأصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب إلا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الأعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا إن جعل مرجع الضمير في بنورهم وإنما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لأنه غير مقصود بالوصف

التي هي صلته وهو وصلة إلى وصف المعرفة بها ولأنه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه أن لا يجمع كما لم يجمع أخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع
وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف
ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو الفوج الذي استوقد والاستيقاد
طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا **فلما أضاءت ما حوله**
أي النار ما حول المستوقد إن جعلتها متعدية وإلا أمكن أن تكون مسندة إلى ما والتأنيث لأن ما حوله أشياء وأماكن أو إلى ضمير النار وما موصولة في معنى الأمكنة
نصب على الظرف أو مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى
وعلى هذا إنما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لأنه المراد من إيقادها أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره
أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للإيجاز وأمن الالتباس وإسناد
الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل بفعله أو لأن الإطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة
لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وما أخذه الله وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى
اللفظ إلى النور فإنه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا ألا ترى كيف
قرر ذلك وأكده بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة
لا يتراءى فيها شبحان وترك في الأصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر
فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق
وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أو ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدي أو ظلمة شديدة
كأنها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به
إلى نعيم الأبد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الأولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فإنهم أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق
باستبطان الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أو ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له أحوال
الإرادة فادعى أحوال المحبة فأذهب الله عنه ما أشرق عليه من نور الإرادة أو مثل لإيمانهم من حيث إنه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الأموال
والأولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانطماس نوره بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء الله تعالى
إياها وإذهاب نورها **صم بكم عمي** لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما أيفت
مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا وكقوله أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد
وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة إذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير
لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال أبو تمام ويصعد حتى يظن الجهول
بأن له حاجة في السماء وهاهنا وإن طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا إذا جعلت
الضمير للمنافقين على أن الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وإن جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى أنهم لما أوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
هائلة أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم أصله صلابة من اكتناز الأجزاء ومنه قيل حجر أصم

وقناة

وقناة صماء وصمام القارورة وسمي به فقدان حاسة السمع لأن سببه أن يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه
والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فهم لا يرجعون** لا يعودون إلى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن الضلالة
التي اشتروها أو فهم متحيرون لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وإلى حيث ابتدؤوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على أن اتصافهم بالأحكام السابقة
سبب لتحيرهم واحتباسهم **أو كصيب من السماء** عطف على الذي استوقد نارا أي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون أصابعهم وأو في الأصل للتساوي
في الشك ثم اتسع فيها فأطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فإنها تفيد التساوي في حسن
المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله أو كصيب من السماء ومعناه أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وأنهما سواء في صحة التشبيه بهما
وأنت مخير في التمثيل بهما أو بأيهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب
وفي الآية يحتملهما وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فإن كل أفق منها يسمى سماء
كما أن كل طبقة منها سماء قال ومن بعد أرض بيننا وسماء أمد به ما في صيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام
لتعريف الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق** إن أريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا
للرعد والبرق لأنهما في أعلاه ومنحدره ملتبسين به وإن أريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لأنه معتمد على
موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق
ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الأصل ولذلك لم يجمعا **يجعلون أصابعهم في آذانهم** الضمير لأصحاب الصيب وهو
وإن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر الضمير لأن المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فأجيب بها وإنما أطلق الأصابع
موضع الأنامل للمبالغة **من الصواعق** متعلق بيجعلون أي من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه
من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت وقرئ من الصواقع
وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي في الأصل إما صفة
لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية أو مصدر كالعافية والكاذبة **حذر الموت** نصب على العلة كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره
وأصفح عن شتم اللئيم تكرما والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة ورد بأن الخلق بمعنى التقدير والأعدام مقدرة **والله**
محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها **يكاد البرق يخطف أبصارهم** استئناف ثان
كأنه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد إما لفقد شرط أو لعروض
مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلا مضارعا تنبيها على أنه المقصود بالقرب
من غير أن لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في أصل معنى المقاربة والخطف
الأخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على أنه يختطف فنقلت فتحة التاء إلى الخاء ثم أدغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين
وإتباع الياء لها ويتخطف **كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا** استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فأجيب بذلك
وأضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى أخذوه أو لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك أظلم فإنه جاء متعديا منقولا

من ظلمة الليل ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول وقول أبي تمام هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب فإنه وإن كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وإنما قال مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا لأنهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء إذا جمد **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم** أي لو شاء الله أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء وأراد حتى لا يكاد يذكر إلا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت أن أبكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وفائدة هذه الشرطية إبداء المانع لذهاب سمعهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على أن تأثير الأسباب في مسبباتها مشروط بمشيئته تعالى وأن وجودها مرتبطا بأسبابها واقع بقدرته وقوله **إن الله على كل شيء قدير** كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لأنه في الأصل مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل أي شيء أكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء أخرى أي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى إن الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح أن يوجد وهو يعم الواجب والممكن أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من إيجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الإنسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري واشتقاق القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وأن مقدور العبد مقدور لله تعالى لأنه شيء وكل شيء مقدور والظاهر أن التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو أن تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فإنه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة أو بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بأن يشبه في الأول ذوات المنافقين بالمستوقدين وإظهارهم الإيمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد وغير ذلك بإضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب بإهلاكهم وإفشاء حالهم وإبقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد بإطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني أنفسهم بأصحاب الصيب وإيمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث إنه وإن كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الأصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث إنه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الأمر وجهلهم بما يأتون ويذرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف أن يخطف أبصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم إذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم وقيل شبه الإيمان والقرآن وسائر ما أوتي الإنسان من المعارف التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي به حياة الأرض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشككة بالظلمات وشبه ما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم

لما يلمع

لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد تطمح إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعن لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم على أنه تعالى جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها إلى الهدى والفلاح ثم إنهم صرفوها إلى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فإنه على ما يشاء قدير **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامعين وتنشيطا لهم واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد إما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لأنه نائب مناب فعل وأي جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام فإن إدخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فإنهما كمثلين وأعطي حكم المنادى وأجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه إشعارا بأنه المقصود وأقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه أي من المضاف إليه وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت إلى قيام الساعة إلا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فمكي ويا أيها الذين آمنوا فمدني إن صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة فإن المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الإتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع فإن من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم إلا به وكما أن الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وإنما قال ربكم تنبيها على أن الموجب للعبادة هي الربوبية **الذي خلقكم** صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح إن خص الخطاب بالمشركين وأريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أربابا والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس **والذين من قبلكم** متناول كل ما يتقدم الإنسان بالذات أو بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة أخرجت مخرج المقرر عندهم إما لاعترافهم به كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله أو لتمكنهم من العلم به بأدنى نظر وقرئ من قبلكم على إقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم تيما الثاني بين الأول وما أضيف إليه **لعلكم تتقون** حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله تعالى نبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى إلى الله وأن العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه أو من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي إليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق أي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وهو ضعيف إذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على أن الطريق إلى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بأفعاله وأن العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فإنها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الأجر قبل العمل **الذي جعل لكم الأرض فراشا** صفة ثانية أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الأفعال العامة

يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل ⁂ من الاكوار مرتعها قريب ⁂ وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد
كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها
وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيئة لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم
حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة
والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيئته ولكن جعل الماء ممزوجا بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة
صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء
كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم
قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض
على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات
بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق
كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده
قراءة من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت
عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه
او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء
للتشبيه لاشتراكهما في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية
ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير ⁂ اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديد ⁂ من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون
من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد
انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال
موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل ⁂ اربا واحدا ام الف رب ⁂ ادين اذا تقسمت الامور ⁂ تركت اللات والعزى جميعا ⁂ كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير
فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات
متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ
والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك
والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم
وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها
غيره شهدت على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية اخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان

وما افاض

وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية
المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة
بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل
الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحام من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء
من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارضة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله
كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة وكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد
لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها
محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ⁂ ولرهط حراب
وقد سورة ⁂ في المجد ليس غرابها بمطار ⁂ لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القاري او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة
وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط
القاري وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حفظها اعتقد انه
اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله
والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو
على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله ولسائر آيات
التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم
ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن
لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم
ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور
اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب
لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل
في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية
يا نفس ما لك من دون الله من واق ⁂ اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى ادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم
وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت
العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم
من قول الاعشى ⁂ تريك القذى من دونها وهي دونه ⁂ ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اولياءه
يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر

وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك

لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا

فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة وهو انكم اذا

اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان

المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز

وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء

تهكما بهم وخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها

لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه

ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود

بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر

سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس

والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها

واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه

او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع

من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال المقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا تتقد به

غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله اراد به ان الحجارة كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت

الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون

قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا العامل

الذي في وقودها وان جعلته صلة للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع

بالتوبيخ والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة

لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما

والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته

وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال

من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي

وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه

بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هولاء ويبشر هولاء وانما امر الرسول عليه السلام

او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤوا بما اعد لهم

على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر

الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم

بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة

قال الحطيئة • كيف الهجاء وما تنفك صالحة • من آل لأم بظهر الغيب تأتيني • وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام

للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي

هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى

الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا ما هو داخل فيه وان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة

المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال

كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا • اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل

سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره

ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة

على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة

فضلا عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى

لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيده هنا استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها

كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري

او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات

والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها

من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار

الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين

رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال

الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء

لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه ولكن لما استحكم

الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى

فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه

الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف

او كما روي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم

اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم

بما وجدوا في التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة **وأتوا به متشابها** اعتراض يقرر ذلك والضمير على الأول راجع إلى ما رزقوا في الدارين
فإنه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني إلى الرزق فإن قيل
التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الأسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الهيئة
التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في إطلاق التشابه هذا وإن للآية محملا آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا
من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية
وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد **ولهم فيها أزواج مطهرة** مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن
ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل
قال وإذا العذارى بالدخان تقنعت ... واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والإفراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة
ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة للإشعار بأن مطهرا طهرهن وليس هو إلا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والأنثى وهو في الأصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف
فإن قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر
أحوالها إنما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم
جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها **وهم فيها خالدون** دائمون والخلد والخلود في الأصل الثبات المديد دام أم لم يدم ولذلك قيل للأثافي والأحجار خوالد
وللجزء الذي يبقى من الإنسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها أبدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم
وقف مخلد يوجب اشتراكا أو مجازا والأصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للأعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كإطلاق الجسم على الإنسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام هاهنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فإن قيل الأبدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية
إلى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت إنه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بأن يجعل أجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية
في القوة لا يقوى شيء منها على إحالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا وإن قياس ذلك العالم وأحواله على ما نجده
ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله
الثبات والدوام فإن كل نعمة جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به
منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة** لما كانت الآيات السابقة متضمنة
لأنواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف
دون الممثل فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فإن المعنى
الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لأن من طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات البلغاء
وإشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وإن كان المثل أعظم من كل عظيم كما مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة
ومخاطبة السفهاء بإثارة الزنابير وجاء في كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين
بحال المستوقدين وأصحاب الصيب وعبادة الأصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها أقل من الذباب وأخس منه قدرا الله أعلى وأجل
من أن يضرب الأمثال ويذكر الذباب والعنكبوت وأيضا لما أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور أمره

شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح
مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا
واشتقاقه من الحياة فإنه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي إذا اعتلت نساه وحشاه وإذا وصف
به الباري تعالى كما جاء في الحديث إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا
فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما أن المراد من رحمته وغضبه إصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف إبلا إذا
ما استحيين الماء يعرض نفسه ... كرعن بسبت في إناء من الورد
وإنما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة أن يكون مجيئه على المقابلة لما وقع
في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماده من ضرب الخاتم وأصله وقع الشيء على آخر وأن بصلتها مخفوض المحل عند الخليل بإضمار من منصوب بإفضاء الفعل إليه
بعد حذفها عند سيبويه وما إبهامية تزيد النكرة إبهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك أعطني كتابا ما أي كتاب كان أو مزيدة للتأكيد
كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فإن القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وإنما وضعت لأن تذكر مع غيره فتفيده
وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لأنه نكرة أو هما مفعولاه
لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وعلى هذا يحتمل ما وجوها أخر أن تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما
على الذي أحسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال
قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب دينارا ودينارين والبعوضة
فعولة من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش **فما فوقها** عطف على بعوضة أو ما إن جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة
كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى أنه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوضة فضلا عما هو أكبر منه أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلا
وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي أن رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها
سمعت رسول الله عليه السلام قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الألم
كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة كقوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة **فأما الذين آمنوا فيعلمون**
أنه الحق من ربهم أما حرف تفصيل يفصل ما أجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من
شيء فزيد ذاهب أي هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا إيلاءها حرف الشرط فأدخلوها على الخبر وعوضوا
المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به إحماد لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في أنه للمثل أو لأن يضرب والحق
الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة من قولهم حق الأمر إذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج
وأما الذين كفروا فيقولون كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم
عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه **ماذا أراد الله بهذا مثلا** يحتمل وجهين أن يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وأن
يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى أي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما أراد الله والأحسن في جوابه الرفع على الأول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال
والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف
الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى إرادته فقيل إرادته لأفعاله أنه غير ساه ولا مكره ولأفعال غيره أمره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته وقيل علمه

باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهو اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي ذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جواب ماذا اي اضلال كثير وهداية كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا **وما يضل به الا الفاسقين** اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان عن عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي والانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده وجعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب وما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو القصد والطلب يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه **اولئك هم الخاسرون**

الذين

الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على طريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من انكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون **وكنتم امواتا** اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة **فاحياكم** بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي **ثم يميتكم** عند تقضي آجالكم **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبر **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلتين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعمة يوجب عظم معصية المنعم فان قلت كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحقيقة كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله واذا وصف به الباري تعالى اريد به صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليهم بقاؤهم وتتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او غير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني **ثم استوى الى السماء** قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها

فإنه يدل على تأخر دحو الأرض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها إلا أن تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الأرض فعلا آخر دل عليه أأنتم أشد خلقا
مثل تعرف الأرض وتدبر أمرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر **فسواهن** عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء إن فسرت بالأجرام لأنه جمع
أو في معنى الجمع وإلا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا **سبع سموات** بدل أو تفسير فإن قيل أليس إن أصحاب الأرصاد أثبتوا تسعة أفلاك قلت فيما ذكروه شكوك
وإن صح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه إن ضم إليها العرش والكرسي لم يبق خلاف **وهو بكل شيء عليم** فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالما بكنه الأشياء كلها خلق ما خلق
على هذا النمط الأكمل والوجه الأنفع والاستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الأنيق كان عليما فإن إتقان الأفعال وإحكامها وتخصيصها
بالوجه الأحسن الأنفع لا يتصور إلا من عالم حكيم رحيم وإزاحة لما يختلج في صدورهم من أن الأبدان بعدما تفتتت وتبددت أجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف
تجمع أجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم إليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم أن صحة الحشر مبنية
على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين أما الأولى فهو أن مواد الأبدان قابلة للجمع والحيوة وأشار إلى البرهان عليها بقوله وكنتم أمواتا فأحياكم
ثم يميتكم فإن تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى أن يزول ويتغير وأما الثانية والثالثة
فإنه عز وجل عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها وإحيائها وأشار إلى وجه إثباتهما بأنه تعالى قادر على إبدائهم وإبداء ما هو أعظم خلقا وأعجب صنعا فكان أقدر
على إعادتهم وإحيائهم وأنه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته
ودقت حكمته وقد سكن نافع وأبو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهي تشبيها له بعضد **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** تعداد لنعمة ثالثة
تعم الناس كلهم فإن خلق آدم وإكرامه وتفضيله على ملائكته بأن أمرهم بالسجود له إنعام يعم ذريته وإذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى كما وضع إذا
لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه أخرى ولذلك يجب إضافتهما إلى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما
النصب أبدا بالظرفية فإنهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه وأما قوله واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث إذ كان كذا
فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا أو اذكر على التأويل المذكور لأنه جاء معمولا له صريحا في القرآن أو مضمر دل عليه مضمون الآية
المتقدمة مثل وبدأ خلقكم إذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر أنه مزيد والملائكة جمع ملأك على الأصل كالشمائل جمع شمأل
والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة لأنهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله أو كالرسل إليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم
بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل كانوا
يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان وزعم الحكماء أنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة
منقسمة إلى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون
والملائكة المقربون وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الإلهي لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات
أمرا فمنهم سماوية ومنهم أرضية على تفصيل أثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الأرض وقيل إبليس ومن كان
معه في محاربة الجن فإنه تعالى أسكنهم في الأرض أولا فأفسدوا فيها فبعث إليهم إبليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي
له مفعولان وهما في الأرض خليفة أعمل فيهما لأنه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند إليه ويجوز أن يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء
للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لأنه كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم
لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ألا ترى

أن

أن الأنبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أرسل إليهم الملائكة ومن كان منهم على رتبة كلمه
بلا واسطة كما كلم موسى في الميقات ومحمدا صلوات الله عليه ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة أن العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما
من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك أو خليفة من سكن الأرض قبله أو هو وذريته لأنهم يخلفون
من قبلهم أو يخلف بعضهم بعضا وإفراد اللفظ إما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر أبي القبيلة في قولهم مضر وهاشم أو على تأويل من يخلف
أو خلفا يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بأن بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه وإظهار فضله
الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان أن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خيره فإن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير إلى غير ذلك
قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها أو يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية
واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد وألغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره
وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بأمره يعملون وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله أو تلق من اللوح أو استنباط عما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم أو قياس لأحد الثقلين على الآخر والسفك
والسبك والسفح والشن أنواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من أعلى والشن في الصب عن فم
القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع إلى من سواء جعل موصولا أو موصوفا محذوفا أي يسفك الدماء فيهم
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الإشكال كقولك أتحسن إلى أعدائك وأنا الصديق المحتاج والمعنى أتستخلف عصاة ونحن معصومون
أحقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكأنهم علموا أن المجعول
خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار أمره شهوية وغضبية تؤديان به إلى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه إلى المعرفة والطاعة ونظروا إليها مفردة
وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تلك القوتين لا تقتضي الحكمة إيجاده فضلا عن استخلافه وأما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع
منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين إذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة
ومجاهدة الهوى والإنصاف ولم يعلموا أن التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالإحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات
من القوة إلى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف وإليه أشار تعالى إجمالا بقوله **قال إني أعلم ما لا تعلمون** والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك
التقديس من سبح في الأرض والماء وقدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدس إذا طهر لأن مطهر الشيء مبعده عن الأقذار وبحمدك في موضع الحال
أي متلبسين بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما أوهم إسناد التسبيح إلى أنفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لأجلك
كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو أعظم الأفعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة
وعلم آدم الأسماء كلها إما بخلق علم ضروري بها فيه أو إلقاء في روعه ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك
يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم أعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض لما روي أنه تعالى قبض قبضة من جميع
الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه أخيافا أو من الأدم أو الأدمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق إدريس من الدرس ويعقوب من العقب وإبليس
من الإبلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء
كان مركبا أو مفردا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة والمراد في الآية إما الأول أو

وهو يستلزم الأول لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لإدراك
أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين
الصناعات وكيفية آلاتها **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا إذ التقدير أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لدلالة المضاف عليه
وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الأسماء سيما إن أريد به الألفاظ والمراد به ذوات الأشياء
أو مدلولات الألفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها **فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء** تبكيت لهم
وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فإن التصرف والتدبير وإقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس
بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والإنباء إخبار فيه إعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما **إن كنتم صادقين** في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم أو أن خلقهم
واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق إليه لغرض
ما يلزم مدلوله من الأخبار وبهذا الاعتبار يعتري الإنشاءات **قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** اعتراف بالعجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفسارا
ولم يكن اعتراضا وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه وإظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للأدب بتفويض العلم
كله إليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل إلا مضافا منصوبا بإضمار فعله كمعاذ الله وقد أجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة
الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت إليك وقال يونس سبحانك
إني كنت من الظالمين **إنك أنت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية **الحكيم** المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة وأنت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في
مررت بك أنت وإن لم يجز مررت بأنت إذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر إن
قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم أي أعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما **فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون**
وما كنتم تكتمون استحضار لقوله إني أعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه فإنه تعالى لما علم ما خفي عليهم من أمور السموات والأرض وما ظهر لهم من أحوالهم
الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى وهو أن يتوقفوا مترصدين لأن يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون
استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا يخلق خلقا أفضل منهم وقيل ما أظهروا من الطاعة وأسر منهم إبليس من المعصية والهمزة للإنكار دخلت حرف الجحد فأفادت الإثبات
والتقرير واعلم أن هذه الآيات تدل على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأنه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وأن التعليم يصح إسناده إلى الله تعالى
وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وأن اللغات توقيفية فإن الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في إلقائها على المتعلم
مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والأصل ينفي أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله تعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم وإلا
لتكرر قوله إنك أنت العليم الحكيم وأن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا إلا له
مقام معلوم وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لأنه أعلم منهم والأعلم أفضل لقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وأنه تعالى يعلم الأشياء
قبل حدوثها **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** لما أنبأهم بأسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافا بفضله وأداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل
أمرهم به قبل أن يسوي خلقه لقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم وإظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف
السابق إن نصبته بمضمر وإلا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بأسرها على القصة الأخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الأصل تذلل
مع تطامن قال الشاعر: ترى الأكم فيه سجدا للحوافر. وقال: فقلن له اسجد لليلى فأسجدا. يعني البعير إذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به

المعنى

أما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه أو سببا لوجوبه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون أنموذجا للمبدعات
كلها بل الموجودات بأسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة إلى ظهور ما تباينوا فيه
من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما أنعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان:
أليس أول من صلى لقبلتكم ❊ وأعرف الناس بالقرآن والسنن ❊ أو في قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس وأما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له
كسجود إخوة يوسف له أو التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في أن المأمورين بالسجود الملائكة كلهم أو طائفة منهم ما سبق
فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر امتنع عما أمر به استكبارا من أن يتخذه وصلة في عبادة ربه أو يعظمه ويتلقاه بالتحية أو يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه
والإباء امتناع باختيار والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان من الكافرين** أي في علم الله أو صار منهم باستقباحه
أمر الله إياه بالسجود لآدم اعتقادا بأنه أفضل منه والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما أشعر به قوله أنا خير منه جوابا لقوله ما منعك أن تسجد
لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على أن إبليس كان من الملائكة وإلا لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على
ذلك قوله تعالى إلا إبليس كان من الجن لجواز أن يقال إنه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولأن ابن عباس روى أن من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن
ومنهم إبليس ولمن زعم أنه لم يكن من الملائكة أن يقول إنه كان جنيا نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغمورا بالألوف منهم فغلبوا عليه أو الجن أيضا كانوا مأمورين مع الملائكة
لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فإنه إذا علم أن الأكابر مأمورون بالتذلل لأحد والتوسل به علم أن الأصاغر أيضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع إلى القبيلين
فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود إلا إبليس وأن من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان الغالب فيهم العصمة كما أن من الإنس معصومين والغالب فيهم عدم
العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وإنما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الإنس والجن يشملهما وكان إبليس من هذا الصنف
كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما أشار إليه بقوله تعالى إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة
خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة أنه عليه السلام قال خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار لأنه كالتمثيل لما ذكرت فإن المراد بالنور الجوهر
المضيء والنار كذلك غير أن ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق فإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور
ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله
ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وأنه قد يفضي بصاحبه إلى الكفر والحث على الائتمار لأمره وترك الخوض في سره وأن الأمر للوجوب وأن الذي علم الله من حاله
أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة إذ العبرة بالخواتيم وإن كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري رحمه الله **وقلنا يا آدم اسكن**
أنت وزوجك الجنة السكنى من السكون لأنها استقرار ولبث وأنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه وإنما لم يخاطبهما أولا تنبيها على أنه المقصود بالحكم
والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لأن اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم أنها لم تخلق بعد قال إنه بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله
امتحانا لآدم وحمل الإهباط على الانتقال منه إلى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا **وكلا منها رغدا** واسعا رافها صفة مصدر محذوف **حيث شئتما** أي مكان
من الجنة شئتما وسع الأمر عليهما إزاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**
فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على أن القرب من الشيء يورث داعية
وميلانا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي أن لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة أن يقعا فيه وجعله سببا
لأن يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي أو بنقص حظهما بالإتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فإن الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي

او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه
وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلكم على شجرة
الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه
تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة
التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة
وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الكرامة والنعيم **وقلنا اهبطوا** خطاب لآدم وحواء
لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة
او من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله **ولكم في الارض مستقر** موضع استقرار او استقرار
ومتاع تمتع **الى حين** يريد به وقت الموت او القيامة **فتلقى آدم من ربه كلمات** استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم
ورفع كلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي
فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اترجعني الى الجنة قال نعم واصل الكلمة
الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة **فتاب عليه** رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات
لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء
في اكثر القرآن والسنن **انه هو التواب** الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا
عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو **قلنا**
اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف
فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحده كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف
بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى
وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا **فاما ياتينكم مني هدى**
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن
فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا
وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا
من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه
وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال
ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة
ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا

من اي ومن اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة
تخفيفا والمراد باياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول
ان آدم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين
والثالث انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي
مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه
في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث
انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم
كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم
على الجهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا
ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن
ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا
وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة
مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دائم وان الكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم
قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث
محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها كما كان
منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة
قادر على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل
عليه فقال **يا بني اسرائيل** اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب
يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء **اذكروا نعمتي التي**
انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران
والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ
العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها
واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول
فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا
الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء
الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب

او وفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني في
من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات تجري
اوف بالتشديد للمبالغة **واياي فارهبون** فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم
من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد
والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله **وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم** افراد للايمان بالامر
والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها
في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت
الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك
قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به** بان الواجب
ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق
او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة
على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر
من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا وادغمت تخفيفا غير قياسي او اأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا بآياتي**
ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الآخرة ترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله
فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه **واياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على
ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك
والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره
والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه
في تأويله **وتكتموا الحق** جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب
باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان
استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق **وانتم تعلمون** عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر **واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** يعني صلاة المسلمين
وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة ولا زكاة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكا الزرع اذا نما
فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل **واركعوا مع الراكعين**
اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل
الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم من الشرع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه **اتأمرون الناس بالبر** تقرير
مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب
وبر في معاملة الاجانب **وتنسون انفسكم** وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه

وقيل

وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة
القول العمل **افلا تعقلون** قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه
عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل
الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره
لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر **واستعينوا بالصبر والصلاة** متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق
عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم الى الله بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي
هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلاة
ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اي الاستعانة بهما او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها
لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين
والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون** اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون
انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس
بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله
مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذي
هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **واني فضلتكم** عطف على نعمتي **على العالمين** اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم
الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل
البشر على الملك وهو ضعيف **واتقوا يوما** اي ما فيه من الحساب والعذاب **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه
على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة
صفة له يوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به
ثم حذف كما حذف من قوله فما ادري أغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا **ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى
وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره فالاول النصرة والثاني ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له
والثاني اما بأداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه بدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه
والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى **ولا هم ينصرون** يمنعون من عذاب الله تعالى والضمير لما دلت عليه النفس
الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت
المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية
نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباهم تشفع لهم **واذ نجيناكم من آل فرعون** تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي

عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم، واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك، وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء **سوء العذاب** افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا **وفي ذلكم بلاء** محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما **من ربكم** بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما **عظيم** صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين **واذ فرقنا بكم البحر** فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط **فانجيناكم واغرقنا آل فرعون** اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه **وانتم تنظرون** ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى انا نخاف ان يغرق بعضنا فلا نعلم ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد عليه السلام مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره **واذ واعدنا موسى اربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرئ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور **ثم اتخذتم العجل** الها ومعبودا **من بعده** من بعد موسى او مضيه **وانتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس **من بعد ذلك** اي الاتخاذ **لعلكم تشكرون** لكي تشكروا عفوه **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات **واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم** فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين **فاقتلوا انفسكم** تماما لتوبتكم بالبخع وقطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتتلون من الغداة

الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب **ذلكم خير لكم عند بارئكم** من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريق الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان تسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **انه هو التواب الرحيم** الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** لاجل قولك او لن نقر لك **حتى نرى الله جهرة** عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التوراة وكلمك او انك نبي **فاخذتكم الصاعقة** لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهو محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة **وانتم تنظرون** ما اصابكم بنفسه او اثره **ثم بعثناكم من بعد موتكم** بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم **لعلكم تشكرون** نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة **وظللنا عليكم الغمام** سخر الله لهم السحاب يظللهم من الشمس حين كانوا في التيه **وانزلنا عليكم المن والسلوى** الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوءه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **كلوا من طيبات ما رزقناكم** على ارادة القول **وما ظلمونا** فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية** يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه **فكلوا منها حيث شئتم رغدا** واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو **وادخلوا الباب** اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى **سجدا** متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه **وقولوا حطة** اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها **نغفر لكم خطاياكم** بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء همزة لوقوعها بعد الالف فاجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر **وسنزيد المحسنين** ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم** بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا **فانزلنا على الذين ظلموا** كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها **رجزا من السماء بما كانوا يفسقون** عذابا مقدرا بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا **واذ استسقى موسى لقومه** لما عطشوا في التيه **فقلنا اضرب بعصاك الحجر** اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا

او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبرئيل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامر ان يضرب حجرا بعينه
ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى الارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وقيل كان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد
موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع
على طول موسى عليه السلام من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت
كما مر في قوله تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول
من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال
افسادكم وانما قيده وان غلب في الفساد لانه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه
السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون
من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد
ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد
يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجمعوا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سل لنا
بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة
ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله او موسى أتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو
القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه
خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد
العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تأويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرايم فعرب
فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه والصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران
النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه
من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر
او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق
عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان
والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها
وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل
والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة فيها خطوط
من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع

ان الذين آمنوا بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عليه السلام المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا
يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام
والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة
فسموا باسمها او من اسس بانيها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب
وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة
ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار
من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء
لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما
جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي
او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم
عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه السلام يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين
بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء
لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة
فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت
لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها
يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا
بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم
وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها
وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد
عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه
ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر
من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه
وطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزو او اهله

او هزوا ای اباء او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرئ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة
استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم
لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة
ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال
نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات
واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر
غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني
ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم على
المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واسناده
الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر
قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل يعلوه صفرة و
لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا
وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقرة والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا
ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابهة ومتشابه ومتشبهة ومتشبه وانا ان شاء الله لمهتدون اي المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث
لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى
والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل
للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل
او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا
آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء
ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات
فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل
عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم

ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم
فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه اصله تدارأتم فادغمت التاء
في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية
حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل
باصغرها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع
من حضر حيوة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على
احياء الانفس كلها او لكي تعملوا على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه
على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة
بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت
الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة
في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين
العقل والوهم من التدارء والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار
وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها
او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائد عليها او انها مثلها او مثل اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين
واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء
وتنفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة
والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من المثقلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون
وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين
ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه
كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور
ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق
لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومتقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا
وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا
اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب
في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم

بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم
او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون
انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون
يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان
واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية
ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك تطلق
على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرا والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة
لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله
اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء
العلم على كل راي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل
في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوا فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة
لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدايم فويل لهم
مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب
ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا
مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص
باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على
ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما
او منقطعة بمعنى بل تقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان
قولهم ويختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض
لانها من الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة
احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط
الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه
حتى يستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنع عنها مكذبا لمن ينصحه فيها
كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى ان كذبوا بايات الله وقرا نافع خطيئاته وقري خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك
اصحاب النار ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها
على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه على ان يشفع

وعده

وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله
اخبار في معنى النهي كقوله لا تضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة
لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون
وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر
تقديره وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى ومسكين مفعيل
من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقري حسنا بضمتين
وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم
ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه
الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل
الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض
بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح
سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم
فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون
تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدا
وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما
اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكي عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان
لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقري تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم
والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين
وقري باظهارها وتظهرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا
عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في
ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرا حمزة اسرى
وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو
وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم ويفسره
اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة
المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل
الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد

اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن اعمالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر
ويعقوب عما يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب
بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل
اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم
البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو
بالعبرية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة. قلت لزير لم تصله مريمه. ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس
بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبرئيل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته من مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها
الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان
في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة
بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع
الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع او مراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه
وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف
جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا
والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم
بكفرهم كما قال تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون
وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم
من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب
زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين
اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم
بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا
انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل
لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة
فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد عليه السلام بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين
يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية
ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه

وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم كفروا
بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية
لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرا نافع وحده انبياء الله مهموزا في جميع القرآن ولقد جاءكم
موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى
او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم
ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول عليه السلام طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير
القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة اي قلنا خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة
قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب
اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم
يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه
وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها
فبئس ما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت
على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي
على التمني سيما اذا علم انها سالمة لا يشركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد عليه السلام والقرآن وتحريف التورية
ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار
بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي عليه السلام
لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى
ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها
وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم
شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم
صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين
اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم
ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر
فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات
وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل

في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله عليه السلام عمن ينزل عليه فقال جبرئيل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبرئيل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه
مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وأنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام
فقال ما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدو
أحدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبرئيل ثمان لغات قرئ بهن أربع في المشهورة
جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم وجبريل كقنديل قراءة الباقون وأربع في الشواذ
جبرئل وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله **فإنه نزله** البارز الأول لجبرئيل والثاني للقرآن وإضماره غير مذكور
يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج إلى سبق ذكره **على قلبك** فإنه القابل الأول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء
على حكاية كلام الله تعالى كأنه قال قل ما تكلمت به **بإذن الله** بأمره أو تيسيره حال من فاعل نزل **مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين** أحوال من مفعوله
والظاهر أن جواب الشرط فإنه نزله والمعنى من عادى منهم جبرئيل فقد خلع ربقة الإنصاف أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته إياه لنزوله عليك بالوحي
لأنه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علته مقامه أو من عاداه فالسبب في عداوته أنه نزله عليك وقيل محذوف مثل فليمت
غيظا أو فهو عدو لي وأنا عدوه كما قال **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** أراد بعداوة الله مخالفته عنادا
أو معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وأفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما
من جنس آخر والتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع إذ الموجب
لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولأن المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة
والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وأبو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئيل وميكئل وميكال **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات**
وما يكفر بها إلا الفاسقون أي المتمردون من الكفرة والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على أعظمه كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال
للرسول عليه السلام ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك **أوكلما عاهدوا عهدا** الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف
تقديره أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على أن التقدير إلا الذين فسقوا أو كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا **نبذه فريق منهم**
نقضه وأصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وإنما قال فريق لأن بعضهم لم ينقض **بل أكثرهم لا يؤمنون** رد لما يتوهم أن الفريق هم الأقلون أو أن
من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم** كعيسى ومحمد عليهما السلام **نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله**
يعني التوراة لأن كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسول المؤيد بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن
وراء ظهورهم مثل لإعراضهم عنه رأسا بالإعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات إليه **كأنهم لا يعلمون** أنه كتاب الله يعني أن علمهم به يقين ولكن
يتجاهلون عنادا واعلم أنه تعالى دل بالآيتين على أن جل اليهود أربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلون المدلول عليهم
بقوله تعالى بل أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها
ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الأكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** عطف على نبذ
أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها أو تتبعها الشياطين من الجن أو الإنس أو منهما **على ملك سليمان** أي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا

يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب ويلقونها إلى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل إن الجن
تعلم الغيب وإن ملك سليمان تم بهذا العلم وأنه تسخر به الإنس والجن والريح له **وما كفر سليمان** تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه
كفر وأن من كان نبيا كان معصوما عنه **ولكن الشياطين كفروا** باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين **يعلمون الناس السحر**
إغواء وإضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشياطين مما لا يستقل به الإنسان وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه
في الشرارة وخبث النفس فإن التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة
الآلات والأدوية أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز أو لما فيه من الدقة لأنه في الأصل لما خفي سببه **وما أنزل على الملكين** عطف
على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو به نوع أقوى منه أو على ما تتلو وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه
وبين المعجزة وما روي أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما
فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما أنزل
نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة **ببابل** ظرف أو حال من الملكين أو الضمير في أنزل والمشهور أنه بلد من سواد الكوفة **هاروت وماروت**
عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية أبدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما
اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** فمعناه على الأول ما يعلمان أحدا حتى ينصحاه ويقولا له
إنما نحن ابتلاء من الله تعالى فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على أن تعلم السحر وما لا يجوز
اتباعه غير محظور وإنما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا إنا مفتونان فلا تكن مثلنا **فيتعلمون منهما** الضمير لما دل عليه من أحد
ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي من السحر ما يكون سبب تفريقهما **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** لأنه وغيره من الأسباب غير مؤثرة بالذات بل بأمره تعالى
وجعله وقرئ بضاري على الإضافة إلى أحد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف **ويتعلمون ما يضرهم** لأنهم يقصدون به العمل أو لأن العلم يجر إلى
العمل غالبا **ولا ينفعهم** إذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه أن التحرز عنه أولى **ولقد علموا** أي اليهود **لمن اشتراه** أي استبدل ما تتلو
الشياطين بكتاب الله تعالى والأظهر أن اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل **ما له في الآخرة من خلاق** نصيب **ولبئس ما شروا به أنفسهم** يحتمل المعنيين
على ما مر **لو كانوا يعلمون** يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على التعيين أو حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم أولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي
أو العلم الإجمالي بقبح الفعل أو ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فإن من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم **ولو أنهم آمنوا** بالرسول
والكتاب **واتقوا** بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر **لمثوبة من عند الله خير** جواب لو وأصله لأثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به أنفسهم فحذف
الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه إجلالا للمفضل من أن ينسب إليه وتنكير المثوبة لأن المعنى
لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وإنما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لأن المحسن يثوب إليه **لو كانوا يعلمون**
أن ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر والعمل بالعلم **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا** الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون
لرسول الله راعنا أي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته إلى الرعن أو سبه بالكلمة العبرانية
التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر إلينا أو انتظرنا من نظره
وقرئ أنظرنا من الإنظار أي أمهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين أي قولا ذا رعن نسبة إلى الرعن وهو الهوج لما شابه

قولهم راعنا وتسبب السب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به
بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت
تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين
كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء
وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء
يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق
فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه
والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر
ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة
لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نؤخرها من النساء
وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نات بخير منها او مثلها [illegible]
الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير والآية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص
ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة
وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل
اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ
قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت
من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي عليه السلام والمراد هو وامته لقوله وما لكم
وانما افرده لانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير
وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق
بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه ام تريدون ان تسألوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون
وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا
ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل
ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرها عليها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا
فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم
لو يردونكم اي يردونكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم
يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد

ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره
الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله
بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ وما تقدموا من قدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير
لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم
المضمر في كان وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم
وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية
افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت
بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له
على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط
فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد
نجران على النبي عليه السلام واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك
وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال
فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله
والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم
لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى
في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد
الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة
واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما
ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا اي
ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه
ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافر
على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه

التدارک وقیل هی توطئة لنسخ القبلة وتنزیه للمعبود ان یکون فی حیز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت الیهود عزیر ابن الله والنصاری
المسیح ابن الله ومشرکوا العرب الملائکة بنات الله وعطفه على قالت الیهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغیر واو سبحانه تنزیه له عن ذلک
فانه یقتضی التشبیه والحاجة وسرعة الفناء الا یری ان الاجرام الفلکیة مع امکانها وفنائها لما کانت باقیة مادام العالم لم تتخذ ما یکون لها کالولد
اتخاذ الحیوان والنبات اختیارا او طبعا بل له ما فی السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما فی السموات والارض
الذی من جملته الملائکة وعزیر والمسیح کل له قانتون منقادون لا یستعصون على مشیته وتکوینه وکل ما کان بهذه الصفة لم یجانس مکونه الواجب لذاته فلا یکون
له ولد لان من حق الولد ان یجانس والده وانما جاء بما الذی لغیر اولی العلم وقال قانتون على تغلیب اولی العلم تحقیرا لشأنهم وتنوین کل عوض
عن المضاف الیه ای کل ما فیهما ویجوز ان یراد کل من جعلوه لله ولدا مطیعون مقرون بالعبودیة فیکون الزاما بعد اقامة الحجة والآیة مشعرة على فساد
ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملک ولده عتق علیه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملک وذلک یقتضی تنافیهما بدیع السموات والارض
مبدعهما ونظیره السمیع فی قوله • امن ریحانة الداعی السمیع • او بدیع سمواته وارضه من بدع فهو بدیع وهو حجة رابعة وتقریرها ان الوالد عنصر الولد
المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشیاء کلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا یکون والدا والابداع اختراع الشیء لا عن شیء
دفعة وهو الیق بهذا الموضع من الصنع الذی هو ترکیب الصورة بالعنصر والتکوین الذی یکون بتغییر وفی زمان غالبا وقرئ بدیع مجرورا على البدل
من الضمیر فی له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا ای اراد شیئا واصل القضاء اتمام الشیء قولا کقوله وقضى ربک او فعلا فقضاهن سبع سموات
واطلق على تعلق الارادة الالهیة بوجود الشیء من حیث انه یوجبه فانما یقول له کن فیکون من کان التامة ای احدث فیحدث ولیس المراد به حقیقة امر
وامتثال بل تمثیل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطیع بلا توقف وفیه تقریر لمعنى الابداع وایماء الى حجة خامسة وهو ان
اتخاذ الولد یکون باطوار ومهلة وفعله تعالى یستغنی عن ذلک وقرأ ابن عامر فیکون بنصب النون واعلم ان السبب فی هذه الضلالة ان ارباب
الشرائع المتقدمة کانوا یطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الرب الاکبر
ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلک تقلیدا ولذلک کفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذین لا یعلمون
ای جهلة المشرکین او المتجاهلون من اهل الکتاب لولا یکلمنا الله هلا یکلمنا الله کما یکلم الملائکة او یوحی الینا بانک رسوله او تأتینا آیة حجة على صدقک
والاول استکبار والثانی جحود لان ما آتاهم آیات استهانة به وعنادا کذلک قال الذین من قبلهم من الامم الماضیة مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة
هل یستطیع ربک ان ینزل علینا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم فی العمى والعناد وقرئ بتشدید الشین قد بینا الآیات لقوم
یوقنون ای یطلبون الیقین او یوقنون الحقائق لا یعتریهم شبهة ولا عناد وفیه اشارة الى انهم ما قالوا ذلک لخفاء فی الآیات او لطلب مزید یقین
وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناک بالحق ملتبسا مؤیدا به بشیرا ونذیرا فلا علیک ان اصروا وکابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحیم ما لهم لم یؤمنوا
بعد ان بلغت وقرأ نافع ویعقوب ولا تسأل على انه نهی للرسول عن السؤال عن حال ابویه او تعظیم لعقوبة الکفار کأنها لفظاعتها لا تقدر ان تخبر عنها
او السامع لا یصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحیم المتأجج من النار ولن ترضى عنک الیهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة فی اقناط
الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم یرضوا عنه حتى یتبع ملتهم فکیف یتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلک فحکى الله عنهم ولذلک قال قل تعلیما للجواب
ان هدى الله هو الهدى ای هدى الله الذی هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون الیه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة
ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبیائه من امللت الکتاب اذا املیته والهوى رأی یتبع الشهوة بعد الذی جاءک من العلم ای الوحی او الدین المعلوم صحته

مالک

مالک من الله من ولی ولا نصیر یدفع عنک عقابه وهو جواب لئن الذین آتیناهم الکتاب یرید به مؤمنی اهل الکتاب یتلونه حق تلاوته بمراعاة
اللفظ عن التحریف والتدبر فی معناه والعمل بمقتضاه اولئک یؤمنون به بکتابهم دون المحرفین ومن یکفر به بالتحریف والکفر بما یصدقه فاولئک هم الخاسرون
حیث اشتروا الکفر بالایمان یا بنی اسرائیل اذکروا نعمتی التی انعمت علیکم وانی فضلتکم على العالمین واتقوا یوما لا تجزی نفس عن نفس شیئا ولا یقبل منها
عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ینصرون لما صدر قصتهم بالامر بذکر النعم والقیام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها
کرر ذلک وختم به الکلام معهم مبالغة فی النصح وایذانا بانه فذلکة القضیة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهیم ربه بکلمات کلفه باوامر ونواه
والابتلاء فی الاصل التکلیف بالامر الشاق من البلاء لکنه لما استلزم اختبارا بالنسبة الى من یجهل العواقب ظن ترادفهما والضمیر لابراهیم وحسن لتقدمه
لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدیرین والکلمات قد تطلق على المعانی فلذلک فسرت بالخصال الثلثین المذکورة المحمودة فی قوله
التائبون العابدون وقوله ان المسلمین الى آخر الآیتین وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئک هم الوارثون کما فسرت بها فی قوله فتلقى آدم
من ربه کلمات وبالعشر التی هی من سننه وبمناسک الحج وبالکوکب والقمرین والذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر
وبما تضمنه الآیات التی بعدها وقرئ ابراهیم ربه على انه دعا ربه بکلمات مثل ارنی کیف تحیی الموتى اجعل هذا البلد آمنا لیرى هل یجیبه وقرأ
ابن عامر ابراهام فاتمهن فأداهن کملا وقام بهن حق القیام لقوله وابراهیم الذی وفى وفی القراءة الاخیرة الضمیر لربه ای اعطاه جمیع ما دعاه
قال انی جاعلک للناس اماما استیناف ان اضمرت ناصب اذ کأنه قیل فماذا قال له ربه حین اتمهن فاجیب بذلک او بیان لقوله ابتلى فتکون الکلمات
ما ذکره من الامامة وتطهیر البیت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذی له مفعولان
والامام اسم من یؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم یبعث بعده نبی الا کان من ذریته مأمورا باتباعه قال ومن ذریتی عطف على الکاف ای
وبعض ذریتی کما تقول وزیدا فی جواب ساکرمک والذریة نسل الرجل فعلیة او فعولة قلبت راؤها الثالثة یاء کما فی تقضیت من الذر بمعنى
التفریق او فعولة او فعیلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذریتی بالکسر وهی لغة فیه قال لا ینال عهدی الظالمین اجابة الى ملتمسه
وتنبیه على انه قد یکون من ذریته ظلمة وانهم لا ینالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا یصلح لها وانما ینالها البررة الاتقیاء منهم
وفیه دلیل على عصمة الانبیاء من الکبائر قبل البعثة وان الفاسق لا یصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ کل ما نالک فقد نلته واذ جعلنا البیت
ای الکعبة غلب علیها کالنجم على الثریا مثابة للناس مرجعا یثوب الیه اعیان الزوار او امثالهم او موضع ثواب یثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات
لانه مثابة کل احد وامنا وموضع امن لا یتعرض لاهله کقوله حرما آمنا ویتخطف الناس من حولهم او یأمن حاجه من عذاب الآخرة من حیث ان الحج یجب
ما قبله او لا یؤاخذ الجانی الملتجئ الیه حتى یخرج وهو مذهب ابی حنیفة واتخذوا من مقام ابراهیم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا
لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقدیره ثوبوا الیه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد علیه السلام وهو امر استحباب ومقام ابراهیم الحجر الذی فیه
اثر قدمه والموضع الذی کان فیه حین قام علیه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البیت وهو موضعه الیوم روی انه علیه السلام اخذ بید عمر فقال هذا
مقام ابراهیم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلک فلم تغب الشمس حتى نزلت وقیل المراد به الامر برکعتی الطواف لما روی جابر انه علیه السلام
لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهیم فصلى خلفه رکعتین وقرأ واتخذوا من مقام ابراهیم مصلى وللشافعی فی وجوبهما قولان وقیل مقام ابراهیم
الحرم کله وقیل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان یدعى فیها ویتقرب الى الله وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضی عطفا على جعلنا ای واتخذ
الناس مقامه الموسوم به یعنی الکعبة قبلة یصلون الیها وعهدنا الى ابراهیم واسمعیل امرناهما ان طهرا بیتی بان طهرا ویجوز ان تکون مفسرة لتضمن العهد

معنى القول يريد طهراه من الأوثان والأنجاس وما لا يليق به أو أخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده أو المعتكفين فيه
والركع السجود أي المصلين جمع راكع وساجد وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا يريد البلد أو المكان بلداً آمناً ذا أمن كقوله في عيشة راضية أو آمناً
أهله كقولك ليل نائم وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر أبدل من آمن من أهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر
عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس إبراهيم الرزق على الإمامة فنبهه سبحانه على أن الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الإمامة
والتقدم في الدين أو مبتدأ متضمن معنى الشرط فأمتعه قليلاً خبره والكفر وإن لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بأن يجعله مقصوراً بحظوظ
الدنيا غير متوسل به إلى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم أضطره إلى عذاب النار أي ألزه إليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم
وقليلاً نصب على المصدر أو الظرف وقرئ بلفظ الأمر فيهما على أنه من دعاء إبراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فأمتعه من أمتع وقرئ فنمتعه ثم
نضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة وأطره بإدغام الضاد وهو ضعيف لأن حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير
المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس صفة غالبة
من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فإنه ينقلها عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع ويحتمل
أن يراد بها سافات البناء فإن كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته وإظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس إلى حجه
وفي إبهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها وإسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين
أو على التناوب ربنا تقبل منا أي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما إنك أنت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك
مخلصين لك من أسلم وجهه أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الإخلاص والإذعان أو الثبات عليه وقرئ مسلمين على أن المراد
أنفسهما وهاجر أو أن التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا أمة مسلمة لك أي واجعل بعض ذريتنا وإنما خص الذرية بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة
ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع وخص بعضهم لما علما أن في ذريتهما ظلمة وعلما أن الحكمة الإلهية لا تقتضي الاتفاق على الإخلاص والإقبال
الكلي على الله فإنه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أراد بالأمة أمة محمد عليه السلام ويجوز أن يكون من للتبيين كقوله وعد الله
الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن وأرنا مناسكنا من رأى بمعنى
أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج أو مذابحنا والنسك في الأصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة
والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب أرنا قياساً على فخذ في فخذ وفيه إجحاف لأن الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري
عن أبي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما أو عما فرط منهما سهواً ولعلهما قالاه هضماً لأنفسهما وإرشاداً لذريتهما إنك أنت التواب الرحيم
لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الأمة المسلمة رسولاً منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عليه السلام فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه السلام
أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن
والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي إنك أنت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب
عن ملة إبراهيم استبعاد وإنكار لأن يكون أحد يرغب عن ملته الواضحة الغراء أي لا يرغب أحد عن ملته إلا من سفه نفسه إلا من استمهنها وأذلها واستخف بها
قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وقيل أصله سفه نفسه على الرفع فنصب
على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام أو سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل

الرفع على المختار بدلاً من الضمير في يرغب لأنه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فإن
من كان صفوة العباد في الدنيا وكان مشهوداً له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقاً بالاتباع لا يرغب عنه إلا سفيه أو متسفه أذل نفسه
بالجهل والإعراض عن النظر إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل اذكر
ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة إلى الإذعان وإخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر
بباله دلائله المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام روي أنها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فأسلم
سلمة وأبى مهاجر ووصى بها إبراهيم بنيه التوصية هو التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها الوصل يقال وصاه إذا وصله وفصاه إذا فصله
كأن الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة أو لقوله أسلمت على تأويل الكلمة أو الجملة وقرأ نافع وابن عامر أوصى والأول أبلغ ويعقوب
عطف على إبراهيم أي وصى هو أيضاً بها بنيه وقرئ بالنصب على أنه ممن وصاه إبراهيم يا بني على إضمار القول عند البصريين متعلق بوصى
عند الكوفيين لأنه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة أخبرانا إنا رأينا رجلاً عرياناً بالكسر وبنو إبراهيم كانوا أربعة إسمعيل وإسحق ومدين ومدان وقيل
ثمانية وقيل أربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخون وزبولون ودذني وتفتوني وكوذا وأوشير وبنيامين ويوسف
إن الله اصطفى لكم الدين دين الإسلام الذي هو صفوة الأديان لقوله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام
والمقصود هو النهي عن أن يكونوا على تلك الحال إذا ماتوا والأمر بالثبات على الإسلام كقولك لا تصل إلا وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه وأن من حقه أن لا يحل بهم ونظيره في الأمر مت وأنت شهيد روي أن اليهود قالوا لرسول الله عليه السلام
ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ما كنتم
حاضرين إذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء وقيل الخطاب
للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وإنما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر إذ قال لبنيه بدل من إذ حضر ما تعبدون من بعدي أي شيء تعبدونه أراد به تقريرهم
على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن تعيينه وإذا سئل
عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم طبيب قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب عبادته وعد
إسماعيل من آبائه تغليباً للأب والجد أو لأنه كالأب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه كما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي وقرئ إله أبيك
على أنه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين أصواتنا بكين وفديننا بالأبينا أو مفرد وإبراهيم وحده عطف بيان إلهاً واحداً بدل من إله آبائك كقوله
بالناصية ناصية كاذبة خاطئة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد أو نصب على
الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما ويحتمل أن يكون اعتراضاً تلك أمة قد خلت يعني إبراهيم ويعقوب وبنيهما والأمة
في الأصل المقصود وسمي بها الجماعة لأن الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل أجر عمله والمعنى أن انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم وإنما تنتفعون
بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم
وقالوا كونوا هوداً أو نصارى الضمير الغائب لأهل الكتاب وأو للتنويع والمعنى مقالتهم أحد هذين القولين قالت اليهود كونوا هوداً وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الأمر قل بل ملة إبراهيم أي بل نكون ملة إبراهيم أي أهل ملته أو بل نتبع ملة إبراهيم وقد قرئ بالرفع أي ملته ملتنا أو عكسه
أو نحن ملته بمعنى نحن أهل ملته حنيفاً مائلاً عن الباطل إلى الحق حال من المضاف أو المضاف إليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً وما كان

من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا
يعني القرآن قدم ذكره لانه اولى بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف
وهي وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط
وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناؤه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالحكم بالمع
لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم
من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون
مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين
كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق
او مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به فان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما يقولون لهم
فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم
بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله
صبغة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان
تطهيرا وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء
وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا
وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا واتبعوا ملة ابراهيم وقولوا
بدل من اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب
قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة
حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون
موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة
والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء
اليهودية والنصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله
وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني
شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا
هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون

وعيد

جز الثاني

وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع
من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء عليهم السلام
وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خف احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد به المنكرين
لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت
المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه اليه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به
مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة
وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم
او جعلنا قبلتكم افضل القبلة جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب
ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها
مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل بها على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به
عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل
على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك
على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين
فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى
بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى
وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول عليه السلام شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة
فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه يجعل
الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن
من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص
على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط
الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لتميز الثابت عنه ويشهد له قراءة ليعلم على
البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب
وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التولية او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان
والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا
كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ مراعاة للفواصل

بالنصر قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان النبي عليه السلام يقع في روعه ويتوقع من ربه
ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل
فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت
مشية الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد الحرام دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة
والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة
في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم
فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيد الامر القبلة
وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه
يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا
الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك
لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له
وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا ترجى
توافقهم كما لا ترجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا
بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا
عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير للرسول عليه السلام وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه
وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام
عن النبي عليه السلام فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد عليه السلام انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول
او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اي هو
الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به
وليس المراد به نهي النبي عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب
المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين
محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف
العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات
وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف يجمعكم الاجزاء ومعرفتها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما
تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل

شی

شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه
وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر
هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة
وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان
القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله
فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا
والمشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم
فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى
حجتهم داحضة لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم ولا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم ولاتم نعمتي
عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم
نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل
بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلو عليكم آياتنا
ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم
ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج
المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء
بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي
وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم
الوجع والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة
وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة
ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة
الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم
ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله تعالى والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة
والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم
فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول عليه السلام او لمن تأتي منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان

من كره لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه
ويتذكر نعم الله تعالى عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه قوله اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي
عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث
استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه الزيادة فغلبا شرعا على قصد البيت
وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا
مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف
في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال ابن عباس وانس لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل
في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي
فمن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب
على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله
يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالآيات
الشاهدة على امر محمد عليه السلام والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا
ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم
بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعن الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة
والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني من ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها
اي في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون
او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها
لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم
كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او المبتدأ محذوف قيل لما سمعه
المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض
لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما لقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه
والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ
بضمتين على الاصل والجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء

يحتمل

يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر
وتكوين النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح
في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي
امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها
بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة
يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات
او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض
اصلا وعلى هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ
لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل
بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلف لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف
علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم
لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته
اي يسوون بينه وبينهم في محبته والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله
ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله
لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم
القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو
يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين
ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي عليه السلام اي
ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستئناف او اضمار
القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب
اي راءين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب
الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ
منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم
بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما
في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل

كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل عليه الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا
الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة
جعلت ضمة الطاء كأنها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالات
لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر
لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام
العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند
الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم
للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدنا عليه نزلت
في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان
آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون
في امر الدين لا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه
محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
على حذف المضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كمثل البهائم الذي ينعق عليها والمعنى ان الكفرة لانهماكهم
في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه
وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم
الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك
من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على
الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم وحلل لكم
ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي عليه السلام يقول الله تعالى
اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين
من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثناء الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل
كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت
عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة ان رفع الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت
وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي
ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة

فيه

فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار
كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون
في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنهم اكلوا النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى
القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله
كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم لا يثني عليهم
ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية
فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او
استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل
الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب والكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض
او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما
الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر التوجه الى قبلته
فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيناه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة
او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس
او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد
لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم احق لانه صدقة وصلة كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك صدقة وصلة
والمساكين جمع مسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق
وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها
بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها
والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء
في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون
عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد
وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة
الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام

من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى كان في الجاهلية
بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله
عليه السلام فنزلت وأمرهم أن يتباوءوا ولا تدل على أن لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى كما لا تدل على عكسه فإن المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض
سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وإنما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده أو عبد غيره لما روي عن علي رضي الله عنه أن رجلا قتل عبده
فجلده النبي عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه أنه قال من السنة أن لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الأطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لأنه حكاية ما في التورية
فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على أن مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف إذ الواجب على التخيير يصدق عليه أنه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير
بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القرآن فمن عفي له من أخيه شيء أي شيء من العفو
لأن عفا لازم وفائدته الإشعار بأن بعض العفو كالعفو التام في إسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف إذ لم يثبت عفا
الشيء بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا عدي به إلى الذنب عدي إلى الجاني
باللام وعليه ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة أخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الأخوة الثابتة بينهما من الجنسية والإسلام ليرق له
ويعطف عليه فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان أي فليكن اتباع أو فالأمر اتباع والمراد به وصية العافي بأن يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه
بأن يؤديها بإحسان وهو أن لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على أن الدية أحد مقتضى العمد وإلا لما رتب الأمر بأدائها على مطلق العفو وللشافعي في المسألة
قولان ذلك أي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو
مطلقا وخيرت هذه الأمة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو وأخذ الدية فله عذاب أليم
في الآخرة وقيل في الدنيا بأن يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا أعافي أحدا قتل بعد أخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة
من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لأن العلم به يردع القاتل
عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم وإذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك
سببا لحيوتهم وعلى الأول فيه إضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الأخروية فإن القاتل إذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ في الآخرة ولكم
في القصاص حيوة يحتمل أن يكونا خبرين لحيوة وأن يكون أحدهما خبرا والآخر صلة أو حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص أي فيما قص عليكم
من حكم القتل حيوة أو في القرآن حيوة للقلوب يا أولي الألباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ
النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والإذعان له أو عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت أي حضر
أسبابه وظهر أماراته إن ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله إن ترك خيرا
والخير هو المال الكثير وعن عائشة أن رجلا أراد أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك
خيرا وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والأقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل أو على تأويل أن يوصي أو الإيصاء ولذلك ذكر
الراجع في قوله فمن بدله والعامل في إذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط بإضمار الفاء كقوله من يفعل
الحسنات الله يشكرها ورد بأنه إن صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الإسلام فنسخ بآية المواريث ولقوله عليه السلام إن الله أعطى كل ذي حق

حقه

حقه ألا لا وصية لوارث وفيه نظر لأن آيات المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث إنها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد
وتلقي الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى الله من توريث الوالدين والأقربين بقوله يوصيكم الله
أو بإيصاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد أي حق
ذلك حقا فمن بدله غيره من الأوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل إليه وتحقق عنده فإنما إثمه على الذين يبدلونه فما إثم الإيصاء المغير
أو التبديل إلا على مبدله لأنهم الذين خانوا وخالفوا الشرع إن الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص أي توقع وعلم من قولهم
أخاف أن ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر موص جنفا ميلا بالخطأ في الوصية أو إثما تعمدا للحيف فأصلح بينهم بين الموصى لهم
بإجرائهم على نهج الشرع فلا إثم عليه في هذا التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق بخلاف الأول إن الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة
لمطابقة ذكر الإثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الأنبياء والأمم من لدن
آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الإمساك عما تنازع إليه النفس وفي الشرع الإمساك عن المفطرات
فإنها معظم ما تشتهيه الأنفس لعلكم تتقون المعاصي فإن الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو الإخلال
بأدائه لأصالته وقدمه أياما معدودات موقتات بعدد معلوم أو قلائل فإن القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام
لوقوع الفصل بينهما بل بإضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان أو ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء أو ثلاثة أيام
من كل شهر أو بكما كتب على الظرفية أو على أنه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الأيام لما روي أن رمضان كتب
على النصارى فوقع في برد أو حر شديد فحولوه إلى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم فمن كان منكم
مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه أو على سفر أو راكب سفر وفيه إيماء بأن من سافر أثناء اليوم لم يفطر فعدة من أيام أخر أي فعليه صوم عدة أيام
المرض أو السفر من أيام أخر إن أفطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف إليه للعلم بها وقرئ بالنصب أي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة
وقيل على الوجوب وإليه ذهب الظاهرية وبه قال أبو هريرة وعلى الذين يطيقونه أي وعلى المطيقين للصيام إن أفطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك أول الأمر لما أمروا بالصوم فاشتد عليهم لأنهم لم يتعودوه
ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر بإضافة الفدية إلى الطعام وجمع المساكين وقرأ هشام مساكين بغير إضافة الفدية إلى الطعام والباقون بغير إضافة
وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه أي يكلفونه أو يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة ويتطوقونه أي يتكلفونه أو يتقلدونه ويطوقونه
بالإدغام ويطيقونه ويطيقونه على أن أصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءة يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن
يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الإفطار والفدية فيكون ثابتا وقد أول به القراءة المشهورة أي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع
خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع أو الخير خير له وأن تصوموا أيها المطيقون أو المطوقون وجهدتم طاقتكم أو المرخصون في الإفطار ليندرج تحته المريض
والمسافر خير لكم من الفدية أو تطوع الخير أو منهما ومن التأخير للقضاء إن كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه
ما قبله أي اخترتموه وقيل معناه إن كنتم من أهل العلم والتدبر علمتم أن الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده أو خبر مبتدأ محذوف تقديره
ذلكم شهر رمضان أو بدل من الصيام على حذف المضاف أي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على إضمار صوموا أو على أنه
مفعول وأن تصوموا وهو ضعيف أو بدل من أياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض إذا احترق فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف

للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس
وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة
الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شأنه القرآن وهو
قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والزبور
لثمان عشرة من رمضان والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط
وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس
باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن
مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني
على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق
اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا
علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة
مثل ليسهل عليكم او لتعلموا او لتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك
عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني
قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم
اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى
لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم
مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع
الى ان يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا وان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عليه السلام واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء
فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه
معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر
عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى جيدها
تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها
من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم
وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى

ان

ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش
الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل
ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون يأكلون ويشربون
حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس
على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه
ونفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء
وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد
وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى عن ان يقرب الحد
الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه
وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر
والنواهي ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال
وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال
الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي
ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله عليه السلام بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه السلام
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا
ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما
اقضي له قطعة من نار يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص
حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون
معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات
من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر
وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها وقرأ ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر ولكن البر من اتقى وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف لكن
ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم
انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج
ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوا تنبيها على ان اللائق
بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر
ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله

في تغيير الحكمة والاعراض عن افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبانية والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله عليه السلام عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا وهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم فيه لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد

لكل

لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فروي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال سعة وامن فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي ان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج

كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع
على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر
الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقب به النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله تعالى وتقواه
حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرأ عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب
بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم
في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة
واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع
تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وههنا ليس كذلك او لان التأنيث
اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها
لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه
او لان جبرئيل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم عليه السلام وحواء عليهما السلام التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه
وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها
بقوله تعالى ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو واجب مقيد لا واجب مطلق حتى تجب
مقدمته والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي
عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل
واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف
الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي من قبل الهدى
لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا
من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان
يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب
عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم
في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله
كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر
آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ
او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر

المعنى بتقدير او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين
والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور
بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب
النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن رحمه الله الحسنة
في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة
الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه
ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب
الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوة وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها
في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عند
فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه فمن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رحمه الله يجوز تقديم رميه على الزوال
ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او الاحكام لمن اتقى
لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد
الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه
في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او يعجبك اي يعجبك
قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله
على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى
اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي كان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله عليه السلام ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين
كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف
اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر
باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار
وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري
نفسه يبيعها يبذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي
اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه
واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا
في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة
لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع

استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب
فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب
الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم
الا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه كقوله تعالى او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا
او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب
الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة واذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء
من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم
اهلاكهم وفرغ منه فوضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبنائه للمفعول
سل بني اسرائيل امر للرسول عليه السلام او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق
والصواب على يدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميز لها
ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل
الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل
فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا
عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة
وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن
بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا السخرية مبتداة منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل
السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين
آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء
اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او
او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء
مائة واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد
انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق
شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب
الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم
حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره

او

او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي عليه السلام والمؤمنين بعد ما ذكر
اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم
واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على
الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت
حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره الا ان نصر الله قريب
استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده
برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو بن الجموح الانصاري كان شيخا هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت
قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة
باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى
الشرط فان الله به عليم جوابه ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم
شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه
على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان
النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل
على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى
الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف
وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم
وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله عليه السلام العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله
الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ
عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص
بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام
او ما يوصل العبد الى الله تعالى من الطاعة وكفر به اي بالله تعالى والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا
على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي عليه السلام والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية
خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي
ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها
حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي

فلا تبق على ايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال
كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية
والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا
من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله
ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال
الاجر والثواب يسألونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر
ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن
ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكى الى رسول الله عليه السلام فقال عمر
اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب
والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر
اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك
عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور به وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع
للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد
التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك
لما مر ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه
يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى النبي عليه السلام ببيضة
من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال
ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ذكر من الاحكام
والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون
في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم
ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك
لرسول الله عليه السلام فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة
اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد
واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز
غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي لا تزوجوهن من المسلمين
والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى عما يشركون ولكنها خصت

عنها

عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها
في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله عليه السلام فاستأمره فنزلت
ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى
ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم
وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الى الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم
ومصاهرتهم والله يدعوا اي واولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم الى الجنة والمغفرة اي الى الاعتقاد والعمل الموصلين
اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم
التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود
والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك
بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف
الجمع قل هو اذى اي الحيض شيء مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم
كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان
لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله
فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تأخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتى
الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير
المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان
لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك
لرسول الله عليه السلام فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول عليه السلام ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره
منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق رضي الله عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة
او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون
الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام
لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى
الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة للنهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس
فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله

باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله
وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما
بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة رحمه الله اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه
من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون
من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله
خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء
ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رحمه الله لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءو اي رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم
حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم
فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت
بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات
والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصد
ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء
طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض
لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض
وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض
واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر
ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء
ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل
لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن
بالله واليوم الاخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن
اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه
كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف
المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شرطية
قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الاضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن
في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف
وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر
على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال

او تسريح

او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تأخذوا مما اتيتموهن
شيئا من الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله عليه السلام فقالت لا انا ولا ثابت
لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعتبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم
سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع
وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف
بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل
الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به
نفسها واختلعت وعلى المرأة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع
ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام
قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد
لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله
فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق
بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة
وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما
كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله عليه السلام
ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال عليه السلام اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم
قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج
والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة
وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى
الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد
لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام
المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال
لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد
في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن
حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك

العدة حتى تشارف الاجل ثم راجعها لتطول العدة عليها نهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل
يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتق واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما
يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تأكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي
دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل
اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد
النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا
لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل للاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا
كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضتها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف
لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف
وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تأويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد
الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة
المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع
واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة
ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن
وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك
لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع
حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة
للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي
ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد
بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب
اي لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله
على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدة الولد
بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة
الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك

عطف

عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله
اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما
عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك
اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما
قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة
لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة
الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل
على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرأ
ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن
شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة
في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي ازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ
يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا
الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك
لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ
يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص
الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع
ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه
وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة
والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم
في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن
سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه
وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف
اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه

ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع
حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور
لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم اي لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي عليه السلام
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا
او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى
لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي
لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية نفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على
مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها امتعها بقلنسوتك
وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة
التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي
يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي فلهن او فالواجب
نصف ما فرضتم لهن لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات
فلا يأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل
مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ها هنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير
فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقدة
نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر
وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق
استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة فطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا
الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة
عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها
خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس
في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان اشق الصلوة عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها
وقيل صلوة الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار
وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى صلوة العصر فيكون صلوة
من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت

الذكر

الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين
ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي
الماشي والمسايف ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم
من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون
وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول
مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية
وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر
مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم
بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة
فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع والثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح
عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لا ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج
والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع
بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق
بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد
والتكرير للتأكيد او لتكرير القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام
ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ
وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا
هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله
ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متآلفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت
مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند
الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم
ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم
على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم ليستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع
امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا
الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفته او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا

أو إنفاقا مقرونا بالإخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والإنفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه
أخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فإن من ذا الذي يقرض الله في معنى أيقرض الله أحد وقرأ
ابن كثير فيضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب أضعافا كثيرة كثرة لا يقدر قدرها إلا الله وقيل الواحد بسبعمائة وأضعافا جمع ضعف ونصبه
على الحال من الضمير المنصوب أو المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير أو المصدر على أن الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط
يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وإليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم ألم تر إلى الملأ
من بني إسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى أي من بعد وفاته ومن للابتداء إذ قالوا لنبي لهم هو يوشع
أو شمعون أو اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله أقم لنا أميرا ننهض معه للقتال يدبر أمره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع
على أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا فصل
بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال إن كتب عليكم فأدخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر
السين قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي أي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الإخراج عن الأوطان
والإفراد عن الأولاد وذلك أن جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني إسرائيل فأخذوا ديارهم وسبوا
أولادهم وأسروا من أبناء الملوك أربعمائة وأربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم
على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يدفعه منع صرفه روي
أن النبي عليه السلام لما دعا الله أن يملكهم أتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت قالوا أنى يكون له الملك علينا من أين يكون له ذلك
ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال أنا أحق منه بالملك وراثة ومكنة وأنه فقير لا مال له يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن طالوت كان فقيرا
راعيا أو سقاء أو دباغا من أولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وإنما كانت النبوة في أولاد لاوي بن يعقوب والملك في أولاد يهوذا وكان
فيهم من السبطين خلق قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك أولا بأن العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانيا بأن الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية
وجسامة البدن ليكون أعظم خطرا في القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه
وثالثا بأنه تعالى مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتيه من يشاء ورابعا بأنه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره
وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على أنه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فإنه لا يزال يرجع
إليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله أبدله منه كما أبدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة
وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للإتيان أي في إتيانه سكون لكم وطمأنينة أو للتابوت أي مودع
فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس
كرأس الهرة وذنب كذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الأنبياء من آدم عليه السلام
وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والإخلاص وإتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد أن لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون رضاض الألواح
وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما أبناؤهما أو أنفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما أو أنبياء بني إسرائيل لأنهم أبناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى

فنزلت به الملائكة وهم ينظرون إليه وقيل كان بعده مع أنبيائهم يستفتحون به حتى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في أرض جالوت إلى أن ملك الله طالوت
فأصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة إلى طالوت إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين
يحتمل أن يكون من تمام كلام النبي عليه السلام وأن يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة وأصله
فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي أنه قال لهم لا يخرج معي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه مما اختاره ثمانون ألفا
وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا أن يجري الله لهم نهرا قال إن الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من
أشياعي أو ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فإنه مني أي من لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه مأكولا أو مشروبا قال وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا وإنما علم ذلك
بالوحي إن كان نبيا كما قيل أو بإخبار النبي إلا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وإنما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون
على الخبر في قوله إن الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه إلا قليلا منهم أي فكرعوا فيه
إذ الأصل في الشرب منه أن لا يكون بوسط وتعميم الأول ليتصل الاستثناء أو فأفرطوا في الشرب إلا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فإن قوله فشربوا منه في معنى
فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل ألفا روي أن من اقتصر على الغرفة كفته لشربه وإداوته ومن لم يقتصر غلب عليه العطش
واسودت شفته ولم يقدر أن يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه أي القليل الذين لم يخالفوه قالوا أي بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله أي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه
أو علموا أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا
للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الاستفهام والخبر ومن مبينة أو مزيدة والفئة
الفرقة من الناس من فأوت رأسه إذا شققته أو من فاء إذا رجع فوزنها فعة أو فلة والله مع الصابرين بالنصر والإثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده
أي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا إلى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب
بليغ إذ سألوا أولا إفراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الأمر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا
فهزموهم بإذن الله فكسروهم بنصره أو مصاحبين لنصره إياهم إجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان إيشى في عسكر طالوت معه ستة من بنيه
وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فأوحى الله إلى نبيهم أنه الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة أحجار وقالت له
إنك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك أي ملك بني إسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود عليه السلام
على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين
ولولا أنه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وأفسدوا في الأرض ولفسدت الأرض بشؤمه
تلك آيات الله إشارة إلى ما قص من حديث الألوف وتمليك طالوت وإتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق
بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه أهل الكتاب وأرباب التواريخ وإنك لمن المرسلين لما أخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل إشارة إلى الجماعة المذكورة
قصصها في السورة أو المعلومة للرسول أو جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله
تفضيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى وبينهما بون بعيد وقرئ
كلم الله وكالم الله بالنصب فإنه كلم الله كما أن الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بأن فضله على غيره من وجوه متعددة ومراتب متباعدة

وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر
والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام
لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين
من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه
التزام دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء
عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث
بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه
ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب
ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء يشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما
رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون
يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا
كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر
والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له
فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تأخذه سنة ولا نوم
السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ
من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه
وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مأوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذا ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات
وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله
له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شأنه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا
عن ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة
او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء
ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته
وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات
السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة
ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله

مأخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن
الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية
متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب
الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء
كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم
لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة
وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه
الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين
الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة
السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي
اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا
قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام
او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسول فقد استمسك بالعروة
الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها
يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد
ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى
الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استئناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك
في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب
لا يأبى تعلق قدرته وارادته اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى الذي
حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة
العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليه او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج
او بدل من آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الموت والحيوة في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل
والقتل قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم عليه السلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر
فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى
ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم
الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي

القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج أو سبيل النجاة أو طريق الجنة يوم القيمة أو كالذي مر على قرية
تقديره أو رأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لأن المنكر للإحياء كثير والجاهل بكيفيته أكثر من أن يحصى بخلاف مدعي الربوبية
وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام ألم تر إلى الذي حاج أو الذي مر وقيل إنه عطف محمول على المعنى كأنه قيل ألم تر كالذي حاج أو كالذي مر وقيل إنه
من كلام إبراهيم ذكره جوابا بالمعارضة وتقديره أو إن كنت تحيي فأحي كإحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا أو الخضر أو كافر بالبعث ويؤيده نظمه
مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الألوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها
خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الإحياء واستعظاما لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمنا واستبعادا
إن كان كافرا وأنى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى أو على الحال بمعنى كيف فأماته الله مائة عام فألبثه ميتا مائة عام أو أماته الله فلبث ميتا مائة عام
ثم بعثه بالإحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ أن يكلمه وإن كان كافرا لأنه آمن بعد البعث أو شارف الإيمان وقيل ملك أو نبي قال لبثت يوما
أو بعض يوم كقول الظان وقيل مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر إلى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم
على الإضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء أصلية إن قدرت لام السنة
هاء وهاء السكت إن قدرت واوا وقيل أصله لم يتسنن من الحمإ المسنون فأبدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازي وإنما أفرد الضمير لأن الطعام
والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا أو عنبا وشرابه عصيرا أو لبنا وكان الكل على حاله وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه أو انظر إليه سالما
في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والأول أدل على الحال وأوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس أي فعلنا
ذلك لنجعلك آية روي أنه أتى قومه على حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل
لما رجع إلى منزله كان شابا وأولاده شيوخا فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر إلى العظام يعني عظام الحمار أو الأموات الذين تعجب من إحيائهم
كيف ننشزها كيف نحييها أو نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام أي انظر إليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو
ويعقوب ننشرها من أنشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له أن الله على
كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف الأول لدلالة الثاني عليه أو ما قبله أي فلما تبين له ما أشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الأمر
والآمر مخاطبه أو هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى إنما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود أنا أحيي
وأميت قال له إن إحياء الله برد الروح إلى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم وانتقل إلى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب
إن سئل عنه مرة أخرى قال أولم تؤمن بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم أنه أعرف الناس في الإيمان ليجيب بما أجاب
فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أي بلى آمنت ولكن سألت لأزيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان إلى الوحي والاستدلال قال فخذ أربعة من الطير
قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحيوة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف الذي
هو صفة الطاووس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام وإنما خص
الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به أو جمع كصحب فصرهن إليك فأملهن واضممهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا
يلتبس عليك بعد الإحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن أطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت
قنوان الكرم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا ثم اجعل على كل

جبل

جبل منهن جزءا أي ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين بإذن الله يأتينك سعيا
ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن
ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحيوة الأبدية
فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل أو الشرع وكفى لك
شاهدا على فضل إبراهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيرا بعد أن
أماته مائة عام واعلم أن الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أي مثل
نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب
كما يسند إلى الأرض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل
لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الأراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من إخلاصه
وتعبه ومن أجله تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر إنفاقه الذين ينفقون
أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى نزلت في عثمان فإنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف
فإنه أتى النبي بأربعة آلاف درهم صدقة والمن أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وثم للتفاوت بين
الإنفاق وترك المن والأذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند إليه معنى الشرط إيهاما
بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل إلحاحه أو نيل مغفرة من الله بالرد الجميل أو عفو
من السائل بأن يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها أذى خبر عنهما وإنما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن إنفاق بمن
وأذى حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى لا تحبطوا أجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله
رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كإبطال المنافق الذي يرائي بإنفاقه ولا يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة أو مماثلين الذي ينفق رئاء
فالكاف في محل النصب على المصدر أو الحال ورئاء نصب على المفعول له أو الحال بمعنى مرائيا أو المصدر أي إنفاق رئاء فمثله أي فمثل المرائي في إنفاقه
كمثل صفوان كمثل حجر أملس عليه تراب فأصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا أملس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا
رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لأن المراد به الجنس أو الجمع كما في قوله وإن الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين
إلى الخير والرشاد وفيه تعريض بأن الرئاء والمن والأذى على الإنفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوا عنها ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء
مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم وتثبيتا بعض أنفسهم على الإيمان فإن المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
ثبتها كلها أو تصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة
بربوة أي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فإن شجره يكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها
لغات فيها أصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت أكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد
بالضعف المثل كما أريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل أربعة أمثالها ونصبه على الحال أي مضاعفا فإن لم يصبها وابل فطل أي
فيصيبها أو فالذي يصيبها طل أو فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله

بالضعف بحال او كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين
في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب
تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من ساير الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على
احتوائها على ساير انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف
حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على
اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كرياء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى
بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله وجياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي من طيبات ما اخرجنا من الحبوب
والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه
اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم باخذيه
اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره واغضى وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض
او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله
واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شايع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء
ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم
في الدنيا او في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام
بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين
وما يذكر وما يتعظ بما قص من الايات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذو العقول الخالصة
عن شوايب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط
في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور
من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين
على الاصل وقرا ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله عنه
صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرا
ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه
جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائي به مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما
والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن

والنهي

والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا
من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا
من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث
وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف للمنفق استجابة لقوله عليه السلام
اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم
فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف
اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم
ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة
وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله عليه السلام يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم من السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة
الحال والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل
ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر
فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر
وعشرة بالعلانية وقيل في علي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله
والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين
ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع في المطعومات
وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم
على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد
على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط
عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب
بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا
الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم فقد ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة
اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فبلغه
وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى واتعظ واتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه بالتحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة
وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل
يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته

ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه وعنه عليه السلام ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب
لا يرضى لأن الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات أثيم منهمك في ارتكابه إن الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة عطفهما على ما يعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون
على فائت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا إن كنتم مؤمنين بقلوبكم فإن دليله امتثال
ما أمرتم به روي أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي فاعلموا بها
من أذن بالشيء إذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا أي فأعلموا بها غيركم من الإذن وهو الاستماع فإنه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم
وذلك يقتضي أن يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء إلى أمر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي أنها لما نزلت قال ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله
وإن تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون بأخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم
رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه إذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة أي وإن كان الغريم ذا عسرة فنظرة
فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن نظرة وهي الإنظار وقرئ فناظره على الخبر أي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الأمر أي فسامحه
بالنظرة إلى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك عد الأمر الذي
وعدوا وأن تصدقوا بالإبراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم أكثر ثوابا من الإنظار أو خير مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الإنظار
لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله
يوم القيامة أو يوم الموت فتأهبوا لمصيركم إليه وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير أو شر وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين أي إذا داين بعضكم بعضا تقول داينته
إذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه إلى المؤجل والحال وأنه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير
فاكتبوه إلى أجل مسمى معلوم بالأيام والأشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لأنه أوثق وأدفع للنزاع والجمهور على أنه استحباب وعن ابن عباس أن المراد به السلم
وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين
حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق أو لا يأب أن ينفع الناس
بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله وأحسن كما أحسن الله إليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة أمر بها بعد النهي عن الإباء عنها تأكيدا ويجوز أن تتعلق الكاف بالأمر
فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الأمر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لأنه المقر المشهود عليه والإملال والإملاء واحد
وليتق الله ربه أي المملي أو الكاتب ولا يبخس منه شيئا أي من الحق أو مما أملى عليه فإن كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا أو ضعيفا
صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للإملال بنفسه لخرس أو جهل باللغة فليملل وليه بالعدل أي الذي يلي أمره ويقوم مقامه من قيم
إن كان صبيا أو مختل عقل أو وكيل أو مترجم إن كان غير مستطيع وهو دليل على جريان النيابة في الإقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل واستشهدوا
شهيدين واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط إسلام الشهود وإليه ذهب عامة العلماء وقال أبو حنيفة
تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فإن لم يكونا رجلين فإن لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص

بالأموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى علة اعتبار العدد
أي لأجل أن إحداهما إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها الأخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم أعددت السلاح
أن يجيء عدو فأدفعه وكأنه قيل إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة إن تضل على الشرط فتذكر
بالرفع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فتذكر من الإذكار ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا لأداء الشهادة أو التحمل وسموا شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع
وما مزيدة ولا تسأموا أن تكتبوه ولا تملوا من كثرة مدايناتكم أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لأنه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام
لا يقول المؤمن كسلت صغيرا أو كبيرا صغيرا كان الحق أو كبيرا أو مختصرا كان الكتاب أو مشبعا إلى أجله إلى وقت حلوله الذي أقر به المديون ذلكم إشارة إلى أن تكتبوه
أقسط عند الله أكثر قسطا وأقوم للشهادة وأثبت لها وأعون على إقامتها وهما مبنيان من أقسط وأقام على غير القياس أو من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم
وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده وأدنى أن لا ترتابوا وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود ونحو ذلك
إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها استثناء عن الأمر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بعين أو دين وإدارتها بينهم
تعاطيهم إياها يدا بيد أي إلا أن تتبايعوا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر والاسم مضمر تقديره إلا
أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا ورفعها الباقون على أنها الاسم والخبر تديرونها أو على كان
التامة وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع أو مطلقا لأنه أحوط والأوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند أكثر الأئمة وقيل إنها للوجوب ثم اختلف في إحكامها
ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه أنه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الإجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة
أو النهي عن الضرار بهما مثل أن يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وإن تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه
فإنه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة أمره ونهيه ويعلمكم الله أحكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل
الثلاث لاستقلالها فإن الأولى حث على التقوى والثانية وعد بإنعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولأنه أدخل في التعظيم من الكناية وإن كنتم على سفر أي مسافرين
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان أو فعليكم رهان أو فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك
لأنه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير أخذه لأهله بل لإقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة
إعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بإسكان الهاء على التخفيف
فإن أمن بعضكم بعضا أي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بأمانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن أمانته أي دينه سماه أمانة لائتمانه عليه بترك
الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذي تمن بإدغام الياء في التاء وهو خطأ لأن المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة
وإنكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة أيها الشهود أو المديونون والشهادة شهادتهم على أنفسهم ومن يكتمها فإنه آثم قلبه أي يأثم قلبه أو قلبه يأثم والجملة
خبر إن وإسناد الإثم إلى القلب لأن الكتمان مقترفه ونظيره العين زانية والأذن زانية أو للمبالغة فإنه رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال وكأنه قيل تمكن الإثم
في نفسه وأخذ أشرف أجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا وإن
تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على من أنكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون
عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل أو الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وإدغام الراء

في الرحمن والرأي لا يدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة
ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي
ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين باعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه
او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع
في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه
كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي التفرقة بالتصديق والتكذيب
وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها
الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل
على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال
والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطاء
من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي
الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام
رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته
على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة
وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدايد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي
لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا
واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولينا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر
مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام لما دعى بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبها الرحمن بيده
قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وقيل رد
على من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان
تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة

سورة آل عمران مائتا آية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح
الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف
كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها
والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله
لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله
وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف
لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرايع

من قبلنا

من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال
وانزل ساير ما يفرق بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا
منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل او بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم
والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد
والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم
كليا او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف
فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه
عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه ولعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله
العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله عليه السلام نزلت السورة
من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت
من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم
المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب
احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى
وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن آخر من فاما الذين
في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب
والاول يناسب المعاند والثاني يلايم الجاهل وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف
على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد
ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده
وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال
الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه واجيب بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها
وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع
المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا
تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا
من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى

والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزاء يوم لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر
والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود
لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا
عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية
او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم
كما توقد بهم او استيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن
والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبران ابتدأت
بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا
لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم
وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره
وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة
يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعدما قللهم في اعينهم
حتى اجترأوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم
ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول
اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله
يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملها
ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول عليه السلام لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها
شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه
ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض
الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات
والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة
والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والغنم والبقر ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى
ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز
ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله
وبها لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها

متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل
اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة
واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال
كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع
اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال
الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما
للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله تعالى وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به
اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد
والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير
او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد
ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي
عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عليه السلام وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان
او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال
وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ومن ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق
وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى عليه السلام
اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى عليه السلام الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالآيات
والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين
او جادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه
الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفصل
او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أأسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره
قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة والمعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ
اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا
قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل

ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وما لهم من ناصرين
يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير
يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد عليه السلام وكتاب الله القرآن او التورية لما روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث
بن زيد على اي دين انت فقال عليه السلام على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل
نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم
مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض
بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وروي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات
الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن
لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه
في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل
اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند
سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه
وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا وفي الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان
بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب
في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها
المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فجاء عليه السلام واخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف
بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون معه وقال عليه السلام اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني
جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانما انتم
تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر بيده ايضا بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج
الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك
قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص
واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم
الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالات وان في موالاتهم مندوحة عن موالات الكفرة
ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني

صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذر
وتخاف وقرئ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالات حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام
كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي
في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم
ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم
ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية
تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك
اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه
كرره للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب
فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال
الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه
فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم
ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم
لمن يتحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل
في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارع
بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله
فان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا
على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم
اسماعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم رسول الله عليه السلام وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم
بنت عمران بن ماثان بن العازر بن ابي يوذ بن يوزن بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشيا بن اموص بن ميشك بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عوزريا
بن يورام بن ساقط بن ايشا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عميادب بن رام بن حصروم بن فارص بن يهودا
بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض
وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم
باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به
اذ وقيل بنصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته

كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل شجرة اذ رأت
طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران
وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال
فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم بقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى
حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد
ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم
ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله تعالى
والله اعلم اي ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها
فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود
واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عليه السلام ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود
بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذر
وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون
وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي
خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير
مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها
في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها
سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج
اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب
مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى
ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامهما
وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله عليه السلام رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء
خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين
وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم
ومنزلتها من الله تعالى قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ
وقال هب لي من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي

كان

كان جبريل وحده وقرئ حمزة والكسائي فناديه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال اخر
او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي
يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب
فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا الناس كلهم في انه
ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين
ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة او استعظام او تعجب او استفهام عن كيفية حدوثه
وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات
عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه
من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر
كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس
ثلثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك
الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحريك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد
بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين
ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار
وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار
واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كان
معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء
الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال
الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها عما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على
ان الواو لا يوجب الترتيب وليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو
قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص
من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير
كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان
ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها
اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب

ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته
وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف فيحتمل ان يراد به ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره
هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد
من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب **وجيها في الدنيا والآخرة** حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة
وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة **ومن المقربين** من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبته للملائكة
ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد
وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية **ومن الصالحين** حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم **قالت رب**
انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره **قال كذلك الله يخلق ما يشاء** القائل جبريل او الله تعالى
وجبريل حكى له قول الله تعالى **اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها
دفعة من غير ذلك **ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل** كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج
او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما **ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم** منصوب بمضمر
على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص
بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم **اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير** نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع
على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير **فانفخ فيه** الضمير للكاف اي في ذلك المماثل **فيكون طيرا باذن الله** فيصير حيا طيارا بامر الله
نبه به على ان احياءه من الله لا منه **وابرئ الاكمه والابرص** الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه
ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداوي الا بالدعاء **واحيي الموتى باذن الله** كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية
وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها **ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين** موفقين للايمان فان غيرهم
لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين **ومصدقا لما بين يدي من التورية** عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم
اي قد جئتكم مصدقا **ولاحل لكم** مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك **بعض الذي**
حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك
بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان **وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله**
واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل
الفارق بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية
بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والآيات
الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي
ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم **فلما احس عيسى منهم الكفر** تحقق كفرهم عنده

تحقق

تحقق ما يدرك بالحواس **قال من انصاري الى الله** متوجها الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون
انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام **قال الحواريون** حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص
الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها
نحن انصار الله اي انصار دين الله **امنا بالله واشهد بانا مسلمون** لتشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم **ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول**
فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد فانهم شهداء على الناس **ومكروا** اي الذين احس منهم
الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة **ومكر الله** حين رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب
بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله الا على سبيل المقابلة والازدواج **والله خير الماكرين** اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب **اذ قال الله**
ظرف لمكر الله او خير الماكرين او المضمر مثل وقع ذلك **يا عيسى اني متوفيك** اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض
من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه عليه السلام رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه
الى السماء واليه ذهب النصارى **ورافعك الي** الى محل كرامتي ومقر ملائكتي **ومطهرك من الذين كفروا** من سوء جوارهم او قصدهم **وجاعل الذين اتبعوك فوق**
الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى الى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق
لهم ملك ودولة **ثم الي مرجعكم** الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطب على الغائبين **فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** من امر الدين **فاما الذين كفروا**
فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء
والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك **ذلك** اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره **نتلوه عليك** وقوله **من الآيات** حال من الهاء ويجوز ان يكون
الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه **والذكر الحكيم** المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه
يريد به القرآن وقيل اللوح **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم** اي ان شانه الغريب كشان آدم عليه السلام **خلقه من تراب** جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه
خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب **ثم قال له كن** اي انشأ بشرا
كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر **فيكون** حكاية حال ماضية **الحق من ربك** خبر محذوف اي هو الحق
وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله تعالى **فلا تكن من الممترين** خطاب للنبي عليه السلام على طريق التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع **فمن حاجك**
من النصارى **فيه** في عيسى عليه السلام **من بعد ما جاءك من العلم** اي من البينات الموجبة للعلم **فقل تعالوا** هلموا بالرأي والعزم **ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا**
ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب
دونهم **ثم نبتهل** اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار **فنجعل لعنت الله على الكاذبين**
عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل
في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله عليه السلام وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه
لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله عليه السلام وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتي بهم من اهل بيته **ان هذا**

من نبأ عيسى ومريم عليهما السلام لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخلت فيه
لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو
العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع
المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين
وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة
ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير
ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة
من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج في الحجاج بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما
راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم
الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا
بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم
وترافعوا الى رسول الله عليه السلام فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم عليه السلام
قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم
فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى
الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله اانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا
لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان
اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا
على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود
لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون
الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عليه السلام
وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين وتعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز
الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون
الحق نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اوله واظهروا الايمان

بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة
آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنى عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا
في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب
الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي لا تظهروا ايمانكم
بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى
هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد
الوجه الاول اي ألان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى
الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه
بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من
ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روي عن هشام والباقون باشباع
الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه
بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شأن من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا
تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت
قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء
الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به
من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة
او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه
والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية
وبدلوا نعت محمد عليه السلام وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به
وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب
يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن

لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله
وما هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون
فعل العبد فعل الله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا
فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض
افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني
الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب
وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون
من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسون على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر
الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى
من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال ايأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون
لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم
الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة
الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب
القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به
ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام
فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد
وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة
وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك
هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير
دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظة الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير
وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل
وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه يرجعون وقرئ بالياء
على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر الرسول
عليه السلام بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او

عن نفسه

عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل علينا على المنزل على سائر الرسل
لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا
اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد
للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول
دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد
وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان
والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم ومفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون
عن الهدى مؤيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها
في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد
واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم
على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود
كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام والقرآن او كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا
بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه
بالاضمار لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة
حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء هنا للاشعار
به ملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية
ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او
ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم
مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن
تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضا والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس
والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك
مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة فقال زيد انما اردت
ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم

كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما الزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم مبتدأ محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لانه فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما والتجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن يلجأ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالكسر وهي لغة نجد من استطاع اليه سبيلا

يدل

بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد عليه السلام فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال ان الله شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي لا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام

القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب النجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام
ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا
او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال الغل اذ كنتم اعداء
في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لاب فوقع
بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم رسول الله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار
مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث
ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك
التبيين يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب
الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط
بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة آمرين كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر والدعاء
الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون
المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا
ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت
من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام
اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل
يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم
على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله عليه السلام بعد ايمانهم به قبل مبعثه
او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره
في طاعة الله لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة
بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق
كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طارئ
كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف

بين كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر
ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل
بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك
ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون
في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم
بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت
الدبرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية
من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل
والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله
او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم
احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم
حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستحقاق الغضب في الآخرة كما هو معلل
بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة
استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون
القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها
لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله
واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون
عن الحق غير متعبدين في الليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون في الخيرات واولئك
من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص
ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون
بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة
او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به
او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد
تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه
الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها

بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكنّ اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر
ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله * ولكن من يبصر جفونك يعشق * يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به
شبه ببطانة كما انه من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير والاصل ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك
نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم
لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين
ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم
اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار فتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال
والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم
لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا
وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف
قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو
اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا
على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله والحفظ الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد
في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره
يضيره ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه واذ غدوت
اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد
والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء
ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله عليه السلام اصحابه وقد دعى عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم
الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت
في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله
بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت ونزل في عدوة
الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع
عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج
في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال
انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله

والله

والله وليهما اي عاصمهما من اتباع تلك الخطرات ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا
على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى به فسمي به وانتم اذلة
حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم به
عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت
على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان
يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو
وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى
ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا
من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان
الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة
الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة
في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحثا ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي
لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر
ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان في يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت
شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم
عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد
مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء
او التوبة عليهم او تعذيبهم وان تكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص
شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم
من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي
وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا
مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف
مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة
وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام
والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة

على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض أعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على
ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة
او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه
مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس
التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي عليه السلام ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل
الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه وحقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم
بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار
والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون
حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به والجملة
مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد
النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة
وكفاك فارقا بين القبيلتين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه
وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل
تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله
في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال الشاعر ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثله في سالف السنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا
اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة
وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم
اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم
اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق
على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم
ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها
بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام
تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم
ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا

ذلك

ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء
وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد
والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم
وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا بعضكم وفيه دليل على ان الجهاد فرض على الكفاية والفرق بين لما
ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع
على ان الواو للحال كأنه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين
لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع الرسول مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا
شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا
عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على
اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة
للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله عليه السلام بحجر وكسر رباعيته
وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس فجعل الرسول عليه السلام يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق
الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر
عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه فقال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون
وابرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات
عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى
وقضائه لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول عليه السلام بالحفظ وتأخير
الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض لمن شغلته
الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا
عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين اصله
اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم
رعملي في لعمري فصار كيئن ثم حذفت الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون
علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون
او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما
اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله

من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكن من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهو عرض
بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم
هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة
وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله
بسبب الاستغفار واللجاء الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم ودينكم
ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينكم وقيل عام في مطاوعة الكفار والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم
بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله وقيل لما رجعوا كانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم
على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب
بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر
للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة
يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم
او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف
امر الرسول عليه السلام فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول
ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة
والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر
كاذكر والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد ولا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم يقول الي
الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم او جماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم
والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول عليه السلام او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه
رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة
وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول عليه السلام اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم
على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة
نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط فآخذه والامنة

ب

نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة
وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة
هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة
او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن
المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله عليه السلام وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر
نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا
القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون على وجه البيان له لو كان لنا
من الامر شيء كما وعد محمد عليه السلام وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا
لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب
في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله
ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف
اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور
بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك ليتمرن المؤمنين ويظهر حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم
التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه
واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة ومخالفة النبي عليه السلام فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب
ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد
عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين
وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه
اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم
لم يكونوا مخاطبين ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في
النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل
انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه
قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد
للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم
وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون

في الدنيا ومنافعها او لم يموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره
لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم
ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا
من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور
فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك
على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب
المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم
من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة
يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما
المبالغة في النهي للرسول عليه السلام وعلى ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين
غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى ما صح له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول
ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت
وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم
جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي
ومأويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم
على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم
اي من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب بطونا يتلوا عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا اهل الجاهلية لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع
وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشأن
كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد
او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر
من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا
بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب
منكم ويصيب بكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه او تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه

وليعلم

وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة
او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة
او ادفعوا بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه
لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء النفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم
وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين
وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير
والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون
او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل
يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود
غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله عليه السلام او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين
قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جاز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء
وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء فرحين بما آتيهم الله من فضله وهو شرف الشهادة
والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا
فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة
وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على
ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى النار
يعرضون عليها الآية وما روي ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة
في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا في الحال لتحققه ودنوه واحياء بالذكر او بالايمان وفيها حث
على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتأكيد
وليتعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان
ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب
على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون
متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن
معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله عليه السلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم

حتى لا يفوتهم الاجر والنبي اشتد الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق
الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان
واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل
مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم
ابن مسعود وقد قدم معتمرا فساله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن
للمقول او لمصدر قالوا او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم
واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم
يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة
التامل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك
ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها
سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم
قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم
واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط
نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما
ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس
الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف
الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف
ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر
يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ
الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم في الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان
عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب
ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول عليه السلام او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل
على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير
لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير
وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال
واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة

وعند

وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول
في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما
معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم
مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون
منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به النبي بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء
وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل
عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي
اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت
وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق
ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله
الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا
في عنقه يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله
بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات
وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام
كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله
فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى الرسول عليه السلام وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه
اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء
بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترا على قتل الانبياء وقرا
حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات
في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك
على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم
من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب
من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا
ان الله عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي
كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان
اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم

إن كنتم صادقين تكذيب وإلزام بأن رسلا جاؤوهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق بما اقترحوه وكان توقفهم وامتناعهم عن الإيمان لأجله
فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات أخر واجترؤوا على قتله فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول عليه السلام
من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء إذا حسنته والكتاب في العرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته إذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب
بإعادة الجار للدلالة على أنها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين
وعدمه كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا وإنما توفون أجوركم تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية
يشعر بأنه قد يكون قبلها بعض الأجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة
في الأصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وأدخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عليه السلام من أحب أن يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وما الحيوة الدنيا أي لذاتها وزخارفها إلا متاع الغرور
شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر أو جمع غار
لتبلون أي والله لتختبرن في أموالكم بتكليف الإنفاق وما يصيبها من الآفات وأنفسكم بالجهاد والقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والأمراض
والمتاعب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين وإغراء الكفرة على المسلمين أخبرهم
بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وإن تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة أمر الله فإن ذلك يعني الصبر
والتقوى من عزم الأمور من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو
إمضائه وإذ أخذ الله أي اذكر وقت أخذه ميثاق الذين أوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم
في رواية ابن عياش بالياء لأنهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله أخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه أي الميثاق وراء ظهورهم
فلم يراعوه ولم يلتفتوا إليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه وإلقاؤه بين عينيه واشتروا به وأخذوا بدله
ثمنا قليلا من حطام الدنيا وأغراضها فبئس ما يشترون يختارون لأنفسهم وعن النبي عليه السلام من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله
على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب
للرسول عليه السلام ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الأول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين
يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب
أي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني على أن الذين فاعل والأول ومفعولا لا يحسبن محذوف دل
عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة أو المفعول الأول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل
وفاعله ومفعوله الأول ولهم عذاب أليم بكفرهم وتدليسهم روي أنه عليه السلام سأل اليهود عن شيء مما في التورية فأخبروه بخلاف ما كان فيها وأروه أنهم قد صدقوه
وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فإنهم يفرحون
بما فعلوه ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان الذين لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والأرض فهو يملك أمرهم والله على كل شيء قدير فيقدر
على عقابهم وقيل هو رد لقولهم إن الله فقير إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته

وكمال

وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة وعن النبي عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها
ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الآية لأن مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فإنه إما أن يكون في ذات الشيء كتغير الليل
والنهار أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج كتغير الأفلاك بتبدل أوضاعها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم أي يذكرونه دائما
على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل يصلون على الهيئات الثلث حسب
طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب تومئ إيماء فهو حجة للشافعي في أن المريض يصلي مضطجعا
على جنبه الأيمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والأرض استدلالا واعتبارا وهو أفضل العبادات كما قال عليه السلام بينما رجل مستلق
على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الأصول
وفضل أهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على إرادة القول أي يتفكرون قائلين ذلك وهذا إشارة إلى المتفكر فيه والخلق على أنه أريد به المخلوق من السموات والأرض
أو إليهما لأنهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الإنسان وسببا لمعاشه ودليلا
على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الأبدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار
للإخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على أن علمهم بما لأجله خلقت السموات والأرض حملهم على الاستعاذة ربنا إنك من تدخل
النار فقد أخزيته غاية الإخزاء ونظيره قولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه
وفيه إشعار بأن العذاب الروحاني أفظع وما للظالمين من أنصار أراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن ظلمهم تسبب لإدخالهم النار
وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لأن النصرة دفع بقهر ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أوقع الفعل على المسمع
وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في إيقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي وإطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه السلام
وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بإلى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص أن آمنوا بربكم فآمنا أي بأن آمنوا فامتثلنا ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فإنها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فإنها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الأبرار مخصوصين بصحبتهم معدودين
في زمرتهم وفيه تنبيه على أنهم محبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والأبرار جمع بر أو بار كأرباب وأصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي ما وعدتنا على تصديق
رسلك من الثواب لما أظهر امتثاله لما أمر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من إخلاف الوعد بل مخافة أن لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة أو قصور في الامتثال أو تعبدا
أو استكانة ويجوز أن يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بأن تعصمنا
عما يقتضيه إنك لا تخلف الميعاد بإثابة المؤمن وإجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنه الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال
والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم إلى طلبتهم وهو أخص
من أجاب ويعدى بنفسه وباللام أني لا أضيع عمل عامل منكم أي بأني لا أضيع وقرئ بالكسر على إرادة القول من ذكر أو أنثى بيان عامل بعضكم من بعض لأن
الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر أو لأنهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال والاتحاد أو الاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة
النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي أن أم سلمة قالت يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الخ
تفصيل لأعمال العمال وما أعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك أو الأوطان والعشائر للدين وأخرجوا من ديارهم
وأوذوا في سبيلي بسبب إيمانهم بالله ومن أجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لأن الواو لا يوجب ترتيبا والثاني أفضل أو لأن

لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتّلوا للتكثير لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها
الأنهار ثوابا من عند الله أي أثيبهم بذلك إثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد الخطاب للنبي عليه السلام والمراد أمته أو تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين أو لكل أحد والنهي في المعنى للمخاطب وإنما جعل التقلب
نازلا منزلة السبب للمبالغة والمعنى لا تنظر إلى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم
روي أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ
محذوف أي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما أعد الله للمؤمنين قال النبي عليه السلام ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ما مهدوا لأنفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما
يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال أبو الشعر الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل
الظرف وقيل إنه مصدر مؤكد والتقدير أنزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وإن من أهل الكتاب
لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام وأصحابه وقيل في أربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا وقيل في أصحمة
النجاشي لما نعاه جبريل إلى رسول الله فخرج وصلى عليه فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وإنما دخلت اللام على الاسم
للفصل بينه وبين إن بالظرف وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من أحبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم ما خص بهم من الأجر ووعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين إن الله سريع الحساب
لعلمه بالأعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد أن الأجر الموعود سريع الوصول فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا أيها الذين
آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى
وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار
الصلوة بعد الصلوة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته إلا لحاجة واتقوا الله
لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح أو اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات
ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة وعن النبي عليه السلام من قرأ
سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة

سورة النساء مدنية وست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وهي آدم
وخلق منها زوجها عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حوا من ضلع من أضلاعه أو محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها
وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة
واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكون أكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما
فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق
أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به
أي يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فأدغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والأرحام بالنصب عطفا على محل

الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو
ضعيف لأنه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به وقد نبه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه على
أن صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله إن الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا
اليتامى أموالهم أي إذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب
جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على أنه جمع يتمى كأسرى لأنه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى وأسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه
على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية إما للبلغ على الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع إليهم
أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم صغارا أو لغير البلغ والحكم مقيد وكأنه قال وآتوهم إذا بلغوا
ويؤيد الأول ما روي أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله
من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الأمر الخبيث وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها
وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم أي لا تنفقوها
معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف إنه الضمير للأكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا
وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء أي إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء
إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام
بحقوقهن أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لأن المتحرج من الذنب
ينبغي أن يتحرج من الذنوب كلها على ما روي أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن فنزلت وقيل كانوا
يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وإنما عبر عنهن بما ذهابا إلى الصفة
أو إجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أو ما ملكت أيمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة أي إن خفتم أن تجوروا مثنى وثلاث ورباع
معدولة عن أعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلثة ثلثة وأربعة أربعة وهي غير منصرفة للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن كانت أصولها لم تبن لها
وقيل لتكرير العدل فإنها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكورة
متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد دون التوزيع ولو
ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فإن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد أيضا فواحدة فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع
وقرئ بالرفع على أنه فاعل محذوف أو خبره تقديره فيكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة أو ما ملكت أيمانكم سوى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري
لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك أي التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسري أدنى ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا يقال عال الميزان
إذا مال وعال الحاكم إذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بأن لا تكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانهم فعبر عن كثرة العيال
بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الأزواج وإن أريد الأولاد فلأن التسري مظنة
قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون
الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا

ونحلة اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى
الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات
وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم
كانوا ياخذون مهور موليّاتهم **فان طبن لكم عن شيء منه نفسا** الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد
توليع البهق اي كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة
وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب **فكلوه هنيئا مريئا** فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء
صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان
والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** نهي للاولياء عن ان يؤتوا
الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة
وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم
وهو اوفق لقوله **التي جعل الله لكم قياما** اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول اول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما وسمي ما به القيام قياما للمبالغة
وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به **وارزقوهم فيها واكسوهم** واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها
ما تحتاجون اليه **وقولوا لهم قولا معروفا** عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه **وابتلوا اليتامى**
اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه
ما يتصرف فيه **حتى اذا بلغوا النكاح** حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمسة عشر سنة
كتب ماله وعليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر سنة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده **فان آنستم منهم رشدا** فان
ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب لاذا المتضمنة معنى الشرط والجملة
غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس
منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه
المال وان لم يؤنس منه الرشد **ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا** مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم **ومن كان غنيا فليستعفف** من اكلها
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا
قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا
وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى **فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم** بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره
يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابي حنيفة رحمهم الله **وكفى بالله حسيبا** محاسبا فلا تخالفوا
ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون** يريد بهم المتوارثين بالقرابة
مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل **نصيبا مفروضا** نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب
او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن الصامت الانصاري

خلف

خلف زوجته ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال
ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله عليه السلام في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله
فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين
والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب **واذا حضر القسمة اولوا القربى** ممن لا يرث **واليتامى والمساكين فارزقوهم منه**
فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل
عليه القسمة **وقولوا لهم قولا معروفا** وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم**
امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء
بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر
القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا
للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم
الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال
اولاده **فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول
دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة
ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم **انما ياكلون في بطونهم** ملء بطونهم **نارا** ما يجر الى النار ويؤول اليها وعنه عليه السلام انه
قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته
شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها **يوصيكم الله** يأمركم ويعهد اليكم **في اولادكم** في شان ميراثهم وهو
اجمال تفصيله **للذكر مثل حظ الانثيين** اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى
بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به **فان كن نساء** اي ان كان الاولاد
نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات **فوق اثنتين** خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين **فلهن ثلثا ما ترك**
المتوفى منكم ويدل عليه المعنى **وان كانت واحدة فلها النصف** اي ان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين
فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لان الله تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل
مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله
فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين
وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك **ولابويه** ولابوي الميت **لكل واحد منهما السدس** بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق
كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا السدس **مما ترك ان كان له** للميت **ولد** ذكر او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وبالتعصيب

من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فقط فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط
وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث كان معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور
لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس
باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور
على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا تحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات
الخلص كلها اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث
اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة
مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور
اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصيتكم به ولا تعمدوا
الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم
فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم
لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن
ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين
ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما
للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن
في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف
ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الولد والوالد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد
ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به
وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى الاقي محمدا فاستعيرت للقرابة ليست بالبعضية لانها
كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه
عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في اخر
السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك
مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة
على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله
يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده
انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب

والله

والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه التي كالحدود
المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون
وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير فيهما
لانهما جريا على غير من هما له واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة
قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن
في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر
الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان ياتيانها منكم يعني الزانية والزاني
وقرا ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد
فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة
وقيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني
في الزناة انما التوبة على الله اي انما قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها
سفهاء فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور
الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله قل متاع الدنيا
قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو قبل
ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله
عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان
ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم
الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون
السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب
اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل
لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ
صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن عطف
على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون
النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة

كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة
أو لا تعضلوهن لعلة إلا لأن يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة هنا وفي الأحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف
بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا أي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فإنها قد تكره
ما هو أصلح دينا وأكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير وعسى في الأصل علة الجزاء فأقيم مقامه والمعنى فإن كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج أخرى وآتيتم إحداهن أي إحدى الزوجات
جمع الضمير لأنه أراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا أي من القنطار أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا استفهام إنكار وتوبيخ أي أتأخذونه
باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لأن الأخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم إذا أراد
بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه
وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض إنكار لاسترداد المهر والحال أنه وصل إليها بالملامسة
وتقرر المهر وأخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة أو ما أوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان
أو ما أشار إليه النبي عليه السلام بقوله أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وإنما ذكر ما دون من لأنه
أريد به الصفة وقيل ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين إلا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل
العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف أو من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى
حلائل آبائكم إلا ما قد سلف إن أمكنكم أن تنكحوا وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فإنه لا مؤاخذة عليه لا أنه مقرر إنه كان فاحشة ومقتا
علة للنهي أي إن نكاحهن كان فاحشة عند الله تعالى ما رخص فيه لأمة من الأمم ممقوتا عند ذوي المروءات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة أبيه المقتي وساء سبيلا
سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لأنه
معظم ما يقصد منهن ولأنه المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولأن ما قبله وما بعده في النكاح وأمهاتكم تعم من ولدتك أو ولدت
وإن علت وبناتكم تتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وإن سفلت وأخواتكم الأخوات من الأوجه الثلث وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها
أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القربى والبعدى وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة
النسب حتى سمى المرضعة أما والمرضعة أختا وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
واستثناء أخت ابن الرجل وأم أخيه من الرضاع من هذا الأصل ليس بصحيح فإن حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي
في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر أولا محرمات النسب ثم الرضاعة لأن لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فإن تحريمهن عارض لمصلحة الازدواج
والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربه كما يرب ولده في غالب الأمر فعيل بمعنى مفعول وإنما لحقه التاء لأنه صار اسما ومن نسائكم متعلق
واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالإجماع تغنية للنظم ولا يجوز تعليقها بالأمهات أيضا لأن من إذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فإن
بالأمهات لم يجز ذلك بل وجب أن يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الأدباء اللهم إلا إذا جعلتها للاتصال كقوله فإني
منك ولست منى على معنى أن الأمهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول عليه السلام فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها
إنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وإليه ذهب عامة العلماء غير أنه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز أن يكون الموصول الثاني

صفة

صفة للنسائين لأن عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى أن الربائب إذا دخلتم بأمهاتهن وهن في احتضانكم أو
بصدده قوي الشبه بينها وبين أولادكم وصارت أحقاء بأن تجروها مجرى أولادكم لا تقييد الحرمة وإليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه جعله شرطا
والأمهات والربائب تتناولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن أي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر اللمس كالوطء شبهة
عين وعند أبي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد إشعار دفعا للقياس وحلائل أبنائكم
زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج الذين من أصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن أبناء الولد وأن تجمعوا بين الأختين في موضع
الرفع عطفا على المحرمات والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك
قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي
أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام إلا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى أو منقطع
معناه لكن ما سلف مغفور لقوله إن الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الأزواج أحصنهن التزويج أو الأزواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد
في جميع القرآن غير هذا الحرف لأنهن أحصن فروجهن إلا ما ملكت أيمانكم يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين
والنكاح مرتفع بالسبي لقول أبي سعيد أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبي عليه السلام فنزلت الآية فاستحللناهن
وإياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال أبو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي
وإطلاق الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله
عليكم وكتب الله بلفظ الفعل وأحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا
على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر المحرمات بالرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها
أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهن أو أثمانهن
في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل من ما وراء ذلكم بدل
الاشتمال واحتج به الحنفية على أن المهر لا بد وأن يكون مالا ولا حجة فيه والإحصان العفة فإنها تحصين النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من
السفح وهو صب المني فإنه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات أو فما استمتعتم به منهن من جماع أو عقد عليهن فآتوهن أجورهن مهورهن
فإن المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الأجور بمعنى مفروضة أو صفة مصدر محذوف أي إيتاء مفروضا أو مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به
من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين
فتحت مكة ثم نسخت كما روي أنه عليه السلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة
وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي بها إذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس رضي الله عنه ثم رجع عنه إن الله كان عليما
بالمصالح حكيما فيما شرع من الأحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة أن ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا
أو بفعل مقدر صفة له أي ومن لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح المحصنات أو من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم
المؤمنات يعني الإماء المؤمنات فظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح الأمة الكتابية مطلقا وأول أبو حنيفة طول المحصنات بأن يملك فراشهن على
أن النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الأفضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن أصحابنا من حمله أيضا على التقييد وجوز نكاح الأمة

لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج
والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب
والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم عليه السلام ودينكم الاسلام فانكحوهن
باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن
مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك
المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر
فاذا احصن بالتزويج وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر
من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا ينتصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي
العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به
الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور
لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت
لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له
اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم
عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتأكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون
الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود
فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل
من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق
الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت
هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا
اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه
او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب
واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله تعالى وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون
تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة
ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تأول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه السلام او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل
الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها
استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه
كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او الى ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق

واتيانا

واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي عن الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى
وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف
عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم
واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام انها سبع الاشراك بالله
وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة اقرب منها
الى سبع وقيل اراد به هنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وصغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر
الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما
كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه عليه السلام في كثير من خطراته التي
لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان
والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي
معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهى لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له
بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء
فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل
الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس
واسئلوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله
من فضله وسلهم وسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين واو او فاء بغير همزة وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمزة ان الله كان بكل شيء عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان
والاقربون استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه
فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد
عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله
فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه
مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام
الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيل الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة
السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت

زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله عليه السلام فشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير
فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه
عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا هذه الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله
اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ
بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة
على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف
او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلثة مرتبة ينبغي
ان يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وانه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو
عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا وينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة
الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام
متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله ومن اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين
او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله
بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته
فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره
او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره
وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران
ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب
والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم
العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل وقرأ حمزة والكسائي
ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم فهم احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر
اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار
تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عليه السلام والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين ورئاء
وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره

محذوف

محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن
الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي ما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان
والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه
من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الآية
الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمه وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء
كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة
وان يك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع
حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده
على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى
وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك
يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم
عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا
او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى
بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم
جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف
التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر
حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء
وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران
عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى وسكرى بمعنى وانتم
قوم سكرى او سكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه
المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال
الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر
الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة رحمهما الله لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان
فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها
عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط

فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس
ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله
اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره
اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان
العذر مجملا وكانه قيل ان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لابد من ان يعلق باليد شيء من التراب
لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي
انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد وههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر
عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية
لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار محمد عليه السلام وقيل ياخذون الرشى
ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم
وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم
او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها
او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك
واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت لصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك
تنبو عنه فيكون مفعولا به او غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا
للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير
الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا
لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم الله
وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي
للمهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل
ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطمس
في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت
منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم
الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت فمسخناهم
او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود عليه السلام والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء

وعطفه

وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصور في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان
وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به
ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم عن خلود عذابه وان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك
اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة اولوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر
ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى من آيات الوعد ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي
وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول
يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم
الى النبي عليه السلام فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم
من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم
وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط
الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء
اثما مبينا لا يخفى كونه ماثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة
الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد عليه السلام وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة
رسول الله عليه السلام فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم
فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا
لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب
عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة
في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا
نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا للتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذن لا يؤتوا
على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم
وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي
الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم
فمنهم فمن اليهود من آمن به بمحمد عليه السلام او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر
ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم
ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك
بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة

للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض
لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل
لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن
طلحة الحجبي ابن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي رضي الله عنه يده واخذه منه
وفتح فدخل رسول الله وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فأمره الله ان يرده اليه فأمر عليا بان يرده ويعتذر اليه
وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ
عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به
او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون
في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة
وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين فهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد
في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة
الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه
انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله عليه السلام فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب
ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تأويلا
عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس
ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عليه السلام ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فحكم لليهودي فلم يرض
المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما
حتى اخرج اليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق
والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان
او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على
ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل
اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس
ويصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر الفاروق المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا
بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا
بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا

ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة
في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا
يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا
على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه
وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان
كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على ان
من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم
متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا
لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك
انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا
في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو
للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه
الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا
او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا
ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا
مما نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام
اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك
واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم
صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال
العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية
والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق
حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعة الله واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون

اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان نالوا بلوامع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم
الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم
شهداء الله في الارض واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز
او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله عليه السلام اتاه يوما وقد تغير
وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك
هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين
من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة
وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر
وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين
جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها
كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله عليه السلام المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا
عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او بطؤا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت
على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن
فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن
اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل
في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني
كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل بعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف
وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع
فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة
وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا
في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة
او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها
ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله تعالى اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف
المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان

مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة
واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا يتولاهم
واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه عليه السلام
ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل
او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله
ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء
واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون
الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من
اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا
فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل
الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا
اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل
سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ وانما
متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا اظهرت وقرئ
مشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة
والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي
الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فمال هؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لها او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا
فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود
فكيف تقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها
السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت
عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما للمعتزلة
وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر
كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه
قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت

ومن تولى عن طاعته فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون إذا أمرتهم
طاعة فإذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول أي زورت خلاف ما قلت لها أو ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت إما من البيتوتة
لأن الأمور تدبر بالليل أو من بيت الشعر أو البيت المبني لأنه يسوى ويدبر وقرأ أبو عمرو وحمزة بيت طائفة بالإدغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون
يثبته في صحائفهم للمجازاة أو في جملة ما يوحى إليك لتطلع على أسرارهم فأعرض عنهم قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم وتوكل على الله في الأمور كلها سيما في شأنهم
وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم أفلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء ولو كان
من عند غير الله أي ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب
معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة
البشرية ولعل ذكره هاهنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح وإذا جاءهم أمر
من الأمن أو الخوف مما يوجب الأمن أو الخوف أذاعوا به أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله عليه السلام أو أخبرهم
الرسول بما يوحى إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم وكانت إذاعتهم مفسدة والباء مزيدة أو لتضمن الإذاعة معنى التحدث
ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أي رأيه وإلى كبار أصحابه البصراء بالأمور أو الأمراء لعلمه على أي وجه يذكره الذين
يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم وقيل كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه إلى
الرسول وإلى أولي الأمر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يستخرجون علمه
من جهتهم وأصل الاستنباط إخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر أول ما تحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإنزال الكتاب لاتبعتم الشيطان
بالكفر والضلال إلا قليلا إلا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى إلى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل أو إلا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله إن تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف إلا نفسك إلا فعل نفسك لا يضرك
مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك لا الجنود روي أنه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج فكرهه
بعضهم فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل أي لا نكلفك إلا فعل نفسك لا أنا لا نكلف
أحدا إلا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بأن ألقى
في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله أشد بأسا من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم
ودفع بها عنه ضرا أو جلب إليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء للمسلم قال عليه السلام من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر
وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من أقات على الشيء إذا قدر قال وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على إساءته مقيتا أو شهيدا حافظا واشتقاقه
من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها الجمهور على أنه في السلام ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو
أن يزيد عليه ورحمة الله فإن قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وإما برد مثله لما روي أن رجلا قال لرسول الله عليه السلام السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله تعالى وتلا هذه الآية فقال إنك لم تترك
لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل التردد بين أن يحيي المسلم ببعض التحية

وبين

وبين أن يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية
في الأصل مصدر حياك الله على الإخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية وأوجب
الثواب أو الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي إن الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر أو الله مبتدأ والخبر
ليجمعنكم إلى يوم القيامة أي الله والله ليحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور أو للحساب لا ريب فيه في اليوم
أو في الجمع فهو حال من اليوم أو صفة للمصدر ومن أصدق من الله حديثا إنكار أن يكون أحد أكثر صدقا منه فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه لأنه
نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين فئتين فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك أن ناسا منهم استأذنوا رسول الله في الخروج
إلى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في إسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم أحد أو
في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق إلى الوطن أو قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما
وفي المنافقين حال من فئتين أي متفرقين فيهم أو من الضمير أي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله أركسهم بما كسبوا ردهم إلى حكم
الكفرة أو نكسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركس رد الشيء مقلوبا أتريدون أن تهدوا من أضل الله أي تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
إلى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا أن تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب
التمني لجاز فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا إيمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لأغراض الدنيا وسبيل الله
ما أمر بسلوكه فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة أو عن إظهار الإيمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
أي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أي إلا الذين يصلون
وينتهون إلى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الأسلميون فإنه عليه السلام وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي
على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ إليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة أو جاؤوكم عطف على الصلة أي أو الذين جاؤوكم كافين عن
قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور بأخذهم وقتلهم الفريقين من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين وأتى الرسول وكف عن قتال الفريقين أو على صفة
قوم وكأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والأول أظهر لقوله فإن اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على أنه
صفة بعد صفة أو بيان ليصلون أو استئناف حصرت صدورهم حال بإضمار قد ويدل عليه أنه قرئ حصرة صدورهم وحصرات أو بيان لجاؤوكم وقيل
صفة محذوف أي جاؤوكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله عليه السلام غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض أن يقاتلوكم
أو يقاتلوا قومهم أي عن أن أو لأن أو كراهة أن يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم فلقاتلوكم
ولم يكفوا عنكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم
ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا
كفروا كلما ردوا إلى الفتنة دعوا إلى الكفر وإلى قتال المسلمين أركسوا فيها عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم وينبذوا إليهم
العهد ويكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فإن مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض وأولئكم جعلنا لكم عليهم
سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم وتسلطا ظاهرا حيث أذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن
وما صح له وليس من شأنه أن يقتل مؤمنا بغير حق إلا خطأ فإنه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أي لا يقتله في شيء من الأحوال إلا حال الخطأ أو لا يقتله

نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص ولا يقصد به زهوق الروح غالبا
ولا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت
في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه
او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر
عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كساير المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي
كتب الي رسول الله عليه السلام يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا
يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عليه السلام كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية
عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل والاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له
وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لا يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له
اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب الله عليكم توبة او حال بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله
صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه
من التهديد العظيم قال ابن عباس لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله
واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن صبابة وجد اخاه هشاما قتيلا
في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله عليه السلام ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث
الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا
بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبت في الموضعين هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية السلام
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا
بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم
على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة
فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره
تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية
لرسول الله غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود
لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال
من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب

على

على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا
اعمى فغشي رسول الله عليه السلام في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت
ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفى
الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه
او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت
في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني لتضمنه
معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات
على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه
اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة
ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف
اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان
الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله
يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس
من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض
اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط
وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التي قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم
او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض
استوجب له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره
والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا
وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا
توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها
قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم
على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه
خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب

مستقر بان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف
على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات فيه واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة رضي الله عنها
اعتمرت مع رسول الله عليه السلام وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضي الله عنه
صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما
يخالف الآية فان صحتا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة
ان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة
عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى
فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم
بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول عليه السلام
لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك
فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون ويقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى
وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي عليه السلام ومن صلى معه فغلب المخاطب
على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام
ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى
وجه العدو ويأتي الآخرون فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى
ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية
بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تأتي الاخرى فتؤدي الركعة الاولى بقراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه
وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى
ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم
مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر
بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف امكن قياما مسايفين
ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة

ولا تهنوا

والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار
بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم
وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان تكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى
ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما
فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق
وجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر
الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله عليه السلام ان يفعل بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى
ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين
يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه
في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة
وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو احق
بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول
من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا
جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا
قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة
يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله
ولا تزر وازرة وزر اخرى وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا
كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتنزيه النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان احدهما مقترف
دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول عليه السلام فان عصمة الرسول لاطلاعه على الاحوال
لطف في حقهم لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى
نفي تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا
منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم
من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم لقوله تعالى
واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف المضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير
والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح
ذات البين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في

الخير بأن كان الفاعل أدخل فيهم وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث أنه وصلة إليه وقيد الفعل بأن يكون لطلب مرضات الله
لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله أجرا ووصف الأجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من أعراض الدنيا وقرأ
حمزة وأبو عمرو يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فإن كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف
على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم
وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الإجماع لأنه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين
وذلك إما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما والثاني باطل إذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد وكذلك الثالث لأن المشاقة محرمة
ضم إليها غيرها أو لم يضم وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه
في مرصاد الأفهام إلى مبادي الأحكام إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل جاء شيخ إلى رسول الله
وقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة وما توهمت طرفة عين
أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها
عن الصواب والاستقامة وإنما ذكر في الآية الأولى فقد افترى لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى إن يدعون
من دونه إلا إناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بني فلان وذلك إما لتأنيث أسمائها كما قال وما ذكر فإن يسمن
أو يكبر فأنثى شديد الأزم ليس له ضروس فإنه يعني القراد وهو ما كان صغيرا يسمى قرادا فإذا كبر يسمى حلمة أو لأنها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث أنها
ضاهت الإناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على أنهم يعبدون ما يسمونه إناثا لأنه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود أن يكون فاعلا غير منفعل
ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهي جمع أنثى كرباب وربى وقرئ أنثى على التوحيد وأنثا
على أنه جمع أنيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كأسد وأسد وأثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة وإن يدعون وإن يعبدون
بعبادتها إلا شيطانا مريدا لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير وأصل التركيب للملاسة
ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه أي شيطانا
مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه أولا على أن الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بأن ما يشركون به
ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الألوهية غاية المنافاة فإن الإله ينبغي أن يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بأنه عبادة الشيطان وهي
أفظع الضلال لثلاثة أوجه الأول أنه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى الثاني أنه ملعون لضلاله فلا تستجلب
مطاوعته سوى الضلال واللعن الثالث أنه في غاية العداوة والسعي في إهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع
أي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولأضلنهم عن الحق ولأمنينهم الأماني الباطلة كطول الحياة وأن لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان
الأنعام يشقونها لتحريم ما أحل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب وإشارة إلى تحريم كل ما أحل الله ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل أو القوة
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة أو صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة
الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الإسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا
لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الأربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا أو أتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بإيثاره ما يدعو إليه على

أمره الله به ومجاوزته عن طاعة الله إلى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا إذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم
ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه أولئك مأواهم جهنم
ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص إذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لأنه اسم مكان وإن جعل مصدرا فلا يعمل أيضا فيما قبله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا أي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالأول
مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز أن ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لأنه بمعنى نعدهم إدخالهم وحقا على أنه حال من المصدر ومن أصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية
الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لأوليائه والمبالغة في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب أي ليس ما وعد الله
من الثواب ينال بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وإنما ينال بالإيمان والعمل الصالح وقيل ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل
روي أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم أي ليس الأمر بأماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم
إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا ولا أماني أهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم لن تمسنا النار إلا أياما
معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا أو آجلا لما روي أنه لما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام أما تحزن
أما تمرض أما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه إذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره
في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر أو أنثى في موضع الحال من المستكن في يعمل
ومن للبيان أو من الصالحات أي كائنة من ذكر أو أنثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على أنه لا اعتداد
دونه فيه فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب وإذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري أن لا يزاد عقاب العاصي لأن المجازي أرحم الراحمين
ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر يدخلون الجنة هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء
ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله أخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على أن ذلك منتهى ما تبلغه القوة
البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة إبراهيم الموافقة لدين الإسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الأديان وهو حال من المتبع أو الملة
أو إبراهيم واتخذ الله إبراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وإنما أعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على أنه الممدوح والخلة
من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق في الرمل فإنهما يترافقان في الطريق أو من الخلة
بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والإيذان بأنه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي أن إبراهيم عليه السلام
بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه
ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة إلى غرارة منها فأخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ إبراهيم
فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذا فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله تعالى فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا يختار منهما
من يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على أهل السموات والأرض وكمال قدرته على مجازاتهم على الأعمال وكان الله بكل شيء محيطا إحاطة علم وقدرة
فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن إذ سبب نزوله أن عيينة بن حصين أتى رسول الله عليه السلام فقال أخبرنا

يعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمهن
فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضمير المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تعالى والى
القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو
عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم
بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن
والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى
جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن
فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه
على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم
كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته
فالوجه نصبهما على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام
بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة
فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا
اي يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على
وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء
او من الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد
في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها
على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا
وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا
فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها
كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي عليه السلام من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا
منهما عن الآخر ببدل او سلوة من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على
كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا
لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في
السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما

لرحمة

لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة
على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل لحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع
الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين
ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه
وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله عليه السلام من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي
انه لما نزل ضرب رسول الله عليه السلام يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة
ما في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا
فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله
وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين
ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله
اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل
وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا
وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فاديتموها او تعرضوا عن ادائها فان الله
كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول
انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل
اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب
القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح النون والهمزة والزاي والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي ومن يكفر بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني
آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا
على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت
وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا
ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على
وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى
اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ غير عاصم نزل على البناء للمفعول والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله
وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره

الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها إنكم إذا مثلهم في الإثم لأنكم قادرون على الإعراض عنهم والإنكار عليهم أو الكفر إن رضيتم بذلك أو لأن الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار كانوا من المنافقين ويدل عليه إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم وإذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وإفراد مثلهم لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لإضافته إلى مبني كقوله تعالى مثل ما أنكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع أمر بكم وهو بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم وإن كان للكافرين نصيب من الحرب فإنها سجال قالوا ألم نستحوذ عليكم أي قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس أن يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الأصل ونمنعكم من المؤمنين بأن أخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا فيما أصبتم وإنما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فإنه مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ أو في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لأنه لا ينفي أن يكون إذا عاد إلى الإيمان قبل مضي العدة إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في أول سورة البقرة وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراءون الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فإن المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله إلا قليلا إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يراه وهو أقل أحواله أو لأن ذكرهم باللسان قليل بالإضافة إلى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فإنهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراءون كقوله ولا يذكرون أي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الإيمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا وأصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى أخذ تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء لا منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين أو لا صائرين إلى أحد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا إلى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين فإنه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فإن موالاتهم دليل على النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة إذ ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعا للمسلمين وأما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ وإنما سميت طبقاتها السبع دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لأنه يجمع على أدراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه إلا الذين تابوا عن النفاق وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به أو تمسكوا بدينه وأخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه فأولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم أيتشفى به غيظا أو يدفع به ضررا أو يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وإنما يعاقب المصر بكفره لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض فإذا زال بالإيمان والشكر ونقى نفسه عنه تخلص من تبعته وإنما قدم الشكر لأن الناظر يدرك النعمة أولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وإيمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من

ظلم

إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي أن رجلا أضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا أي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم إن تبدوا خيرا طاعة وبرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فإن الله كان عفوا قديرا أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الأخلاق إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان بالله لا يتم إلا بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا وإجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال أولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بإيمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا أي يقينا محققا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم بأن يؤمنوا بكلهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في أحبار اليهود قالوا إن كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعياننا بأنك رسول الله فقد سألوا موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر منه وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهم والمعنى أن عرقهم راسخ في ذلك وأن ما اقترحوا عليك ليس أول جهالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة أرنا نره جهرة عيانا أو عيانا جهرة أو مجاهرين معاينين له فأخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فأهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضا أوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة إذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم العجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فإنه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش لا تعدوا على أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالإسكان وأخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا فبما نقضهم ميثاقهم أي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز أن تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه إلى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها بكفرهم فإنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن أو بما في كتابهم وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف أوعية للعلوم أو في أكنة مما تدعونا إليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم أو خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام أو إيمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى عليه السلام وهو معطوف على بكفرهم لأنه من أسباب الطبع أو على فبما نقضهم ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر إيذانا بتكرر كفرهم فإنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها إلى الزنا وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أي بزعمه ويحتمل أنهم قالوه استهزاء ونظيره إن رسولكم الذي

ارسل اليكم لمجنون وان كان استهزاء فان الله بدله او وضعه للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه
وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل
الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودي
بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى
بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل
ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم
مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون
فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم
صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده
بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان
او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك يخبر عنها العالمات بها وقد قتلت
بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده
حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه
الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه
ويؤيد ذلك ان قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطر اليه ولم ينفعهم ايمانهم
وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى
النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على
التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون في العلم منهم
كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلوة نصب
على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون
او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الوجوه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم
بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء
واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم

اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقون اشرف الانبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور
ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كأرسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك
وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا عليه السلام بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح
والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر
وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم
ما قبله وكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته
ويقرره بما انزل اليك من القرآن المنزل المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله متلبسا
بعلمه الخاص وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم
فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم
يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر
فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اي كفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد
بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع
ان الذين كفروا وظلموا محمدا عليه السلام بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او بما يعم من ذلك وعليه يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات
على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم بالقرآن
او النبوة او بالطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم
اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي
الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله
لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت
اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق
يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط
ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اي الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم
ويشهد عليه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون
بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون
له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا

وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف
من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية
غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله عليه السلام لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار
ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي لا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا فاحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء
وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه
وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير
لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش ومن اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء
وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه
وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى
الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد
جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عني بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل
البرهان الدين او رسول الله او القران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب
وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة
حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله عليه السلام فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل في الاحكام
قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوائل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد
صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون
عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اي المرء يرث اختها ان كان الامر
بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد
لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان
مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا
اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شانكم
اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم
فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي عليه السلام من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا

سورة

وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود
الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع
بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانة

والمعاملات

والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي
لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش
وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله
حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول
وانتم حرم حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع
شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه
وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه وبالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد
اي ذوات القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي
من نعل ولحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة
في موضع الحال من المستكن في امين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له
وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم
الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد
بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا بالامر دلالة الامر الاتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها
وهو ضعيف جدا او احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل
وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم
عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام منهم
ويجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرئ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى
على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد
حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء
ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو
خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع
اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء
مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد وما ذبح على النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون
ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو الجمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم
الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك
وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء
المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على

على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم والميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة
الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة يوم عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها
او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم اى يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد
العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام
اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها
من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه
بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق
الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم
سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم
من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع
والطير مكلبين معلمين اياه والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها
الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه
فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم فان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك
في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا
عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول
الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر
ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم
وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيائها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيائها التزامها
محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله
وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اى اذا اردتم القيام كقوله تعالى
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة
او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي
انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة
محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا
وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم

قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل
الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا
وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية هاهنا عن ذي الغاية
وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على
تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف
العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك
مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر
الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم
جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليهما ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب
الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا
ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اى ما يريد
الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا
اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد
ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم
بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وباعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار
المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام
النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين
بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه ان الله
عليم بذات الصدور اى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا
تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض
عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اى العدل اقرب للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى
الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان
الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم
انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فانه ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا القول والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم
يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين رأوا رسول الله عليه السلام واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم
وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه السلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة

يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش
الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله عليه السلام منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي
فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبرئيل من يده واخذه الرسول عليه السلام فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم
ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير
الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ
من كل سبط نقيبا كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم
فرأوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم
بالنصرة لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق
في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها
الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك
اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات
والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف السين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون
حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد عليه السلام والمعنى انهم حرفوا التورية
وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال
ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وامنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو
عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا
وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء
والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم
في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلام يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد
او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منه سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر

الى

الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم
لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن
في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كساير الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك
السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير
اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حواء
او من انثى وحدها كعيسى او منهما كساير الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون
او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم
يعذبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة
بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر به والمعنى انه يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية لكم
عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونها خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع
الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على
الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام
كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين
انطمست آثار الوحي كانوا احوج ما يكونوا اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة
ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى
وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل
الغمام وانزال المن والسلوى ونحوهما مما اتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها
كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ
انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا
حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين
ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا طاقة لنا بمقاومتهم والجبار فعال من جبر
على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع
من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير

اويجوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق
وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى
وقوله كتب الله لكم او مما علماه من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى من قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين
لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره فاذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله
لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد بما اخي من يواخيني
في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم
لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم
ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع
بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون
التحريم مطلقا وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ
يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه
والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم
دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء
بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال
لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل
ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبا اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين
اذ قربا قربانا ظرف لنبا او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نباهما نبا ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها
كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح
عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال
لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني
وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة
لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج
عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب
لئن بسطت للتبري من هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي

ونحوه

ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا
بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات
ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له
المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل وعلى ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت
لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع
المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت
من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في يريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير
في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم
والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله
فاواري عطف على ان اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا
فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه
اسود جسده فساله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر
بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جرا
فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس
اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء
وسن القتل وجرى الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجمع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها
في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا
عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون
في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر
ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا
اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا
ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا
من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير
والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه

لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة الكفرة
تدرأ عنهم العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات
وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون
بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا من صنوف الاموال ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم
من عذاب يوم القيمة واللام متعلق بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى
اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب
لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذا قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان
عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي
سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع
اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت
في ذلك وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى
كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه
الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز
حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته
فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي عليه السلام
او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة ايثارا لترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم
او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة
من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا
عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر مبتدأ محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ
ومن الذين خبره اي من اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمن السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة
والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك
تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب
لان سماعون الثاني مكرر للتأكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا
باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف
لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه
بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة

ليسألوا رسول الله عليه السلام عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له
انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم
على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله عليه السلام بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته
ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة الذين
لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين
هادوا والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتأكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشا من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله عليه السلام
اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولذلك قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا
لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك
عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك
وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة
الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها
المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو
عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي
الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك
القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا
متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم
عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء
رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية
ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون
لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون
كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التوراة ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن
والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى كأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان
على الجمل كالقول او مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على
ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص
اي ذات قصاص وقرأ الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه

فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارة له أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما أنزل الله من القصاص وغيره فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم أي أتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي إليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف أو تعليقا به وعطف وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الأول اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرتك بأن قم أي وأمرنا بأن ليحكم ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون عن حكمه أو عن الإيمان إن كان مستهينا به والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى وأنه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر وأنزلنا إليك الكتاب بالحق أي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الأولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظها عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول أي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى أو الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما أنزل الله أي بما أنزل الله إليك ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف أو حال من فاعله أي لا تتبع أهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة إلى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الأمر إذا وضح واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الإسلام لأجبركم عليه ولكن ليبلوكم في ما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى الحكمة الإلهية أم تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وأن احكم بينهم بما أنزل الله عطف على الكتاب أي أنزلنا إليك الكتاب والحكم أو على الحق أي أنزلنا بالحق وبأن احكم ويجوز أن يكون جملة بتقدير وأمرنا أن احكم ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أي أن يضلوك ويصرفوك عنه وأن بصلته بدل من هم بدل الاشتمال أي احذر فتنتهم أو مفعول له أي احذرهم مخافة أن يفتنوك روي أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد عليه السلام لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله عليه السلام فنزلت فإن تولوا عن الحكم المنزل وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على أن لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس حمامها وإن كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه أفحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا إلى رسول الله عليه السلام أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ ويبغون خبره وحذف الراجع حذفه في الصلة في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية أي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون أي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فلا تعتمدوا عليهم وتعاشروهم معاشرة الأحباب بعضهم أولياء بعض إيماء على

علة النهي أي فإنهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فإنه منهم أي من والاهم منكم فإنه من جملتهم وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما أو لأن الموالين لهم كانوا منافقين إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار أو المؤمنين بموالاة أعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن أبي وأضرابه يسارعون فيهم أي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة يعتذرون بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر ويكون الدولة للكفار روي أن عبادة بن الصامت قال لرسول الله عليه السلام إن لي موالي من اليهود كثير عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من موالاتهم وأوالي الله ورسوله فقال ابن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله عليه السلام على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء أو الأمر بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا أي هؤلاء المنافقون على ما أسروا في أنفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول عليه السلام فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قرأه عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون وبالنصب قرأه أبو عمرو ويعقوب عطفا على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو يجعله بدلا من اسم الله تعالى داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الإخلاص أو يقولونه لليهود فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجتهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين إما من جملة المقول أو من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط أعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه على الأصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الإمام والباقون بالإدغام وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله عليه السلام ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الأسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله عليه السلام من غدها وأخبر الرسول عليه السلام تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله عليه السلام من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر بجند من المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله عليه السلام خالدا فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يده وفي إمرة عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم أهل اليمن لما روي أنه عليه السلام أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لأنه سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع إلى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه أذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل واستعماله مع على إما لتضمن معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أو للمقابلة أعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه

وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة أخرى لقوم أو حال من الضمير في أعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى أنهم
الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه أو حال بمعنى أنهم يجاهدون في سبيل الله وحالهم خلاف حال المنافقين فإنهم يخرجون في جيش
المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك
إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو أهله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وإنما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله تعالى على الأصالة ولرسوله وللمؤمنين
على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا فإنه جرى مجرى الاسم أو بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون
متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الإحسان ومسارعة إليه فإنها نزلت
في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور والمستحق للتصرف
فيهم والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضا خلاف الظاهر وإن صح أنه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا
يكون دليلا على أن الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم أولياء فإن حزب
الله هم الغالبون أي فإنهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون
وتنويها بذكرهم وتعظيما لهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الإسلام
ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا إيماء على العلة وتنبيها على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاة
جدير بالمعاداة والبغضاء وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم أبو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وإن عم أهل الكتاب يطلق على
المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على أن النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب
كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي إن كنتم مؤمنين لأن الإيمان حقا يقتضي ذلك وقيل إن كنتم مؤمنين بوعده ووعيده وإذا ناديتم
إلى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا أي اتخذوا الصلوة أو المناداة وفيه دليل على أن الأذان مشروع للصلوة روي أن نصرانيا بالمدينة كان إذا سمع المؤذن
يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شررة في البيت فأحرقه وأهله ذلك بأنهم قوم لا يعقلون
فإن السفه يؤدي إلى الجهل بالحق والهزء والعقل يمنع منه قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا إذا أنكره وانتقم منه إذا كافأه
وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها وأن أكثركم فاسقون عطف على أن آمنا
وكان المستثنى لازم الأمرين وهو المخالفة أي ما تنكرون منا إلا المخالفة حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون منه أو كان الأصل واعتقاد أن أكثركم فاسقون
فحذف المضاف أو على ما أي ما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وما أنزل وبأن أكثركم أو على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا إلا أن آمنا لقلة إنصافكم وفسقكم
أو نصب بإضمار فعل دل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو رفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة
والمال يمنعكم عن الإنصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله عليه السلام عمن يؤمن به فقال أؤمن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا
حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل أنبئكم بشر من ذلك أي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير
كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير

بدل

بدل من شر على حذف مضاف أي بشر من أهل ذلك من لعنه الله أو بشر من ذلك دين من لعنه الله أو خبر محذوف أي هو من لعنه الله وهم اليهود أبعدهم الله
من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار أهل مائدة عيسى
وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول
ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا أي فيهم أو بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت أو عبد على أنه نعت كفطن ويقظ أو عبدة
الطاغوت على أنه جمع كخدم أو أن أصله عبدة فحذفت التاء للإضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت
العجل وقيل الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله أولئك أي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا
وأضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد بصيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالإضافة إلى المؤمنين في الشرارة
والضلال وإذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله عليه السلام أو في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به أي يخرجون من عندك
كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا وقد وإن دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح
أن يقع حالا أفادت أيضا لما فيها من التوقع أن أمارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول عليه السلام يظنه ولذلك قال والله أعلم بما كانوا يكتمون أي من الكفر
وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم أي من اليهود أو المنافقين يسارعون في الإثم أي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الإثم والعدوان الظلم أو مجاوزة
الحد في المعاصي وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى إلى غيرهم وأكلهم السحت أي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه
لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فإن لولا إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ وإذا دخل على
المستقبل أفاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون أبلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث أن الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه وترو وتحري إجادة
ولذلك ذم به خواصهم ولأن ترك الحسبة أقبح من مواقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديرا بأبلغ الذم
وقالت اليهود يد الله مغلولة أي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه إلى إثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث
لا يتصور ذلك كقوله • جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده • ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه أنه فقير لقوله لقد سمع الله
قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة أو بغل الأيدي حقيقة يغلون أسارى في الدنيا
ويسحبون إلى النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الأصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد
ونفي البخل عنه وإثباتا لغاية الجود فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للإكرام ينفق كيف يشاء
تأكيد لذلك أي هو مختار في إنفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا
من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولأنها مضاف إليها ولا من اليدين إذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فإنه قال ذلك لما كف الله
عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا عليه السلام وأشرك فيه الآخرون لأنهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا
أي هم طاغون كافرون يزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للأصحاء وألقينا بينهم العداوة والبغضاء
إلى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله كلما أرادوا حرب الرسول عليه السلام وإثارة شر عليه ردهم الله
بأن أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فإنهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس
ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة أوقدوا أو صفة نارا ويسعون في الأرض فسادا أي للفساد وهو اجتهادهم

في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد عليه السلام وبما جاء به واتقوا
ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة
ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل
اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان
يفيض عليهم بركات السماء والارض او بكثرة ثمرة الاشجار وغلة الزروع او برزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض
بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة
عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد عليه السلام وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما
اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا
ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان
الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب
والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين
لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي عليه السلام بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة
فقويت وعن انس كان رسول الله يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية توجب تبليغ
كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء
اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد عليه السلام والاذعان لحكمه
فان الكتب الالهية بأسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم
لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع
على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله
فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم
عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان
مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف
عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا
وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل
صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اي من آمن منهم والنصب على البدل
من اسم ان وعطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى
اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم

بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب
محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا
ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان
بما في حيزها سادة مسد مفعوليه فعموا عن الدين والدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم
ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله تعالى عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير
او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر
في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني
عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم
عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا
على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق ويحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم
بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم
الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر
او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد الباطلة والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير
والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو
الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق
آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات
بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد
المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا
يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا
الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر
لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق
اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل
يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام في شريعتهم واضلوا كثيرا اتباعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي

هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني
اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة
لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم
واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤا له ولا ينتهون
عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا
يوالون المشركين بغضا لرسول الله عليه السلام والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون
هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى
وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم
ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او
يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض
انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض
فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف لو عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد عليه السلام فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته
او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار
واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل
ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره
توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن
اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا
الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله عليه السلام بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه
واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثمانين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله
فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان
حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن
ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما
روي انه عليه السلام وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا

على

على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله
عليه السلام فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء
فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه
لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف
وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو
من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم
او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى لكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم
او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته
فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام
من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر
وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون
او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل
والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار
وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم
الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى
او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي لم يجد واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة التتابع
لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم
واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم
آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب
اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف
محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون
اي لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان
تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية
للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص
الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة
الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله

الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم
فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا
الصالحات اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصى
واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر
فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه
وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ والوسط
والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا عن العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها
عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشىء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء
من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشىء للتنبيه على انه ليس من العظائم التى تدحض فيها الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده فكيف
يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم
واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك اى بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جأشه فى مثل
ذلك ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اى محرمون جمع حرام كرداح وردح
ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن فى الحل والحرام الحدأة والغراب
والعقرب والفارة والكلب العقور وفى رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف فى ان هذا النهى هل يلغى حكم الذبح فيلحق
مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر
على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه
عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه
جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة
المصدر الى المفعول واقحام مثل كما فى قولهم مثلى لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزى مثل ما قتل وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزى جزاء يماثل ما قتل او فجزاؤه
مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى والقيمة عند ابى حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن الهدى تخير بين ان يهدى
ما قيمته قيمته وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام
والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من الضمير فى خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن
وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء
فى به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه
بالحرم والتصدق به وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مسكين عطف بيان
او بدل منه او خبر محذوف اى هى طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعى او ان يكفر باطعام

ما يساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو فى الاصل مصدر
اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشىء فى المقدار كعدلى الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف
اى فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام
الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما فى الجاهلية او قبل التحريم او فى هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة
على العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا فى الماء وهو حلال لقوله عليه السلام فى البحر
هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره فى البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه
اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اى ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على
المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اى محرمين
وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح
او المفعول الثانى قياما للناس انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه
الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل فى فعله ونصبه على المصدر او على الحال
والشهر الحرام والهدى والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة
الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع
المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شىء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم
وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد فى ايجاب القيام بما امر به من التبليغ ولم يبق
لكم عذر فى التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى الخبيث والطيب حكم عام فى نفى المساواة عند الله
بين الردى من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة
والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولى الالباب اى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا
الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين
يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء
والمعنى لا تسألوا رسول الله عليه السلام عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه
مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشىء على ان اصله شيّئ كهين
او شيىء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها
اذ روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله عليه السلام حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت او استيناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة
ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شىء الا اجبت
فقال رجل اين ابى فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التى دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد

يعد بعض ولا انبياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين
اي بسببها حيث لم يأتمروا بها او قالوا او جحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة
خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم
الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل
عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم والامر ولكنهم يقلدون كبارهم
وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها
لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة
فلا يكفي التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على
الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع
ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا
اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة
الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره
يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين
على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه
او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم
عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة
الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته
الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة
صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلوة كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم
لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله
كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله باقامتها وعن الشعبي
انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين
اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما من تحريف
فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان
الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب

وابو بكر

وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان
واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى ان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين
الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او ذوي دينه
على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان
اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث
وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي
ابن بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها
في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة
وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله عليه السلام بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا اشتريناه
منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل
لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد
ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا
ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة
او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب
باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان
سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما
اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ
علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام نصب على الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى ابن مريم
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر
عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك
بروح القدس بجبريل او بالكلام الذي يحيا به الدين والنفس حياة ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة
على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولة بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيرها في آل عمران وقرأ نافع ويعقوب
طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا
سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي
يجوز ان يكون ان مصدرية وان يكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا
فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما

الحكمة والارادة لا على انه تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك
والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم
شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان
لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة او ان الله
يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك
او انهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور
العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد
فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اي آية كائنة
منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة والشكر عليها وانت خير الرازقين اي خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها
عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به
على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين
غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى
وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا
الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى
فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا
يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ
ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا
وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة هاهنا عبارة
عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام
ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف
عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمل ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله
مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما
توصل الى عبادة الله تعالى فكأنه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان قوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم
ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به

به

بمعنى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم
منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله
وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكأنه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك
والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اراد
عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك
اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة
مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ حمزة ونافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى
واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع
ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات
والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا
لهم غير اولي العقل اعلاما بانهم في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق
متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات
بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة

سورة الانعام مكية وهي مائة وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات
والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات
دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات
والنور انشأهما والفرق بين جعل وخلق ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة
بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها ولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى
والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة
كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد
ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمه ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر
او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على
الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوف اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون
بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى او ان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق آباءكم فحذف
المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق

لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى
عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة
ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع
الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله من المري
وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء
اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه
والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق بالمصدر لان صلته لا تتقدم
ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات
ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين
تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم
او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا
به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه
من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة
وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها
مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا
من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر على ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في رق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار
حيث لا مانع وتقييده بالايدي لرفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل
عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوا
والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة
يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى لو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى
على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب شرط محذوف اي لو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون
على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة وللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام عما يرى
من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا
كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك

ولذلك

ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه
على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية
الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم
في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض من الكل فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم
لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر
اي انتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك
في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى
عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة
والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال
احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق
وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض
ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت
ان اكون اول من اسلم لان النبي عليه السلام سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي لا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبين للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة
من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به
محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز العظيم اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر
فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد
لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة
نزل حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع
على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه
اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي
لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر ومن الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن
تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون
قل انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو واني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة
في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا

بين الامرين تنبيها على ان كل واحد منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم
جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون
اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها
ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها
من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع
على انها الاسم ونافع وابو بكر وابو عمرو بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كقولك من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا
ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين
عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن
والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله عليه السلام يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري
ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول سورة البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى
اذا جاؤك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين
كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا
جاؤك في موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه
اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون
وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضررهم لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي ولو تراهم حين يوقفون
على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود
تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة
ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا
ولو ردوا اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم
لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس
للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع
على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر

لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحياة الدنيا
اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شأنها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية
وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس
من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين او تغليب
الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشأن
وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين
الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية للرسول
الله عليه السلام وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم
نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآية ولقد جاءك من نبأ المرسلين
اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما
في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة
لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام
قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم
للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة
فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل
كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا
نزل عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية
تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوا هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة
عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل يطير بجناحيه في الهواء وصفه به
قطعا لمجاز السرعة ونحوها الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون
كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق
لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول فان فرط لا يتعدى
بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن
عباس حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق
في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشإ الله يضلله من يشاء الله

اضلاله بضلاله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب
اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلثة مفاعيل وللزم
في الآية ان يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة
وهولها ويدل عليه أغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما
حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وتنسون
ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول انه القادر على كشف الضر دون غيره او وتنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى
امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فأخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث
لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن
قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى بيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم
التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم استدراجا بين نوبتي الضراء والسراء
وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن
ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا بما اوتوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين
على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل أرأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف
نصرف الآيات نكررها تارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض
بعد تصريف الآيات وظهورها قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقديم امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة وجهرة
هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين
بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون
بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم
عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته وخزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول
لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا
لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم
كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحالة لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين عمار

وصهيب

وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت
حتى ننظر الى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر وقرأ ابن
عامر بالغدوة يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا
بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان
من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا
في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم
ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم
على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين
فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم
دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام
للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا أليس الله بأعلم بالشاكرين بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين
يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة
على العبادة وامره بان يبدأهم بالتسليم او يبلغ سلام الله عليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل
ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ولا يعز ولا يذل ويتبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما جاؤوا الى الرسول عليه السلام فقالوا
انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا بجهالة استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح
على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضي الله عنه فيما اشار اليه او متلبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدي
الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول
غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين
المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المؤمنين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا
التفصيل وابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى لتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف
على علة مقدرة اي نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد
الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب
للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد
قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني
على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية
او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى
ما عندي ما تستعجلون يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتأخيره يقص الحق اي القضاء

الحق اى يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير
ونافع وعاصم يقص الحق من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندى اى فى قدرتى وامكانى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر
بينى وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وانقطع ما بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين فى معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ
وبمن ينبغى ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما فى
تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما فى البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه
بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس
معطوفات على ورقة وقوله الا فى كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع
للعطف على محل من ورقة او للابتداء والخبر الا فى كتاب مبين وهو الذى يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال
الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشىء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على العادة ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث
ترشيحا للتوفى فيه فى النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المستيقظ آخر اجله المسمى له فى الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية
خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به اعماركم
من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء
وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس
الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم
الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالالف ممالة وهم لا يفرطون بالتوانى والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم
بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله اى الى حكمه وجزائه مولاهم الذى يتولى امرهم الحق العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم
يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت
الظلمة للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم يوم ذو كواكب او من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم
بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجينا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة
القول اى يقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه
الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك
فى عبادة الله فكانه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح وقوم لوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال
بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدى ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد
لعلهم يفقهون وكذب به قومك اى بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب
او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه فى الدنيا او الآخرة
واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره اعاد الضمير

على

على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره
مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون
وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شىء مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى
ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شىء لان من حسابهم
يأباه ولا على شىء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم
يثبتون على تقواهم ولا ينثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم
الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز
ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا
حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل
لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليكم اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل
وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف
قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون
الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذى
استهوته الشياطين كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهويه بالف ممالة ومحل الكاف
النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين الذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته فى الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب
لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى اى يهدونه الى الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له
ائتنا قل ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام
لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه
كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول عليه السلام بهذا القول
اجابة عن الصديق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق
والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيه الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارض
وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل
يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات
واحياءها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير
كالفذلكة للآية واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر

وصف بها الشيخ الهرم ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل
اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد آزر ثم قال أتتخذ
اصناما آلهة تفسيرا له وتقريرا ويدل عليه انه قرئ أ ازرا تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه
علم اني اراك وقومك في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع
الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون
من الموقنين اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم
وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه
الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالفساد او على وجه النظر
والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الآفلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار
يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها
فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت
قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي
دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال
لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال أتحاجوني في الله
في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع
الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به
علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا
تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز والقادر الضار النافع
ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل أينا انا ام انتم
احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه او من الله بالجواب
عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال
لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك وقيل المعصية وتلك اشارة
الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله أتحاجوني اليه حجتنا آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق
بحجتنا ان جعل خبر تلك او بمحذوف ان جعل بدله اي آتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين
ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل اي من قبل ابرهيم
عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا

من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان
وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين اي نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح
فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليهما السلام كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان
بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل
على اليزيد في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران اخي ابرهيم عليه السلام
وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق في عصرهم ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا
كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم
تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء
مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل
الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء
المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي عليه السلام وكل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم
ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى
مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير
ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا اي جعلا من جهتكم
كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله
حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته
وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن
بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه
وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول عليه السلام بقوله انشدك الله الذي انزل التوراة
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد عليه السلام ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم
الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله
انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم فلا عليك
بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعول ذرهم او فاعل يلعبون او منهم والثاني والظرف متصل
بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل

علیه مبارک ای کثیر البرکات ولتنذر او علة محذوف ای ولتنذر اهل ام القری انزلناه وانما سمیت مکة بذلک لانها قبلة اهل القری ومحجتهم ومجتمعهم واعظم
القری شانا وقیل لان الارض دحیت من تحتها او لانها مکان اول بیت وضع للناس وقری ابو بکر عن عاصم بالیاء ای لینذر الکتاب ومن حولها اهل الشرق
والغرب والذین یؤمنون بالآخرة یؤمنون به وهم علی صلاتهم یحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا یزال الخوف یحمله علی النظر والتدبر
حتی یؤمن بالنبی والکتاب والضمیر یحتملهما ویحافظ علی الطاعة وتخصیص الصلوة لانها عماد الدین وعلم الایمان ومن اظلم ممن افتری علی الله کذبا فزعم انه
بعثه نبیا کمسیلمة والاسود العنسی او اختلق علیه احکاما کعمرو بن لحی ومتابعیه او قال اوحی الی ولم یوح الیه شیء کعبد الله بن سعد بن ابی سرح کان یکتب
لرسول الله علیه السلام فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طین فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارک الله احسن الخالقین تعجبا
من تفصیل خلق الانسان فقال علیه السلام اکتبها فکذلک نزلت فشک عبد الله وقال لئن کان محمد صادقا لقد اوحی الی کما اوحی الیه ولئن کان کاذبا لقد قلت
کما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله کالذین قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو تری اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف علیه ای ولو تری الظالمین
فی غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشیه والملائکة باسطوا ایدیهم بقبض ارواحهم کالمتقاضی الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسکم ای یقولون لهم اخرجوها
من العذاب وخلصوها من ایدینا الیوم یریدون وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الی ما لا نهایة له تجزون عذاب الهون ای الهوان یریدون العذاب المتضمن
لشدة واهانة فاضافته الی الهون لعراقته وتمکنه فیه بما کنتم تقولون علی الله غیر الحق کادعاء الولد والشریک له ودعوی النبوة والوحی کاذبا وکنتم
عن آیاته تستکبرون فلا تتاملون فیها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادی منفردین عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنیا او عن
الاعوان والاوثان التی زعمتم انها شفعاؤکم وهو جمع فرد والالف للتانیث ککسالی وقری فراد کرخال وفراد کثلاث وفردی کسکری کما خلقناکم اول مرة
بدل منه ای علی الهیئة التی ولدتم علیها فی الانفراد او حال ثانیة ان جوز التعدد فیها او حال من الضمیر فی فرادی ای مشبهین ابتداء خلقکم عراة حفاة غرلا بهما او صفة
مصدر جئتمونا ای مجیئا کخلقنا لکم وترکتم ما خولناکم ما تفضلنا به علیکم فی الدنیا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهورکم ما قدمتم منه شیئا ولا احتملتم نقیرا
وما نری معکم شفعاءکم الذین زعمتم انهم فیکم شرکاء ای شرکاء لله فی ربوبیتکم واستحقاق عبادتکم لقد تقطع بینکم ای تقطع وصلکم وتشتت جمعکم والبین
من الاضداد یستعمل للوصل والفصل وقیل هو الظرف اسند الیه الفعل علی الاتساع والمعنی وقع التقطع بینکم ویشهد له قراءة نافع والکسائی وحفص عن عاصم بالنصب
علی اضمار الفاعل لدلالة ما قبله علیه او اقیم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بینکم وقد قری به وضل عنکم ضاع وبطل ما کنتم تزعمون انها شفعاؤکم او ان
لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوی بالنبات والشجر وقیل المراد به الشقاق الذی فی الحنطة والنواة یخرج الحی یرید به ما ینمو من الحیوان والنبات
لیطابق ما قبله من المیت مما لا ینمو کالنطف والحب ومخرج المیت من الحی ومخرج ذلک من الحیوان والنبات ذکره بلفظ الاسم حملا علی فالق الحب فان قوله یخرج
الحی واقع موقع البیان له ذلکم الله ای ذلکم المحیی الممیت هو الذی یحق له العبادة فانی تؤفکون تصرفون عنه الی غیره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة
اللیل او عن بیاض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذی یلیه والاصباح فی الاصل مصدر اصبح اذا دخل فی الصبح سمی به الصبح وقری بفتح الهمزة
علی الجمع وقری فالق بالنصب علی المدح وجاعل اللیل سکنا یسکن الیه التعب بالنهار لاستراحة فیه من سکن الیه اذا اطمأن الیه استیناسا به او یسکن فیه الخلق
من قوله لتسکنوا فیه ونصبه بفعل دل علیه جاعل لا به فانه فی معنی الماضی ویدل علیه قراءة الکوفیین وجعل اللیل حملا علی المعنی المعطوف علیه فان فالق بمعنی
فلق ولذلک قری به او به علی ان المراد جعل مستمر فی الازمنة المختلفة وعلی هذا یجوز ان یکون والشمس والقمر عطفا علی محل اللیل ویشهد له قراءتهما بالجر والحسن
نصبهما بجعل مقدرا او قری بالرفع علی الابتداء والخبر محذوف ای مجعولان حسبانا ای علی ادوار مختلفة یحسب بها الاوقات ویکونان علما علی الحسبان وهو مصدر حسب
بالفتح کما ان الحسبان بالکسر مصدر حسب وقیل جمع حساب کشهاب وشهبان ذلک اشارة الی جعلهما حسبانا ای ذلک التسییر بالحساب المعلوم تقدیر العزیز الذی قهرهما وسیرهما

علی

علی الوجه المخصوص العلیم بتدبیرهما والانفع من التدابیر الممکنة لهما وهو الذی جعل لکم النجوم خلقها لکم لتهتدوا بها فی ظلمات البر والبحر فی ظلمات
اللیل فی البر والبحر واضافتها الیهما للملابسة او فی مشتبهات الطرق وسماها ظلمات علی الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذکر بعدما اجملها بقوله
لکم قد فصلنا الآیات بیناها فصلا فصلا لقوم یعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذی انشاکم من نفس واحدة هو آدم علیه السلام فمستقر ومستودع
ای فلکم استقرار فی الاصلاب او فوق الارض واستیداع فی الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستیداع وقرا ابن کثیر والبصریان بکسر القاف
علی انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول ای فمنکم قار ومنکم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستیداع قد فصلنا الآیات لقوم یفقهون
ذکر مع ذکر النجوم یعلمون لان امرها ظاهر ومع ذکر تخلیق بنی آدم یفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصریفهم بین احوال مختلفة دقیق غامض
یحتاج الی استعمال فطنة وتدقیق نظر وهو الذی انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا علی تلوین الخطاب به بالماء نبات کل شیء
نبت کل صنف من النبات والمعنی اظهار القدرة فی انبات الانواع المفتنة بماء واحد کما فی قوله یسقی بماء واحد ونفضل بعضها علی بعض فی الاکل
فاخرجنا منه ای من النبات او الماء خضرا شیئا اخضر یقال اخضر وخضر کاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراکبا
وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان ای واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شیء من طلعها قنوان ویجوز ان یکون من النخل خبر قنوان
ومن طلعها بدل منه والمعنی وحاصله من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو کصنوان جمع صنو وقری بضم القاف کذئب وذؤبان
وبفتحها علی انه اسم جمع اذ لیس فعلان من ابنیة الجمع دانیة قریبة من المتناول او ملتفة قریب بعضها من بعض وانما اقتصر علی ذکرها عن مقابلها لدلالتها
علیه وزیادة النعمة فیها وجنات من اعناب عطف علی نبات کل شیء وقری بالرفع علی الابتداء ای ولکم او ثم جنات او من الکرم جنات ولا یجوز عطفه
علی قنوان اذ العنب لا یخرج من النخل والزیتون والرمان ایضا عطف علی نبات او نصب علی الاختصاص لعزة هذین الصنفین عندهم مشتبها
وغیر متشابه حال من الرمان او من الجمیع ای بعض ذلک متشابه وبعضه غیر متشابه فی الهیئة والقدر واللون والطعم انظروا الی ثمره ای ثمر کل واحد من ذلک
وقرا حمزة والکسائی بضم الثاء والمیم وهو جمع ثمرة کخشبة وخشب او ثمار ککتاب وکتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره کیف یثمر ضئیلا لا یکاد ینتفع به وینعه والی
حال نضجه کیف یعود ضخما ذا نفع ولذة وهو فی الاصل مصدر ینعت الثمرة اذا ادرکت وقیل جمع یانع کتاجر وتجر وقری بالضم
وهو لغة فیه ویانعه ان فی ذلکم لآیات لقوم یؤمنون ای لآیات علی وجود القادر الحکیم وتوحیده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة
من اصل واحد ونقلها من حال الی حال لا یکون الا باحداث قادر یعلم تفاصیلها ویرجح ما تقتضیه حکمته مما یمکن من احوالها ولا یعوقه عن فعله ند یعارضه او ضد
یعانده ولذلک عقبه بتوبیخ من اشرک به والرد علیه فقال وجعلوا لله شرکاء الجن ای الملائکة بان عبدوهم وقالوا الملائکة بنات الله وسماهم جنا
لاجتنانهم تحقیرا لشانهم او الشیاطین لانهم اطاعوهم کما یطاع الله او عبدوا الاوثان بتسویلهم وتحریضهم او قالوا الله خالق الخیر وکل نافع والشیطان
خالق الشر وکل ضار کما هو رای الثنویة ومفعولا جعلوا لله شرکاء والجن بدل من شرکاء او شرکاء الجن ولله متعلق بشرکاء او حال منه وقری الجن بالرفع
کانه قیل من هم فقیل الجن وبالجر علی الاضافة للتبیین وخلقهم حال بتقدیر قد والمعنی وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن ولیس من یخلق کمن لا یخلق
وقری وخلقهم عطفا علی الجن ای وما یخلقونه من الاصنام او علی شرکاء ای وجعلوا له اختلاقهم للافک حیث نسبوه الیه وخرقوا له افتعلوا وافتروا وقرا نافع
بتشدید الراء للتکثیر وقری وحرفوا ای زوروا بنین وبنات فقالت الیهود عزیر ابن الله وقالت النصاری المسیح ابن الله وقالت العرب الملائکة بنات الله
بغیر علم من غیر ان یعلموا حقیقة ما قالوه ویروا علیه دلیلا وهو فی موضع الحال من الواو او المصدر ای خرقا بغیر علم سبحانه وتعالی عما یصفون وهو ان له
شریکا او ولدا بدیع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الی فاعلها او الی الظرف کقولهم ثبت الغدر یعنی انه عدیم النظیر فیهما وقیل معناه

المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص
الى الاول وفى الآية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان مبدعاته السموات والارضون وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة
عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث
ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة
الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو المبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا
فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى امور كم فكلوها اليه
وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال
للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية عاما فى الاوقات فلعله
مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو
اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا يدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير
فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن
سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصر بها فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمى عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم
بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه السلام وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك
التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اى ليقولوا درست صرفنا
واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس
اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت
او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات
اى قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن
وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحى اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب
الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم ومن جعله منسوخا بآية السيف
حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع
وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى ولا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها
بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان
عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى انه عليه السلام كان يطعن فى آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها
فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر كذلك زينا لكل
امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم

ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر فى موضع الحال والداعى لهم الى هذا القسم
والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه السلام فى طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله
هو القادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتى وارادتى وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اى الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون
اى لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة
وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم
منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم
انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اى ما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اى وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها
كما لم يؤمنوا به اى بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة
وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل
علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتى بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة
بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق
عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون فى حال الا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة
ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل
يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل
نبى سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه تعالى شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول
مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به او حال منه يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض زخرف القول
الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر فى موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء
وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف والغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة
الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا
اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه وليرضوه لانفسهم
وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق
من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذى انزل اليكم الكتاب
القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقرره مغن عن سائر الآيات والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم
مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل وقيل المراد
مؤمنو اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين فى انهم يعلمون ذلك او فى انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم

فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على
صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية
والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل ولا احد يقدر ان يحرفها شايعا
ذايعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله تعالى وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل
احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به والقرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض
اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال واتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر
الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم
وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون
انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل
النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ
من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا
والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين
الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان
بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم
ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وفصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل
الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح
باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه
ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد رضي الله عنه مثله وقال مالك والشافعي رحمهما
بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رضي الله عنه بين النسيان والعمد واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق
فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تأكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم
بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله
الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من
هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله
صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها
بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية
اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقدير

المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة
ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي
يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل
نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء
على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة
للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا
هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا
بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان
يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد
وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب
او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان
صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه
وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم
فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها
فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن
يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم
من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا
مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا
الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات ثوائكم
مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير
وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن
والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة ولكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح

دون العذاب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين
يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على أنفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب
وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فإنهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة
وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك إشارة الى إرسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون تعليل للحكم وأن مصدرية أو مخففة
من الثقيلة أي الأمر ذلك لانتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه أو ملتبسين بظلم أو ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول
أو بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من أعمالهم أو من جزائها أو من أجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به
من ثواب أو عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على
المعاصي وفيه تنبيه على أن ما سبق ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله إن يشأ يذهبكم أي ما به اليكم حاجة إن يشأ يذهبكم
أيها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين أي قرنا بعد قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم إن ما توعدون من البعث وأحواله
لآت لكائن لا محالة وما أنتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو على ناحيتكم
وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
إني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي به
اليه وتسجيل بأن المهدد لا يأتي منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتقصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إن جعل من استفهامية بمعنى
أيما يكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وإن جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أي فسوف تعرفون الذي
العاقبة وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن الأدب وتنبيه على وثوق المنذر بأنه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي
إنه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة وجعلوا أي مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والأنعام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي أنهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله
ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا
ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فإنهم أشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بأن
جعلوا الأزكى له وفي قوله بزعمهم تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر أيضا
ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل أولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن
أو من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء بإضافة القتل اليه مفصولا بينهما
بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزاده وقرئ بالبناء للمفعول وجر أولادهم ورفع شركاؤهم
بإضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسمعيل أو ما وجب عليهم ليتدينوا به
للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم أو الشركاء التزيين أو الفريقان
جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم أو وما يفترونه من الإفك وقالوا هذه إشارة الى ما جعل لآلهتهم أنعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح

يستوى

يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى وقرئ حجر بالضم وحرج أي مضيق لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء بزعمهم
من غير حجة وأنعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها
وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لأن ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أو على الحال
أو المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه أو بدله وقالوا ما في بطون هذه الأنعام يعنون أجنة البحائر والسوائب
خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا حلال للذكور خاصة دون الإناث إن ولد حيا لقوله وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والإناث فيه
سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولذلك وافق عاصم في رواية أبي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة
فنصب كغيرهم أو التاء فيه للمبالغة كما في راوية الشعر أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لأنها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع
والنصب وخالصه بالرفع والإضافة الى الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لأن المراد بالميتة ما يعم الذكر والأنثى
فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب إنه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا
أولادهم يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير سفها بغير علم لخفة
عقلهم وجهلهم بأن الله رازق أولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال أو المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه
المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي أنشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير
معروشات ملقيات على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا
أكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه أو للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه أو للجميع على تقدير
أكل ذلك أو كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لأنه لم يكن كذلك عند الإنشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض
أفرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في
الأكل منه قبل أداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فإنها فرضت بالمدينة والآية مكية
وقيل الزكوة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير
ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط إنه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الأنعام
حمولة وفرشا عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة
للحمل والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما أحل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند
أنفسكم إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه أو حال بمعنى مختلفة
أو متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الأول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية
وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالإبل وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب أو حارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز
حرم أم الأنثيين أم أنثييهما ونصب الذكرين والأنثيين بحرم أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أو ما حملت إناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى نبئوني

بعلم ای بامر معلوم یدل علی ان الله حرم شیئا من ذلک ان کنتم صادقین فی دعوی التحریم علیه ومن الابل اثنین ومن البقر اثنین قل آلذکرین حرم ام
الانثیین اما اشتملت علیه ارحام الانثیین کما سبق والمعنی انکار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذکرا او انثی او ما تحمل اناثها ردا علیهم فانهم کانوا یحرمون
ذکور الانعام تارة واناثها تارة واولادها کیف کانت تارة زاعمین ان الله حرمها ام کنتم شهداء بل اکنتم شاهدین حاضرین اذ وصاکم الله بهذا
حین وصاکم بهذا التحریم اذ انتم لا تؤمنون بنبی فلا طریق لکم الی معرفة امثال ذلک الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افتری علی الله کذبا فنسب الیه
تحریم ما لم یحرم والمراد کبراؤهم المقررون لذلک او عمرو بن لحی المؤسس له لیضل الناس بغیر علم ان الله لا یهدی القوم الظالمین قل لا اجد فی ما اوحی الی
ای فی القرآن او فیما اوحی الی مطلقا وفیه تنبیه علی ان التحریم انما یعلم بالوحی لا بالهوی محرما طعاما محرما علی طاعم یطعمه الا ان یکون میتة
الطعام میتة وقرا ابن کثیر وحمزة تکون بالتاء لتانیث الخبر وقرا ابن عامر بالتاء ورفع میتة علی ان کان هی التامة وقوله او دما مسفوحا عطف علی ان
مع ما فی حیزه ای الا وجود میتة او دما مسفوحا ای مصبوبا کالدم فی العروق لا کالکبد والطحال او لحم خنزیر فانه رجس فان الخنزیر او لحمه قذر لتعوده
اکل النجاسات او خبیث مخبث او فسقا عطف علی لحم خنزیر وما بینهما اعتراض للتعلیل اهل لغیر الله به صفة له موضحة وانما سمی ما ذبح علی اسم الصنم فسقا لتوغله فی
الفسق ویجوز ان یکون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف علی یکون والمستکن فیه راجع الی ما رجع الیه المستکن فی یکون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الی تناول
شیء من ذلک غیر باغ علی مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربک غفور رحیم لا یؤاخذه والآیة محکمة لانها تدل علی انه لم یجد فیما اوحی الیه تلک الغایة
محرما غیر هذه وذلک لا ینافی ورود التحریم فی شیء آخر فلا یصح الاستدلال بها علی نسخ الکتاب بخبر الواحد ولا علی حل الاشیاء غیرها الا مع الاستصحاب
وعلی الذین هادوا حرمنا کل ذی ظفر کل ما له اصبع کالابل والسباع والطیور وقیل کل ذی ظفر ای مخلب وحافر وسمی الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم
تعمیم التحریم ومن البقر والغنم حرمنا علیهم شحومهما الثروب وشحوم الکلی والاضافة لزیادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوایا
او ما اشتمل علی الامعاء جمع حاویة او حاویاء کقاصعاء وقواصع او حویة کسفینة وسفاین وقیل هو عطف علی شحومهما او بمعنی الواو او ما اختلط بعظم
الالیة لاتصالها بالعصعص ذلک التحریم او الجزاء جزیناهم ببغیهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فی الاخبار او الوعد والوعید فان کذبوک فقل ربکم
ذو رحمة واسعة یمهلکم علی التکذیب فلا تغتروا بامهاله فانه لا یهمل ولا یرد باسه عن القوم المجرمین حین ینزل او ذو رحمة واسعة علی المطیعین وذو باس
شدید علی المجرمین فاقام مقامه ولا یرد باسه لتضمنه التنبیه علی انزال الباس علیهم مع الدلالة علی انه لازب بهم لا یمکن رده عنهم سیقول الذین اشرکوا
اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره یدل علی اعجازه لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شیء ای لو شاء خلاف ذلک مشیئة ارتضاء کقوله فلو شاء
لهداکم اجمعین لما فعلنا نحن ولا آباؤنا وارادوا بذلک انهم علی الحق المشروع المرضی عند الله لا الاعتذار عن ارتکاب هذه القبایح بارادة الله
ایاها منهم حتی ینهض ذمهم به دلیلا للمعتزلة ویؤید ذلک قوله کذلک کذب الذین من قبلهم ای مثل هذا التکذیب لک فی ان الله منع من الشرک
ولم یحرم ما حرموه کذب الذین من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا علی الضمیر فی اشرکنا من غیر تاکید للفصل بلا حتی ذاقوا باسنا الذی انزلنا علیهم
قل هل عندکم من علم من امر معلوم یصح الاحتجاج به علی ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون فی ذلک الا الظن
وان انتم الا تخرصون تکذبون علی الله وفیه دلیل علی المنع من اتباع الظن سیما فی الاصول ولعل ذلک حیث یعارضه قاطع اذ الآیة فیه
قل فلله الحجة البالغة البینة الواضحة التی بلغت غایة المتانة والقوة علی الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهی من الحج بمعنی القصد کانها
تقصد اثبات الحکم وتطلبه فلو شاء لهداکم اجمعین بالتوفیق لها والحمل علیها ولکن شاء هدایة قوم وضلالة آخرین قل هلم شهداءکم احضروهم
وهو اسم فعل لا یتصرف عند اهل الحجاز وفعل یؤنث ویجمع عند بنی تمیم واصله عند البصریین ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدیر السکون

فی اللام

فی اللام فانه الاصل وعند الکوفیین هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حرکتها علی اللام وهو بعید لان هل لا تدخل الامر ویکون متعدیا کما فی الآیة
ولازما کقوله هلم الینا الذین یشهدون ان الله حرم هذا یعنی قدوتهم فیه استحضرهم لیلزمهم الحجة ویظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسک لهم
کمن یقلدهم ولذلک قید الشهداء بالاضافة ووصفهم بما یقتضی العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فیه وبین لهم فساده فان
تسلیمهم موافقة لهم فی الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذین کذبوا بآیاتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة علی ان مکذب الآیات متبع
الهوی لا غیر وان متبع الحجة لا یکون الا مصدقا بها والذین لا یؤمنون بالآخرة کعبدة الاوثان وهم بربهم یعدلون یجعلون له عدیلا قل تعالوا
امر من التعالی واصله ان یقوله من کان فی علو لمن کان فی سفل فاتسع فیه بالتعمیم اتل اقرا ما حرم ربکم منصوب باتل وما تحتمل الخبریة والمصدریة
ویجوز ان یکون استفهامیة منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنی اقل ای ای شیء حرم ربکم علیکم متعلق بحرم او اتل الا تشرکوا به ای لا تشرکوا
لیصح عطف الامر علیه ولا یمنعه تعلیق الفعل المفسر بما حرم فان التحریم باعتبار الاوامر یرجع الی اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب
علی انه للاغراء او بالبدل من ما او من عایده المحذوف علی ان لا زایدة او الجر بتقدیر اللام او الرفع علی تقدیر المتلو ان لا تشرکوا او المحرم ان تشرکوا شیئا
یحتمل المصدر والمفعول وبالوالدین احسانا ای واحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع النهی عن الاسائة الیهما للمبالغة وللدلالة علی ان ترک الاسائة فی
شانهما غیر کاف بخلاف غیرهما ولا تقتلوا اولادکم من املاق من اجل فقر ومن خشیته کقوله خشیة املاق نحن نرزقکم وایاهم منع لموجبیة ما کانوا یفعلون
لاجله واحتجاج علیه ولا تقربوا الفواحش کبایر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التی
حرم الله الا بالحق کالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلکم اشارة الی ما ذکر مفصلا وصاکم به بحفظه لعلکم تعقلون ترشدون فان کمال العقل
هو الرشد ولا تقربوا مال الیتیم الا بالتی هی احسن الا بالفعلة التی هی احسن ما یفعل بماله کحفظه وتثمیره حتی یبلغ اشده حتی یصیر بالغا وهو جمع
شدة کنعمة وانعم او شد کصر واصر وقیل مفرد کآنک واوفوا الکیل والمیزان بالقسط بالعدل والتسویة لا نکلف نفسا الا وسعها الا ما یسعها ولا یعسر علیها
وذکره عقیب الامر معناه ان ایفاء الحق عسیر فعلیکم بما فی وسعکم وما وراءه معفو عنکم واذا قلتم فی حکومة ونحوها فاعدلوا فیه ولو کان ذا قربی
ولو کان المقول له او علیه من ذوی قرابتکم وبعهد الله اوفوا یعنی ما عهد الیکم من ملازمة العدل وتادیة احکام الشرع ذلکم وصاکم به لعلکم تذکرون تتعظون به وقرا
حمزة وحفص والکسائی تذکرون بتخفیف الذال حیث وقع اذا کان بالتاء والباقون بتشدیدها وان هذا صراطی مستقیما الاشارة فیه الی ما ذکر فی السورة
فانها باسرها فی اثبات التوحید والنبوة وبیان الشریعة وقرا حمزة والکسائی ان بالکسر علی الاستیناف وابن عامر ویعقوب بالفتح والتخفیف والباقون به مشددة
بتقدیر اللام علی انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطی بفتح الیاء وقرئ وهذا صراطی وهذا صراط ربکم وهذا صراط ربک ولا تتبعوا السبل الادیان
المختلفة او الطرق التابعة للهوی فان مقتضی الحجة واحد ومقتضی الهوی متعدد لاختلاف الطبایع والعادات فتفرق بکم فتفرقکم وتزیلکم عن سبیله الذی
هو اتباع الوحی واقتفاء البرهان ذلکم الاتباع وصیکم به لعلکم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتینا موسی الکتاب عطف علی وصاکم وثم للتراخی فی
الاخبار او للتفاوت فی الرتبة کانه قیل ذلکم وصیکم به قدیما وحدیثا ثم اعظم من ذلک انا آتینا موسی الکتاب تماما للکرامة والنعمة علی الذی احسن علی کل من احسن القیام
به ویؤیده ان قرئ علی الذین احسنوا او علی الذی احسن تبلیغه وهو موسی او تماما علی ما احسنه ای اجاده من العلم والشرایع ای زیادة علی علمه اتماما له وقرئ بالرفع
علی انه خبر محذوف ای علی الذی هو احسن او علی الدین الذی هو احسن او علی الوجه الذی هو احسن ما یکون علیه الکتب وتفصیلا لکل شیء وبیانا مفصلا لکل ما یحتاج الیه فی الدین
وهو عطف علی تماما ونصبهما یحتمل العلة والحال والمصدر وهدی ورحمة لعلهم لعل بنی اسرائیل بلقاء ربهم یؤمنون ای بلقائه للجزاء وهذا کتاب یعنی القرآن
انزلناه مبارک کثیر النفع فاتبعوه واتقوا لعلکم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فیه ان تقولوا کراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الکتاب علی

طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في إنما لأن الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وإن كنا إن هي المخففة ولذلك دخلت
اللام الفارقة على خبر كان أي وإنه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي ولا نعرف مثلها أو تقولوا عطف على الأول لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم
لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والأشعار والخطب على أنا أميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها
وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن أظلم ممن كذب بآيات الله بعد أن عرف صحتها أو تمكن من معرفتها وصدف أعرض أو صد عنها فضل وأضل سنجزي الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون بإعراضهم وصدهم هل ينظرون أي ما ينتظرون يعني أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك
ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين إلا أن تأتيهم الملائكة ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل أو يأتي ربك أي أمره
بالعذاب أو كل آية يعني آيات القيمة والهلاك الكلي لقوله أو يأتي بعض آيات ربك يعني أشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة
إذ طلع علينا رسول الله عليه السلام فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمشرق
وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا إيمانها كالمحتضر إذ صار الأمر عيانا والإيمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لإضافة الإيمان إلى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا
أو كسبت في إيمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة إيمانها أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر
الإيمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الأمرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما إيمانها والعطف على
لم يكن بمعنى لا ينفع نفسا إيمانها الذي أحدثته حينئذ وإن كسبت فيه خيرا قل انتظروا إنا منتظرون وعيد لهم أي انتظروا إتيان أحد الثلاثة فإنا منتظرون
وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل إن الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض أو افترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة
كلها في الهاوية إلا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا أي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة إماما لست منهم في شيء أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم
أو أنت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف إنما أمرهم إلى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة
فله عشر أمثالها أي عشر حسنات أمثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد
بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب
وزيادة العقاب قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم بالوحي والإرشاد إلى نصب الحجج دينا بدل من محل إلى صراط إذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديكم
صراطا مستقيما أو مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة والكسائي قيما على أنه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لإعلال فعله كالقيام ملة إبراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من إبراهيم
وما كان من المشركين عطف عليه قل إن صلاتي ونسكي عبادتي كلها أو قرباني أو حجي ومحياي ومماتي وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والطاعة
أو طاعات الحيوة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير أو الحيوة والممات أنفسهما وقرأ نافع محياي بسكون الياء إجراء للوصل مجرى الوقف
لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا أشرك فيها غيره وبذلك القول والإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته
قل أغير الله أبغي ربا فأشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للإنكار والدليل له أي وكل
ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس إلا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر أخرى جواب
عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم إلى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف

الأرض يخلف بعضكم بعضا أو خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيها على أن الخطاب عام أو خلفاء الأمم السالفة على أن الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم
فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال إن ربك سريع العقاب لأن ما هو آت قريب أو لأنه يسرع إذا أراده وإنه لغفور رحيم
وصف العقاب ولم يضفه إلى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم إليه الوصف بالرحمة وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على أنه تعالى غفور بالذات
معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله عليه السلام أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم
زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوما وليلة سورة الأعراف مكية

سورة

غير ثماني آيات من قوله واسألهم إلى قوله وإذ نتقنا محكمة كلها وقيل إلا قوله وأعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام
في مثله كتاب خبر محذوف أي هو كتاب أو خبر المص والمراد به السورة أو القرآن أنزل إليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه أي شك فإن الشك
حرج الصدر أو ضيق قلب من تبليغه مخافة أن تكذب فيه أو تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي إليه للمبالغة كقولهم لا أرينك هاهنا والفاء تحتمل العطف والجواب
وكأنه قيل إذا أنزل إليك لتنذر فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بأنزل أو بلا يكن لأنه إذا أيقن أنه من عند الله جسر على الإنذار وكذا إذا لم يخفهم أو علم
أنه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب بإضمار فعلها أي لتنذر وتذكر ذكرى فإنها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع
عطفا على كتاب أو خبرا لمحذوف اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه أولياء
يضلونكم من الجن والإنس وقيل الضمير في من دونه لما أنزل أي ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون أي تذكرا
قليلا أو زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وإن جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على أن الخطاب بعد مع النبي عليه السلام وكم من قرية وكثير من القرى أهلكناها أردنا
إهلاك أهلها أو أهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء أهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال أو هم قائلون عطف عليه أي قائلين
نصف النهار كقوم شعيب وإنما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فإنها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فإنه غير فصيح وفي
التعبير بهما مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولأنهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع فما كان دعواهم أي دعاؤهم
واستغاثتهم أو ما كانوا يدعونه من دينهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين
أرسل إليهم عن قبول الرسالة وإجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما أجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم
المجرمون سؤال الاستعلام أو الأول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا إنك أنت علام
الغيوب أو عليهم وعلى الرسل إليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم والوزن
أي القضاء أو وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق إظهارا للمعدلة
وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فيعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي أن الرجل يؤتى به إلى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا
كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الأشخاص
لما روي عنه عليه السلام أنه قال ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذي هو الوزن الحق صفته أو خبر محذوف
ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته أو ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون أو ميزان
فأولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها

واقترفوا ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها
وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم
ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا
آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم قلنا لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك
الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء
مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به
استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر
وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما
يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك
فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه قال عليه السلام
من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال انظرني الى يوم يبعثون اي امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني
او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى
او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم
باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن
فان اللام يصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله
لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل
من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة
ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل
الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه
ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة
قال اخرج منها مذؤوما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام
لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد وعلة لاملان
ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا

هذه الشجرة وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا
يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف
عورتهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما
ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في أويصل تصغير واصل
لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه
انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك
لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه
بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة
فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا
الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما
واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة
عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان
وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل
على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة
المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم
انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو في موقع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع
الى حين الى ان تقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا
يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب
الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترتش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا
وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير
او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس
من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم
بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما

لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته
وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم
من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية
في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض
عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة
فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين
كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل
على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي
عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه
وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم
كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب
تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة
بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي خذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم
ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم
ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة
وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت
ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم
قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع
والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والمشارب وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار
قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع
بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل
ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر للمبالغة
بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت
مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول
يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها

ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون
الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون
ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم تدعون من دون الله اين الآلهة التي
كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة
امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت
بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم اي دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم
اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل
ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت
اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوا عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون
في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتأنيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب
بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير
فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمّل كالقمّل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب
والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ
غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف
الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب
في اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه
حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف
دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا
بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادي له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون

اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان فى المواضع الخمسة هى المخففة او المفسرة لان
المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا
بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائى بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
وقرأ ابن كثير فى رواية البزى وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى القول
الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر فى المعانى
والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور
او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الآخر وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار
من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون لظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار
حتى يقضى الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون فى صورة الرجال يعرفون كلا
من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة او من وسم على القلب
من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون
حال من الواو وعلى الوجه الاول من الاصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
اى فى النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق
او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت
الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم
ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا
على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اى صبوه وهو دليل على ان الجنة
فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب
طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم
ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ
مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر
الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور
ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسى قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم جاؤا بالحق
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين
وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذى كنا نعمل جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم

بصرف

بصرف اعمارهم فى الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام اى فى ستة اوقات كقوله
ومن يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف فى اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة
على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التانى فى الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به
لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما
وقرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير
يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول
بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها
بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد
فى الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذى له الخلق والامر
فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات فى يومين وعمد الى
ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض
فى يومين اى ما فى جهة السفل فى يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض فى يومين وجعل
فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لقوله فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض
وما بينهما فى ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير مملكته فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب
وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال
ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان
الداعى ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى عليه السلام سيكون قوم يعتدون
فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوى خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم
استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب
لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب
والقريب من غيره وهو الذى يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع
وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا بالتخفيف وهو تخفيف
بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة بين يدى رحمته قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت سحابا اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب
سقناه اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت اى لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق

او بالريح ولذلك ذكره واخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية فيهما
من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها
بانواع النبات والثمار نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى موادها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا
والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره وعبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث
اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات
نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتأثر بها لقد
ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن
لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره
وقرا الكسائي غيره بالكسر على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا
وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان قال الملا من قومه اي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنراك
في ضلال اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى
كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها
لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام والانذار
بالوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم واعلم من الله اي من قدرته او اوعدهم به فان معناه اعلم
من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا
الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم
من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل
تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او من الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان
انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا
الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم
بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره استانف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه اقرب من قوم نوح
ولذلك قال قال الملا الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث تركت دين قومك
وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
سبق في اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم بكمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله

وانا لكم

وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرا ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عذاب الله ثم ذكرهم بانعامه
وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة وهو تعميم وتخصيص فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا
لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء
في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون
ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب
ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات
هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على
تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم
يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب
اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن
منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا
فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا
اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر
مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى
ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين • الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا الغماما • فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما •
حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة
فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد
من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها
ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم
بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي
القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة
ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية
ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة
ولذلك كانت آية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة
في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض ارض الحجر تتخذون من الجبال بيوتا
وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا

الا الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا اي عن الايمان من قومه للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم
لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه
عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به
موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها واسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا
عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين روي انهم
بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض
وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فندعو الهك وندعو آلهتنا
فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة
مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان
ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمغر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها
ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا
وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله عليه السلام اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه
اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى
لتأكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقرر للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتأتون الرجال
شهوة من دون النساء بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له
او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء
الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها
الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤا
بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش والخبائث
وأهله اي من آمن به الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا

اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم
الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن
انها ما هي وما روي من محاربة عصاه التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات
السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل ان تكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش
لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا المكيال والميزان او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم
وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم
ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل
صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى
في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون
الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا
عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم عنه
بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا
عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي
ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو
خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد
الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب
هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا
على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه
جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا
ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا
خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل
ما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة
الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا
من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط

والقسم الموطأ باللام فأخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فأصبحوا في دارهم جاثمين في مدينتهم
الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها أي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا
لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فإنهم الرابحون في الدارين للتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين
ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذارا على عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي
في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف إيسى بالإمالة وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر
لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالأمرين
حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات إذا كثر ومنه إعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بأنه
من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فأخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو أن أهل القرى
يعني القرى المدلول عليها بقوله وما أرسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض
لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر
والمعاصي أفأمن أهل القرى عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا
تبييتا أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين وهو في الأصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز
أو المستتر في بياتا أو أمن أهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون على الترديد أن يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الأصل ضوء الشمس إذا
ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تقرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه
من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أي يخلفون
من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وإنما عدي يهد باللام لأنه بمعنى يبين أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا
من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه أولم يهد أي يغفلون عن الهداية أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز
عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا لأنه في سياق جواب لو لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الأمم المار ذكرها
نقص عليك من أنبائها حال إن جعل القرى خبرا ويكون إفادته بالتقييد بها وخبر إن جعلت صفة ويجوز أن يكونا خبرين ومن للتبعيض أي نقص بعض أنبائها
ولها أنباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب
أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا
للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لأكثرهم لأكثر
الناس والآية اعتراض أو لأكثر الأمم المذكورين من عهد من وفاء عهد فإن أكثرهم نقضوا ما عهد الله إليهم في الإيمان والتقوى بإنزال الآيات ونصب الحجج أو ما عهدوا
إليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وإن وجدنا أكثرهم أي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول
إن المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين إن للنفي واللام بمعنى إلا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل
في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم بآياتنا يعني المعجزات إلى فرعون وملئه فظلموا بها بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا

موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين إليك وقوله حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق لعله جواب لتكذيبه إياه في دعوى الرسالة
وإنما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان أصله حقيق على أن لا أقول كما قرأه نافع فقلب لأمن الإلباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
أو لأن ما لزمك فقد لزمته أو للإغراق في الوصف بالصدق والمعنى أنه حق واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي ناطقا به أو ضمن
حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباء لإفادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي بالباء وقرئ حقيق أن لا
أقول قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال
قال إن كنت جئت بآية من عند من أرسلك فأت بها فأحضرها عندي ليثبت بها صدقك إن كنت من الصادقين في الدعوى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين
ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وهو الحية العظيمة روي أنه لما ألقاها صار ثعبانا أشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض
والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي
أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء للناظرين أي بيضاء بياضا
خارجا عن العادة يجتمع إليه النظارة أو بيضاء للنظار لا أنها كانت بيضاء في جبلتها روي أنه كان آدم شديد الأدمة فأدخل يده في جيبه أو تحت إبطه
ثم نزعها فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم قيل هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في أمره
فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون تشيرون في أن نفعل قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم
كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به إلى فرعون والإرجاء التأخير أي أخر أمره وأصله أرجئه كما قرأ أبو عمرو ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئهو على قراءة
ابن كثير على الأصل في الضمير أو أرجهي من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسمعيل والكسائي وأما قراءته في رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء
بالكسرة عنها وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كإبل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان أرجئه
بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي
بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما أرسل الشرط في طلبهم قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين استئناف
كأنه جواب سائل قال ما قالوا إذ جاءوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص إن لنا على الإخبار وإيجاب الأجر كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم قال نعم
إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين خيروا موسى
مراعاة للأدب أو إظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أو تأكيد ضميرهم المتصل
بالمنفصل فلذلك قال ألقوا كرما وتسامحا أو ازدراء بهم ووثوقا على شأنه فلما ألقوا سحروا أعين الناس بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم
وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها
بعضا وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فألقاها فصارت حية فإذا هي تلقف ما يأفكون أي ما يزورونه من الإفك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز
أن يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك
جمع عظيم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف هنا وفي طه والشعراء
فوقع الحق فثبت لظهور أمره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا أذلاء مبهوتين أو رجعوا إلى المدينة أذلاء

مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم
تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا
آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه
للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص آمنتم به على الاخبار وقرا قنبل قال
فرعون وآمنتم يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير الفين وقرا في طه على الخبر بهمزة والف وقرا في الشعراء على
الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير الفين وقرا الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع
لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم
وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك
فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي
بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا
الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا
افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به
وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم
الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك ان
تذر موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن وآلهتك
معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي عبادتك قال
فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا
على يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا
قول فرعون تضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين
وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد
والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح
لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده
فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا
ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات

ومن لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات
واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب
شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون
اي ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة
من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما
وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره
قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل
الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام
في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة
وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم
ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب
ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط عليهم القمل فاكل ما ابقاه
وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف
ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود
ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما
وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها
آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد
ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون
ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو
صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد
عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن ولنرسلن
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم
اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك
قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة
المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم
واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم

على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح
هامان وقرا ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور
الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله عليه السلام روي انه عبر بهم يوم عاشورا بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه
شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين
امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم
قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني
ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما
بالغ في هذه الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على
ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين
والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس
شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم
او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة
عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب وعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين
روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم
انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عشرا وقيل امره ان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة
ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا
تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه
بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين
قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى او لن اريك او لن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد
فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها
ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال على استحالتها بانه خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل
على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به
انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له
اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة
دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت اليك من الجراة
والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه وانا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس

اى

اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرا ابن كثير ونافع برسالتي
وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر
وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام
واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها
التورية او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة
وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا
احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر
من الشتاء ساريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي
جهنم وقرئ سأورثكم بمعنى سابينها لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم ساصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين
يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكه
بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال
عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو مؤيد للوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي
الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
اي ذلك الصرف بسببها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها
هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر
واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا
بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس
جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه
الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر
على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين
الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقراهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان
اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة
والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى
من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق
فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب

وفرط الضجر حمية روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع
كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب
الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي
فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي
ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي
ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا
على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية
وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم وهي قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات
من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور
رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام
مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله
او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى
بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير
يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى
امره ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب
ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فادخلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل
منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون
وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر
على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا
ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشف الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى
في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا
القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق
وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا
او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء
في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة
خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم

او خبر

او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد عليه السلام وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا
بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احد معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه
بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه
ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي اتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع
الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام قل يا ايها الناس اني رسول الله
الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم اليكم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض
صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول
بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي
يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن
لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين
تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطة الضلالة ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين
او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة
تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله عليه السلام ليلة المعراج
وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا
بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل
لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه
للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم
وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا
مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم
على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه
وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول
بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم وقرأ ابن عامر خطيئتكم بالهمزة ورفع التاء من غير الف على التوحيد وقرأ نافع كذلك لانه على
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسلفهم للتقرير والتوبيخ تقديم

وبعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر
قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف
لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون
ويعدون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون
لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع
علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم
يوم السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا
من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة
الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا
معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة
اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس
على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء
كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم فلما عتوا عن ما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا
للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين قالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتي
انسباءهم تشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه
كالايعاد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى
يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام
بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه السلام
ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم
في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه
وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم
لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل
جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عهد رسول الله عليه السلام ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها

يا

ياخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا ياخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف
الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة
والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
والدار الآخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع
وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ
خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر يمسكون بالتخفيف
وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل
ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك
انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي قلنا خذوا او قائلين
خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل
من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي نصب لهم دلائل ربوبيته وركب
في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف
على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا
عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد
عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم
اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرح
كتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج
عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل
او امية بن ابي الصلت كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفر به او بلعم
بن باعورا من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان
من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم
فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى
السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على
ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب

وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض
واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله
وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده
او دلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع
للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص
على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤديهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم الذين ساء مثل القوم على حذف المخصوص
الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين
بين تكذيب الآيات وظلمهم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهدي الله فهو
المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هدايته تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد
في الاول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هدى الله
تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا
خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها
اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها اي الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار
والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار
في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى
لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الصفات وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية
الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم
ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه
او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر
واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد
الرسول وغيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او
الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا
في الغي حتى تحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين اي اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا من جنة جنون روي انه عليه السلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون
بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها

وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا
في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده اي بعد القرآن
يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله
عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي حديث
يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم يعمهون بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم
ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك
عن الساعة اي عن القيامة وهو من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان مرساها
متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض
آوى الى الكل قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها
مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتوقيت كاللام في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها
والثقلين هولها وكأنه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تأتيكم الا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سأل عنه
في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له
ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه
لانه من الغيب الذي استأثره الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيب الا ما شاء الله
من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب
المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير
ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم
زوجها حواء ليسكن اليها ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا
خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به او قامت وقعدت وقرئ فمرت
وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء
للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له
شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون
ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك
من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه
تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل

من قريش فانهم خلفوا من قصي وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياه عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة **ولا يستطيعون لهم نصرا** اي لعبدتهم **ولا انفسهم ينصرون** فيدفعون عنها ما يعتريها **وان تدعوهم** اي المشركين **الى الهدى** الى الاسلام **لا يتبعوكم** وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهديكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله **سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون** وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم **ان الذين تدعون من دون الله** اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة **عباد امثالكم** من حيث انها مملوكة مسخرة **فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين** انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال **الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها** وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عباد على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم هنا وفي القصص والدخان **قل ادعوا شركاءكم** واستعينوا بهم في عداوتي **ثم كيدون** فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي انتم وشركاؤكم **فلا تنظرون** فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه **ان وليي الله الذي نزل الكتاب** اي القرآن **وهو يتولى الصالحين** اي من عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه **والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون** من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم **وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون** يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه **خذ العفو** اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة **وأمر بالعرف** المعروف المستحسن من الافعال **واعرض عن الجاهلين** فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها **واما ينزغنك من الشيطان نزغ** ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه **فاستعذ بالله انه سميع** يسمع استعاذتك **عليم** يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان** لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره **تذكروا** ما امر الله به ونهى عنه **فاذا هم مبصرون** بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله **واخوانهم يمدونهم** اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين **في الغي** بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغواء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال **ثم لا يقصرون** ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له **واذا لم تأتهم بآية** من القرآن او مما اقترحوه **قالوا لولا اجتبيتها** هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من الله **قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي** لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها **هذا بصائر من ربكم** هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب **وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** سبق تفسيره **واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون** نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى القراءة

على المأموم وهو ضعيف **واذكر ربك في نفسك** عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي **تضرعا وخيفة** متضرعا وخائفا **ودون الجهر من القول** ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص **بالغدو والآصال** باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو **ولا تكن من الغافلين** عن ذكر الله **ان الذين عند ربك** يعني الملائكة الرفيق الاعلى **لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه** وينزهونه **وله يسجدون** ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون غيره وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي عليه السلام اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم **يسألونك عن الانفال** اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه **قل الانفال لله والرسول** اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله عليه السلام لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله عليه السلام واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم **فاتقوا الله** في الاختلاف والمشاجرة **واصلحوا ذات بينكم** الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول **واطيعوا الله ورسوله** فيه **ان كنتم مؤمنين** فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان **انما المؤمنون** اي الكاملون في الايمان **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت **واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا** لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه **وعلى ربهم يتوكلون** يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه **الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا** لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا **لهم درجات عند ربهم** كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم **ومغفرة** لما فرط منهم **ورزق كريم** اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق** خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم **وان فريقا من المؤمنين لكارهون** في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص

ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله عليه السلام فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة
فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت
عبد المطلب أن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة إلا أصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك أبا جهل فقال ما ترضى
رجالهم أن يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة ومضى بهم إلى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد بإحدى الطائفتين إما العير وإما قريش فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال
حتى نتأهب له إنا خرجنا للعير فردد عليهم وقال إن العير مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب
رسول الله عليه السلام فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك
رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فإنا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا
إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله عليه السلام ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار
لأنهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة أنهم برآء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم فتخوف أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة
فقام سعد بن معاذ وقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل
واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا
على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وقيل إنه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك العير
فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في إيثارك
الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين أنهم ينصرون أينما توجهوا بإعلام الرسول كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون أي يكرهون القتال
كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم إذ روي أنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان وفيه إيماء
إلى أن مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين على إضمار اذكر وإحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد أبدل منها أنها لكم بدل الاشتمال
وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فإنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعدتهم
والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله أن يحق الحق أن يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال أو بأوامره للملائكة بالإمداد وقرئ بكلمته
ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق
الحق ويبطل الباطل أي فعل ما فعل وليس بتكرير لأن الأول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي إلى حمل الرسول على اختيار
ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك إذ تستغيثون ربكم بدل من إذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق أو على إضمار اذكر واستغاثتهم
أنهم لما علموا أن لا محيص من القتال أخذوا يقولون أي رب انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه أنه عليه السلام نظر إلى المشركين وهم ألف
وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه
فقال أبو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم أني ممدكم بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ أبو عمرو بالكسر على
إرادة القول أو إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول بألف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضا من أردفته إذا جئت بعده

أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين أو أنفسهم المؤمنين من أردفته إياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أي متبعين أو متبعين بمعنى أنهم
كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وأصله مرتدفين بمعنى مترادفين فأدغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء
على الأصل أو بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالألف الذين كانوا على المقدمة
أو وجوههم وأعيانهم أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي أخبار تدل عليها وما جعله الله أي الإمداد إلا بشرى إلا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن
به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم وإمداد الملائكة وكثرة العدد والأهب ونحوها وسائط
لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها إذ يغشيكم النعاس بدل ثان من إذ يعدكم لإظهار نعمة ثالثة أو متعلق بالنصر أو بما في عند الله من معنى
الفعل أو بجعل أو بإضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من أغشيته الشيء إذا غشيته إياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يغشاكم النعاس
بالرفع أمنة منه أمنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فإن قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والأمنة فعل لفاعله ويجوز أن يراد بها
الإيمان فيكون فعل المغشي وأن يجعل على القراءة الأخيرة فعل النعاس على المجاز لأنها لأصحابه أو لأنه كان من حقه أن لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم
فكأنه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم أن يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ أمنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء
ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لأنه من تخييله أو وسوسته وتخويفه إياهم من العطش روي أنهم نزلوا في كثيب أعفر تسوخ
فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس إليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون
محدثين مجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب
واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم
ويثبت به الأقدام أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة إذ يوحي ربك بدل ثالث أو متعلق بيثبت
إلى الملائكة أني معكم في إعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على إرادة القول أو إجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة أو بتكثير
سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا كالتفسير لقوله أني معكم فثبتوا وفيه دليل على أنهم قاتلوا ومن منع
ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين إما على تغيير الخطاب أو على أن قوله سألقي إلى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم
قولي هذا فوق الأعناق أعاليها التي هي المذابح أو الرؤوس واضربوا منهم كل بنان أصابع أي حزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم ذلك إشارة إلى الضرب
أو الأمر به والخطاب للرسول أو لكل أحد من المخاطبين قبل بأنهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لأن كلا من المتعاديين في شق خلاف
شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب تقرير للتعليل أو وعيد بما أعد لهم
في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع أي الأمر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه فذوقوه
أو غيره مثل باشروا أو عليكم لتكون الفاء عاطفة وأن للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع
ما أجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما يا أيها
الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي إذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به
وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الأدبار بالانهزام فضلا أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم والأظهر أنها محكمة مخصوصة بما في قوله حرض المؤمنين الآية ويجوز
أن ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول أي إذا لقيتموهم متزاحفين يدبون إليكم وتدبون إليهم فلا تنهزموا وأن تكون من الفاعل وحده ويكون إشعارا بما سيكون منهم

حين تولوا دبرهم اثنى عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا
الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ان ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله عليه السلام ففروا
الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له والاستثناء من المولين
اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا
لم يرد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم
بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء
جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصله الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت
بصورة الرمي ولكن الله رمى اي بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى
وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي
بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة
الآيات فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر
ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين
ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم
لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلتين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت
فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر وحفص ان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين
والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار
او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه
اي لا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة
الرسول كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون اصلا ان شر
الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به
وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به
او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى

لاسمعهم

لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول
وروي انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله
وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل لان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع
الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن
او مما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة
لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع
على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او تصوير
وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده فيحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد
على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن
معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة
القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى
ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى
الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض
ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او
من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار
او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض
والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم وروي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح
اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان
مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت
اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام
حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال
ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزئك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان
اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون
انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله تعالى ليبلوكم
فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا

إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصراً يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجاً من الشبهات
أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهوراً يشهر أمركم ويبث صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم
بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم
تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه وإحسان وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده إنعاماً على عمل وإذ يمكر بك الذين كفروا تذكار
لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر إذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق والحبس أو الإثخان بالجرح
من قولهم ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك أو يقتلوك بسيوفهم أو يخرجوك من مكة وذلك أنهم
لما سمعوا بإسلام الأنصار ومتابعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم
فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ
بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوماً
غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاماً وتعطوه سيفاً فتضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليه السلام وأخبره بالخبر وأمره بالهجرة فبيت علياً رضي الله عنه
على مضجعه وخرج مع أبي بكر إلى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم
حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره وإسناد أمثال هذا مما يصلح للمزاوجة ولا يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم وإذا
تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا قول النضر بن الحارث وإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان قاصهم وقيل هو
قول الذين ائتمروا في أمره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم
بالسيف فلم يعارضوا سواه مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصاً في باب البيان إن هذا إلا أساطير الأولين ما سطره الأولون من القصص وإذ قالوا
اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هذا أيضاً من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود روي أنه لما قال النضر إن هذا
إلا أساطير الأولين قال له النبي عليه السلام ويلك إنه كلام الله فقال ذلك والمعنى إن كان القرآن حقاً منزلاً فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره أو ائتنا
بعذاب أليم سواه والمراد منه التهكم وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاً وقرئ الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة
على أن المعلق به كونه حقاً بالوجه الذي يدعيه النبي عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقاً لتجويزهم أن يكون مطابقاً للواقع غير منزل كأساطير الأولين
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي
والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم
اللهم غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون وما لهم أن لا يعذبهم الله وما لهم ما يمنع
تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه إلجاء الرسول عليه السلام والمؤمنين إلى الهجرة
وإحصارهم عام الحديبية وما كانوا أولياءه مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء
إن أولياؤه إلا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالأكثر
أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها إلا مكاء

صفيراً فعال من مكا يمكو إذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية تصفيقاً تفعلة من الصد أو من الصدى على إبدال حرف التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم
بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته روي أنهم كانوا يطوفون عراة
الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك إذا قرأ النبي عليه السلام في صلاته يخلطون عليه ويرون
أنهم يصلون أيضاً فذوقوا العذاب يعني القتل والأسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون
اعتقاداً وعملاً إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً من قريش يطعم كل واحد
منهم كل يوم عشر جزر أو في أبي سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية أو في أصحاب العير
فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم في تلك الحال وهو إنفاق بدر والثاني إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو إنفاق أحد ويحتمل أن يراد بهما واحد على أن مساق الأول
لبيان غرض الإنفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وأنه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندماً وغماً لفواتها من غير مقصود وجعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة
إنفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالاً قبل ذلك والذين كفروا أي الذين ثبتوا على الكفر منهم إذ أسلم بعضهم إلى جهنم يحشرون
يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أو ما أنفقه المشركون في عداوة
رسول الله عليه السلام مما أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميّز من التمييز وهو أبلغ من الميز
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم إلى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين
فيجعله في جهنم كله أولئك إشارة إلى الخبيث لأنه مقدر بالفريق الخبيث أو إلى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم
قل للذين كفروا يعني أبا سفيان وأصحابه والمعنى قل لأجلهم إن ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ
بالتاء والكاف على أنه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وإن يعودوا إلى قتاله فقد مضت سنة الأولين الذين تحزبوا على الأنبياء بالتدمير
كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الأديان الباطلة فإن انتهوا
عن الكفر فإن الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة إلى الإسلام
والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على أنه كما يستدعي إثابتهم للمباشرة يستدعي إثابة مقاتليهم للتسبب
وإن تولوا ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا
أنما غنمتم أي الذي أخذتموه من الكفار قهراً من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فأن لله خمسه مبتدأ خبره محذوف أي فثابت أن لله خمسه وقرئ فإن
بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل فكأنه قال فأن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول عليه السلام يصرف إلى
ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله عنهما وقيل إلى الإمام وقيل إلى الأصناف الأربعة وقال أبو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى
بوفاته وصار الكل مصروفاً إلى الثلاثة الباقية وعن مالك الأمر فيه مفوض إلى الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية فقال يقسم
ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل
مضموم إلى سهم الرسول وذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي أنه عليه السلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء إخوتك

بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم
لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم
كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم فالعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة
بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم
آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض
والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر
فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة
الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم
بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو
اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال
من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى
جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى
فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم
لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن
جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة
بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي
المشارف للهلاك والحيوة او من هذه حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام
للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد
اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به
اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر في امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة
تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عليه السلام ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم
ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا
والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا
كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور

يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا
الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي
ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله
ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح
مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله
وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة
حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا
فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس
المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده
ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم
عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية
والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجيرة لهم
حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت
الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم
وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة
تنزل نكص وكان يده في يد الحرث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى
قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره
ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان
بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به
فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة
ما يستبعد العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول
محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله تعالى وهو مبتدأ خبره
يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم
ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا
بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك اي الضرب والعذاب

بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر ذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ
لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام
للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داوموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون
كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله
بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم حتى يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغير قريش حالهم في صلة
الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول عليه السلام ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك
مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك
يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون
والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان
ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط
وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان
ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين
عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله عليه السلام ان
لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن
لتضمن المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته ولا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم
فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق
على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون
لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد
في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا
على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على
طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبي عليه السلام وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم
او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على
انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به
من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به
في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل
اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ
ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير

لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم
لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه
الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم
تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم
انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله
فان محسبك وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم
من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته عليه السلام وبيانه
لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهي عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة
والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم
انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء
وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت
في البيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم
ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان يكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون
بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة
العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد
بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان
الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي
على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله
من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم
ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن
لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي
الله عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك فقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان

اغناك عن الفداء مكني من فلان نسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله عليه السلام وقال ان الله ليلين قلوب
رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على
رسول الله عليه السلام فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء
ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم السلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه
لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطي في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه
او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن
معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف
تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته
ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين وكذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم
رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
من الفداء روي انها لما نزلت في العباس كلفه رسول الله عليه السلام ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد
تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا
فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله
وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا
يعني الاسارى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا
الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها
في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على
اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها
بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فوجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم
بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او المؤازرة وهو بمفهومه يدل
على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع
العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهو ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين
حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم

في الامرين من يلتحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله
بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الانفال وبراءة
فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة

سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة
والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبرؤ
منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون
وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي عليه السلام اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي
ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة
في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة
ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم
من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله
والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك
انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا
فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع
الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه راكب العضباء
ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي
سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله عليه السلام فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم
عن مناسكهم وقام علي كرم الله وجهه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله
عليه السلام لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدي عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب
ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله
لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال
بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما
روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر
لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق
عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء

او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة
من الله اخبار بثبوت البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب
خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين
كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين
عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان تمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء
مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه
يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير
واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة
لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض
لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد
رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما
يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوا مع وغرة صدورهم
او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون
وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر
على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد
فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار
لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله • وخبرتماني انما الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وكثيب •
اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان • لعمرك ان الك من قريش • كال السقب من رال النعام •
وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا تعقده
الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل ولا ذمة
عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل
لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث
ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر
لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات
فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه

قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم
وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر
موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم
اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم
لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان
يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام
وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون
متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة
دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا
باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعادات والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة
والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوا وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعدلهم
ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا
من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله عليه السلام فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات
ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر
فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره
بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفى العلم واراد به نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله
خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد
الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر
باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره
المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج
ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

وأقام الصلوة وآتى الزكوة أي إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة
العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها
عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول لما علم أن الإيمان بالله قرينه وتمامه الإيمان به
ولدلالة قوله وأقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش إلا الله أي في أبواب الدين فإن الخشية على المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى أولئك أن يكونوا
من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعاً لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخاً لهم بالقطع بأنهم مهتدون فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان
اهتداؤهم دائراً بين عسى ولعل فما ظنك بأضدادهم ومنعاً للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلوا عليها أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله
واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر أسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من إضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن
أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الأول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين
وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة
الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات أو من أهل السقاية
والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم
وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها أبداً أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل إن الله
عنده أجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله أو نعم الدنيا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة
قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهياً عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم
أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن استحبوا الكفر على الإيمان إن اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون
بوضعهم الموالاة في غير موضعها قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد
كعقد العشرة وقرأ أبو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها
أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بأمره جواب
ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله
في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقفها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر وأيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع
إبدال قوله إذ أعجبتكم كثرتكم منه أن يعطف على موضع في مواطن فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جميع
المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر ألفاً العشرة الذين حضروا مكة والفان انضموا
إليهم من الطلقاء وهوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي عليه السلام وأبو بكر أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة إعجاباً بكثرتهم واقتتلوا
قتالاً شديداً فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجامه وابن عمه
أبو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتاً صح بالناس فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة
البقرة فكروا عنقاً واحداً يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة والتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفاً من تراب فرماهم ثم قال

انهزموا

انهزموا ورب الكعبة انهزموا فلم تغن عنكم أي الكثرة شيئاً من الإغناء أو من أمر العدو وضاقت عليكم الأرض بما رحبت برحبها أي بسعتها لا تجدون
فيها مقراً تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والإدبار الذهاب إلى خلف
خلاف الإقبال ثم أنزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وإعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما
وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وأنزل جنوداً لم تروها بأعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر على اختلاف الأقوال
وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر والسبي وذلك جزاء الكافرين أي فعل بهم ما فعل لأنه جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق
للإسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي أن ناساً منهم جاؤوا إلى رسول الله وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبي
أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا إما سباياكم وإما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل
بالأحساب شيئاً فقام رسول الله وقال إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان بيده سبي وطابت
نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى
فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا فرفعوا أنهم قد رضوا يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس لخبث باطنهم أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس
أو لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالباً وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس أن أعيانهم نجسة كالكلاب
وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد وأكثر ما جاء تابعاً لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وإنما نهى عن الاقتراب للمبالغة أو للمنع عن دخول
الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقاً وإليه ذهب أبو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على أن الكفار
مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وإن خفتم عيلة فقراً بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم
من قدومهم من المكاسب والأرفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه أو تفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدراراً ووفق أهل
تبالة وجرش فأسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض وقرئ عائلة على أنها مصدر كالعافية أو حال إن شاء
قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال إلى الله ولينبه على أنه متفضل في ذلك وأن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام إن الله عليم بأحوالكم حكيم
فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر أي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في أول البقرة فإن إيمانهم كلا إيمان ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى أنهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقاداً وعملاً ولا يدينون دين الحق
الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها من الذين أوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جزى
دينه إذا قضاه عن يد حال من الضمير أي عن يد مواتية بمعنى منقادين أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن
غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أو من الجزية بمعنى نقداً مسلمة عن يد إلى يد أو عن إنعام عليهم فإن إبقاءهم بالجزية نعمة عظيمة
وهم صاغرون أذلاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية بأهل الكتاب ويؤيده أن عمر رضي الله عنه
لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أنه عليه السلام أخذها من مجوس هجر وأنه قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب وذلك لأن لهم شبهة كتاب
فألحقوا بالكتابيين وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند أبي حنيفة تؤخذ منهم إلا من مشركي العرب لما روى الزهري أنه عليه السلام صالح عبدة الأوثان
على الأمن كان من العرب وعن مالك تؤخذ من كل كافر إلا المرتد وأقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال أبو حنيفة على الغني ثمانية وأربعون وعلى
المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن الله إنما قاله بعضهم من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة وإنما قالوا

ذلك لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا إلا
لأنه ابن الله والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب بالتنوين على أنه عربي
مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الأخرى إما لمنع صرفه للعجمة والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين أو لأن الابن وصف
والخبر محذوف مثل معبودنا أو صاحبنا وهو مزيف لأنه يؤدي إلى تسليم النسب وإنكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله وهو أيضا قول
بعضهم وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب أو لأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إلها ذلك قولهم بأفواههم إما تأكيد لنسبة
هذا القول إليهم ونفي للتجوز عنها أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولا يوجد مفهومه في الأعيان يضاهئون
قول الذين كفروا أي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه من قبل أي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون
الذين قالوا الملائكة بنات الله أو اليهود على أن الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي
شابهت الرجال في أنها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق
إلى الباطل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم أو بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بأن جعلوه ابنا لله
وما أمروا أي وما أمر المتخذون أو المتخذون أربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ إلا ليعبدوا ليطيعوا إلها واحدا وهو الله وأما طاعة الرسول
وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا إله إلا هو صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن أن يكون له شريك
يريدون أن يطفئوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد عليه السلام بأفواههم بشركهم أو تكذيبهم ويأبى الله
لا يرضى إلا أن يتم نوره بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام وقيل إنه تمثيل لحالهم في طلبهم إبطال نبوة محمد عم بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم
منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده بنفخه وإنما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لأنه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله
عليه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير أنه
وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق أو للرسول واللام في الدين للجنس أي على
سائر الأديان فينسخها أو على أهلها فيخذلهم يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشا في الأحكام
سمي أخذ المال أكلا لأنه الغرض الأعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز أن يراد به
الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه
ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله عليه السلام فقال إن الله لم يفرض الزكاة
إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله عليه السلام ما أدي زكاته فليس بكنز أي بكنز أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله
عليه السلام من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام فيما أورده الشيخان مرويا عن أبي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة
لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره فبشرهم بعذاب أليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم أي يوم توقد
النار ذات حمي شديد عليها وأصله تحمى النار فجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة
التأنيث إلى صيغة التذكير وإنما قال عليها والمذكور شيئان لأن المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه أربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها
كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز أو للأموال فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها

على

على أن الذهب أولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لأن جمعهم وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية
والملابس البهية أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوا ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي
الدماغ والقلب والكبد أو لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على إرادة القول لأنفسكم لمنفعتها وكان
عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون إن عدة الشهور أي مبلغ عددها عند الله
معمول عدة لأنها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ أو في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والأرض متعلق بما فيه
من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله الأجرام والأزمنة منها أربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا
فيهن أنفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم
وحال الإحرام وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم والأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ويؤيد الأول ما روي أنه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين
في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا أن الله
مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم إنما النسيء أي تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا
مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش إنما النسي بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها وقرئ النسي
والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه إذا أخره زيادة في الكفر لأنه تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه إلى كفرهم يضل به الذين كفروا
ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على أن الفعل لله يحلونه عاما يحلون النسيء من الأشهر الحرم سنة ويحرمون
مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته وقيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي إن آلهتكم قد
أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال أو حال ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا
العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء أعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا والله
لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة إلى الاهتداء يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الأصل
واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ إلى الأرض متعلق به كأنه ضمن معنى الإخلاد والميل فعدي بإلى وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف
في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم أرضيتم بالحياة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا فما التمتع
بها في الآخرة في جنب الآخرة إلا قليل مستحقر إلا تنفروا إن لا تنفروا إلى ما استنفرتم إليه يعذبكم عذابا أليما بالإهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو
ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء فارس ولا تضروه شيئا إذ لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئا فإنه الغني عن كل شيء وفي كل
أمر وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه فإن الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب
والنصرة بلا مدد كما قال تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله أي إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه إلا رجل واحد
فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره وإسناد الإخراج
إلى الكفرة لأن همهم بإخراجه أو قتله تسبب لإذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الإعراب ونصبه على الحال
إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول

او ظرف لثانى لصاحبه وهو ابو بكر رضى الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضى الله عنه
على رسول الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا
فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التى تسكن عندها القلوب عليه على النبى عليه السلام او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا
وايده بجنود لم تروها يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه فى الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعنى الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هى العليا يعنى التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عن
الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه فى هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين
والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية فى نفسها فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم فى امره وتدبيره
انفروا خفافا وثقالا لنشاطكم له او ثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن
ام مكتوم لرسول الله عليه السلام أعلىّ ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما
ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا اى لو كان ما دعوا اليه نفعا
دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين
وسيحلفون بالله اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها
لها بواو الضمير فى قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها فى العذاب
وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج
عفا الله عنك كناية عن خطائه فى الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم فى القعود
حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا فى الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله شيئين لم يؤمر بهما
اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين
ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوا فى التخلف عنه او ان يستأذنوك فى التخلف
كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستأذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص
بالله واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون يتحيرون
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوه وعده بكسر العين
باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج
فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم
لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم معكم شيئا الا خبالا فسادا وشرا
ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا
وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولا اوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع
يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون

يسمعون

يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعنى يوم احد
فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك
المكايد والحيل ودوروا الآراء فى ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهى وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون اى على رغم منهم
والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم
تداركا لما فوّت الرسول عليه السلام بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى
فى الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لا تأذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال
اذ لا كافل لهم بعدى او فى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى
اعينك بمالى فاتركنى الا فى الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم
لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن لان احاطة اسبابها بهم كوجودها ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
حسدهم وان تصبك فى بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلف
ويتولوا عن متحدثهم ومجتمعهم الى اهاليهم او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصر
او الشهادة او ما كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو
صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولى امرنا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا
وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر فى معنى الخبر اى لن يتقبل
منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم
وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على
سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ
حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله
ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون
كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين
وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤون اليه
او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا يندسون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا
ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك
يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك فى الصدقات فى قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت

في اتى الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله
عليه السلام يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة
نايب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول
كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله ورسوله صدقة او غنيمة اخرى فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله
والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات
للفقراء والمساكين اي الزكوة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوة دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب
يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله اما السفينة فكانت لمساكين
وانه عليه السلام سأل المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا
ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله عليه السلام عيينة بن حصن والاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه
بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب
بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى
في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين للمديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء ولاصلاح ذات البين
وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين
فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك
فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم
ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن العباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال
الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمه الله على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا لايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او
اشتق له من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن لكن
لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم
من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله
ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه
اذن خير اي ياذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم اي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء
بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك

ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف
الخبر اي فحق له او على ان المكرر للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر
ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون
الضماير للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت
في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي
من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله عليه السلام
في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا
لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبا باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب
قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما
وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول فيهما ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق
والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة
حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية
عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة
الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم
من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل
الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه
من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية
والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا
كالذين خاضوا او كالذي خاضوه او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك
هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابرهيم
اهلك نمرود وبعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم
اي انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات يعني الكل
فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في ساير الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع

عليه ما يريد حكيم يضع الاشيا مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب
فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها
عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلث النبيون والصديقون والشهدا يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون
الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي تعرفونها لتميل اليه طباعهم
اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوايب الكدورات التي لا تخلو عن شي منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فنا ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدا لكل سعادة
وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقا وعنه عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شي افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم
هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم
وماويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه السلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد
لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يفتكوا به اذا
تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل
وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعدا الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله عليه السلام
وما نقموا وما انكروا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله
اثروا بالغنايم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله عليه السلام بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثنا مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا
يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار
وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي
عليه السلام وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا
لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله عليه السلام
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه الكتاب
الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايي فنزلت فجا ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب
يحثو على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجا بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جا بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان فلما آتاهم
من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون هم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك
نفاقا وسو اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله
اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد
متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتا على الالتفات ان الله يعلم سرهم

ما اسروه في انفسهم من النفاق والعزم على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين
في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجا عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وتصدق عاصم بن عدي بماية وسق من تمر وجا
ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله عليه السلام ان ينثره على
الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا ريا ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر
بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم
يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين
الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين
سال رسول الله عليه السلام في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت سوا عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما ورايه فبين له
ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعماية ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره
ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف
عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق
والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم ياسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة
والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح
المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه
على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها
تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة
لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي لما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزا بما كانوا يكسبون اخبار
عما يؤول اليهم حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكا كنايتين عن السرور والغم والمراد
من القلة العدم فان رجعك الله الى طايفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طايفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم
وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة
انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين
اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنسا والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا
رسول الله عليه السلام في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب
ليصلي فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة
لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعا للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله ابدا يعني

الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب لا للتمتع فكأنه لم يحيى ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصرة والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين في ذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله عليه السلام وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اي تسيل دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله ان لا يجدوا لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكأنه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة

على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة للاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي به عاقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه ان الله غفور رحيم تقرير له وقيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اي وممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم وغفار واشجع كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا

من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم رسول الله عليه السلام فدخل المسجد
على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا
صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ وهو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى
قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم
ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا فتصدق بها
وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب وحب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا
للامر وتزكيهم بها وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم
وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد
ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه
معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدى بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما
شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة
بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اى موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة
والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله فى شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل
على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع امر رسول الله عليه السلام اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله تعالى
فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص
وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سألوا رسول الله عليه السلام ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه
فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله عليه السلام فقالوا
انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن
بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذى
يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة فى مسجد قبا وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله يعنى الراهب فانه قال
لرسول الله عليه السلام يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتى
من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام من قبل متعلق بحارب او باتخذوا
اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله
صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى وهى الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين
والله يشهد انهم لكاذبون فى حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعنى مسجد قبا اسسه رسول الله عليه السلام وصلى فيه ايام مقامه
بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله لقول ابى سعيد سألت رسول الله عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم

من اول ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلى فيه فيه رجال يحبون
ان يتطهروا من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم
من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله عليه السلام ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال
امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم
قال اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه
بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار
على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها فانهار به فى نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه
الوادى الهار فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان
تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع
فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة
واسس واساس بالفتح واساس بالكسر وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
جرف بالتخفيف والله لا يهدى القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذى بنوا بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة فى قلوبهم اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد
نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول عليه السلام رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا
بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او فى القبر او فى النار
وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع
بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم فى سبيله يقاتلون فى سبيل الله
فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون فى معنى الامر وقرأ حمزة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت ان الواو
لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه فى معنى الوعد فى التورية والانجيل والقرآن
مذكورا فيهما كما اثبت فى القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح
فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز
ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اى التائبون عن الكفر
على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون
لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتى الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة
نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون فى الصلوة الآمرون بالمعروف

بالإيمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله تعالى والحافظون لحدود الله أي فيما بينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل
إنه للإيذان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث إن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية
وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك وأن المؤمن
الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين روي أنه عليه السلام قال لأبي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله تعالى فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه
فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها
فلم يأذن لي وأنزل علي الآيتين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم
فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار إبراهيم لأبيه الكافر فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه وعدها إبراهيم
إياه أو وعدها إبراهيم أبوه وهي الوعد بالإيمان فلما تبين له أنه عدو لله بأن مات على الكفر أو أوحى الله إليه بأنه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره
إن إبراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الأذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه
وما كان الله ليضل قوما أي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد إذ هداهم للإسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكأنه
بيان عذر الرسول في قوله لعمه أو لمن استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع وقيل إنه في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل
على أن الغافل غير مكلف إن الله بكل شيء عليم فيعلم أمرهم في الحالين إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأسا بين لهم أن الله تعالى مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه
ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة إلا منه ليتوجهوا إليه ويتبرؤوا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والأنصار من إذن المنافقين في التخلف أو برأهم عن علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى
ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبي عليه السلام والمهاجرين والأنصار لقوله وتوبوا إلى الله جميعا إذ ما من أحد إلا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي
إليه توبة من تلك النقيصة وإظهار لفضلها بأنها مقام الأنبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا
في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل إن الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات
على الإيمان أو اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لأن تأنيث القلوب غير حقيقي
وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة أو المراد أنه تاب عليهم
لكيدودتهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو أو خلف
أمرهم فإنهم المرجون حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي برحبها لإعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم أنفسهم قلوبهم من فرط
الوحشة والغم بحيث لا يسعها أنس ولا سرور وظنوا وعلموا أن لا ملجأ من الله من سخطه إلا إليه إلا إلى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا أو أنزل
قبول توبتهم ليعدوا في التوابين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم إن الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة
الرحيم متفضل عليه بالنعم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ

من الصادقين أي في توبتهم وإنابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله
نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه لا يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الأهوال
روي أن أبا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل
ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله عليه السلام في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله
طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكأنه ففرح به رسول الله واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك إشارة
إلى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف أو وجوب المتابعة بأنهم بسبب أنهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله
ولا يطؤون ولا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والأسر والنهب إلا كتب لهم به عمل صالح
إلا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة إن الله لا يضيع أجر المحسنين على إحسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على أن الجهاد إحسان
أما في حق الكفار فلأنه سعي في تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون وأما في حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل
اسم فاعل من ودى إذا سال فشاع بمعنى الأرض إلا كتب لهم أثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك أحسن ما كانوا يعملون جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاء أعمالهم
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم أن يتثبطوا جميعا فإنه يخل بأمر المعاش فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها
ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم وإنذارهم وتخصيصه بالذكر لأنه أهم وفيه دليل على
أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية وأنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون إرادة
أن يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على أن أخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة إلى التفقه لتنذر فرقتها
كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الأخبار ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد أشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر
وهو أنه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرق بعد الطوائف
النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف أي ولينذر البواقي قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار أمروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله عليه السلام أولا بإنذار عشيرته فإن الأقرب أحق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود
حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فإنهم كانوا سكان الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ
بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا أن الله مع المتقين بالحراسة والإعانة وإذا ما أنزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول إنكارا واستهزاء
أيكم زادته هذه السورة إيمانا وقرئ أيكم بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة
وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم وهم يستبشرون بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم وأما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم
رجسا إلى رجسهم كفرا بها مضموما إلى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه أولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء أنهم
يفتنون يبتلون بأصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون

من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم
هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف
الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي
مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم
رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك
عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام
والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي رضي الله عنه آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي عليه السلام ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة
وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير
ونافع وحفص واما لها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد بالكتاب
احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا
وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم فوجهوا نحوه انكارهم واستهزاءهم
الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم
وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال
اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس
ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قل من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة
اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى
باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرئ
وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة
وهذا لا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات
على ما اقتضته الحكمة وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وتنزيلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه
تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية
للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه
المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت والنشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه
مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم
العقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك

لم يعينه واما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء
والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا
بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة
عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء
كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها
وقدره منازل لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام
الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق
الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون
العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة
الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا
غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات راسا والانهماك
في الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه
حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل تؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه
في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل
الصالح كالتتمة والرديف تجري من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال آخر منه
او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم
فيها سلام وآخر دعويهم وآخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه
مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان
هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته
لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله
للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء
للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل
ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد
تعميم الدعاء بجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كأنه
لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه اي كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون

من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذواتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت وما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني غيري كثير ولادراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادراؤكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي لا اجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفادٍ مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم فانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم اي هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل وبعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه

فلعله

فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزوله اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكر لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص من احاطة العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت اي تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقد قرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه فانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار

او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل والتضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرا ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا الى اقصى حده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدا الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم

من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم

وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما
كانت مأوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد وتعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم
من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان
انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن
لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها
وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة
من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا
او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم
يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كان لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف
لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون
في تحصيل المعارف فاكتسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه
يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون
مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية
رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبين
وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب
الكافرين لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي عليه السلام
والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة
اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم
ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب
يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وتعرفوا خطاه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارأيتم او بقوله
اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير
آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي
ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه
على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر
مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من

لوازم

لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك
او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم فداه اذا اعطى فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب
لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال
سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول
قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم
الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه
ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر
لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن
والزاجرة عن مقابحها والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم
فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته
بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل وبرحمته فليفرحوا او بفعل دل عليه ما قبلها اي جاءتكم
وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب
الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك
فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها
وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا
مثل هذه الانعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك
بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة اي شيء ظنهم يحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن
ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال
الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلوا منه
له لان تلاوة القرآن معظم شان الرسول عليه السلام او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة
لتاكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث
خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب
عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان
فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر

من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر
ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ
الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية مجمل فسره قوله
الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان
نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله
ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس
من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا
استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم
هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هولاء الذين هم اشرف الممكنات
عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي
شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا
وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون
ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده
باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع
تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه
فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم
وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كأنه قيل ان عندكم في هذا من سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على
اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله
الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع
في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حيوتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي
كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا
عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف
اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم والاجتماع على قصده

في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن
حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الى ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي
بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم
واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون
من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم
لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح
رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم
في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم
لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هولاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك
تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه لتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا
لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي للقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز
ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى
اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على
انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كأنهم قالوا اجئتنا
بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام
وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال
فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ
محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده وتقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر
بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه من بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون
الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمنوا آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف
من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم
ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها
وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا

نقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له
والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك
اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم
مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما
بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان
موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا تظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة
في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم للتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي
ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها
واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام
للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها
ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم
واشدد على قلوبهم اي اقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا
وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما
كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق والاطمئنان
بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالتخفيف وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل
كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته واتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق
لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا
لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة
عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض
ليراك بنو اسرائيل وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية من الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا
سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه
كان مظاهرا فيها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين
اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا على الطغيان او حجة تدلهم
على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان
افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا
محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا
وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا احكامها او في

امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل
بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم
ثابت في كتبهم على نحو ما القيناه اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ
في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي
والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع
الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم
واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك فانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه
ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون
فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان
يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها
كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام
بعث الى اهل نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود
ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة والايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف
عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه
وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره
الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة
على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت
ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس
العذاب والخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرا ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون
دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته
وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية
في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه
الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء

ايماناً بالله واستسلاماً لقضائه وعملوا الصالحات شكراً لآلائه سابقها ولاحقها أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير أقله الجنة والاستثناء من الانسان
لأن المراد به الجنس فإذا كان محلى باللام أفاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك
أن يكون تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه لجواز
ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ هاهنا وضائق به صدرك وعارض لك أحياناً ضيق صدرك بأن تتلوه عليهم مخافة
أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك أو جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره أن يقولوا إنما أنت نذير ليس عليك إلا الإنذار
بما أوحي إليك ولا عليك ردوا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم
أم يقولون افتراه أم منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم أولاً بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم
وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته من عند نفسي فإنكم عرب فصحاء مثلي تقدرون
على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والأشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله إلى المعاونة على المعارضة
إن كنتم صادقين أنه مفترى فإن لم يستجيبوا لكم بإتيان ما دعوتم إليه وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول أو لأن المؤمنين أيضاً كانوا يتحدونهم وكان أمر الرسول ثابتاً عليهم
متناولاً لهم من حيث إنه يجب اتباعه عليهم في كل أمر إلا ما خصه الدليل وللتنبيه على أن التحدي مما يوجب رسوخ إيمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه
قوله فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه وأن لا إله إلا هو واعلموا أن لا إله إلا الله لأنه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر
عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه بإعجازه عليه وفيه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل أنتم مسلمون ثابتون
على الإسلام راسخون مخلصون فيه إذ تحقق عندكم إعجازه مطلقاً ويجوز أن يكون الكل خطاباً للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجيبوا لكم
إلى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنه نظم لا يعلمه إلا الله وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق فهل أنتم
داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها بإحسانه وبره نوف إليهم أعمالهم فيها نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد وقرئ يوف بالياء
أي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله: وإن أتاه كريم يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم. وهم فيها لا يبخسون
لا ينقصون شيئاً من أجورهم والآية في أهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار مطلقاً في مقابلة ما
عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لأنه لم يبق له ثواب في الآخرة أو لم يكن لأنهم لم يريدوا
به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الإخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على أن الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لأنه لم يعمل على ما ينبغي
وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلاً على أنه مفعول يعملون وما إبهامية أو في معنى المصدر كقوله: ولا خارجاً من فيّ زور كلام. وبطل على الفعل
أفمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لإنكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وأفكارهم
على الدنيا وأن يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي أغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به
النبي عليه السلام وقيل مؤمنو أهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل
القرآن كتاب موسى يعني التوراة فإنها أيضاً تتلوه في التصديق والبينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان الرسول على أن الضمير له
أو من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه إما لمن أو للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفاً على الضمير

في تلوه

في يتلوه أي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على أنه حق كقوله وشهد شاهد من بني إسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة إماماً كتاباً مؤتماً به
في الدين ورحمة على المنزل عليهم لأنه الوصلة إلى الفوز بخير الدارين أولئك إشارة إلى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به
من الأحزاب من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد أو القرآن وقرئ مرية بالضم
وهما الشك إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً كأن أسند إليه ما لم
ينزله أو نفى عنه ما أنزله أولئك يعرضون على ربهم في الموقف بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم ويقول الأشهاد من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد
كأصحاب أو جمع شهيد كأشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين
يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجاً يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون
والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم
وما كان لهم من دون الله من أولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه
العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فإن ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية
وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض أولئك الذين خسروا أنفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها
أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون لا أحد أبين وأكثر خسراناً منهم إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم اطمأنوا إليه وخشعوا له من الخبت وهي الأرض المطمئنة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل
الفريقين الكافر والمؤمن كالأعمى والأصم والبصير والسميع يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن استماع كلام الله
وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بالضد فيكون كل منهما مشبهاً باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم
والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله: الصابح فالغانم فالآيب. وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان
مثلاً تمثيلاً أو صفة أو حالاً أفلا تذكرون بضرب الأمثال والتأمل فيها ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم بأني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة
القول نذير مبين أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص أن لا تعبدوا إلا الله بدل من إني لكم أو مفعول مبين ويجوز أن تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير
إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ
الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أخساؤنا جمع أرذل
فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر أو أرذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو أو أول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها
وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا
إلا ظاهراً من الحيوة الدنيا كان الأحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة
بل نظنكم كاذبين إياك في دعوى النبوة وإياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة من ربي
حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة أو النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لأن البينة في نفسها هي الرحمة
أو لأن خفاءها يوجب خفاء النبوة أو على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت أي أخفيت وقرئ

ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان
لان المراد الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون
ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ها هنا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار
بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم
ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم
وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون
على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة
ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول
متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل والتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه
قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر
عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون
على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم
الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم
داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء
اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون
لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة
ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا
به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي
وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل
افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم
على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به
النبي عليه السلام وقيل مؤمنو اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل
القرآن كتاب موسى يعني التوراة فانها ايضا تتلوه في التصديق والبينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول على ان الضمير له
او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير

في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به
في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به
من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم
وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كأن اسند اليه ما لم
ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد
كاصحاب او جمع شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين
يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون
والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم
وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه
العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية
وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها
او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل
الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله
وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم
والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان
مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتأمل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم بأني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة
القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ
الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل
فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها
وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا
الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل تؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة
بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي
حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها
او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ

فعمّاها على أن الفعل للبيّنة أنلزمكموها أنكرهكم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعًا وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا أسألكم عليه على التبليغ وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالًا جعلًا إن أجري إلا على الله فإنه المأمول منه وما أنا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم إنهم ملاقو ربهم فيخاصمون طاردهم عنده أو إنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ولكني أراكم قومًا تجهلون بلقاء ربكم أو بأقدارهم أو في التماس طردهم أو تتسفهون عليهم بأن تدعوهم أراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه إن طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة أفلا تذكرون لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس بصواب ولا أقول لكم عندي خزائن الله رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلي ولا أعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله أي لا أقول أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادًا أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أقول للذين تزدري أعينكم ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرًا فإن ما أعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذًا لمن الظالمين إن قلت شيئًا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه قلبت تاؤه دالًا لتجانس الزاي في الجهر وإسناده إلى الأعين للمبالغة والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا فأطنبته أو أتيت بأنواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فإن مناظرتك لا تؤثر فينا قال إنما يأتيكم به الله إن شاء عاجلًا أو آجلًا وما أنتم بمعجزين بدفع العذاب والهرب منه ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله إن كان الله يريد أن يغويكم وتقدير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيدًا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما أوهموا من أن جداله كلام بلا طائل وهو دليل على أن إرادة الله تعالى يصح تعلقها بالإغواء وأن خلاف مراده محال وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته وإليه ترجعون فيجازيكم على أعمالكم أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وباله وقرئ أجرامي على الجمع وأنا بريء مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع منه فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أقنطه الله من إيمانهم ونهاه أن يغتم بما فعلوه من التكذيب والإيذاء واصنع الفلك بأعيننا ملتبسًا بأعيننا عبّر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا إليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم إنهم مغرقون محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل إلى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزءوا به لعمله السفينة فإنه كان يعملها في برية بعيدة من الماء أوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارًا بعدما كنت نبيًا قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون إذا أخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به إياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى إذا جاء أمرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها أو في الهند أو بعين وردة من أرض الجزيرة وقيل التنور وجه الأرض أو أشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرًا وأنثى هذا على قراءة حفص والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين أي من كل صنف ذكر وأنثى وأهلك عطف على زوجين أو على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم إلا من سبق عليه القول بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان وأمه واعلة فإنهما كانا كافرين والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه إلا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلًا وامرأة

من غيرهم روي أنه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحش وفي وسطها الإنس وفي أعلاها الطير وقال اركبوا فيها أي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبًا لأنها في الماء كالمركوب في الأرض بسم الله مجراها ومرساها متصل باركبوا حال من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها وإرسائها أو مكانهما على أن المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالًا ويجوز رفعهما ببسم الله على أن المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أي إجراؤها بسم الله على أن بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهي إما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء وروي أنه كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يكون الاسم مقحمًا كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها أيضًا من رسى وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله إن ربي لغفور رحيم أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته إياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعًا وإن صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الألف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ إذ الأنبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعل من عزله عنه إذا أبعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فإنه وقف عليها في الموضع الأول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فإنه فتح ههنا اقتصارًا على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة واختلف الرواة عنه في سائر المواضع وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء أن يغرقني قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم إلا الراحم وهو الله تعالى أو إلا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به إلا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله تعالى في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي نوديا بما ينادى به أولو العلم وأمرا بما يؤمرون به تمثيلًا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والإقلاع الإمساك وغيض الماء نقص وقضي الأمر وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمد روي أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة وقيل بعدًا للقوم الظالمين هلاكًا لهم يقال بعد بعدًا وبعدًا إذا بعد بعدًا بعيدًا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال وإيراد الإخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره إذ لا يذهب الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه وأراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب إن ابني من أهلي فإنه النداء وإن وعدك الحق وإن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه الخلف وقد وعدت أن تنجي أهلي فما حاله أو فما باله لم ينج ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه وأنت أحكم الحاكمين لأنك أعلمهم وأعدلهم أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح إنه ليس من أهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار إليه بقوله إنه عمل غير صالح فإنه تعليل لنفي كونه من أهله وأصله إنه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحًا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه

وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لم تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة
اهله استنجازه في شأن ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استفسار ما سبق عليه القول
من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما
كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذف نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل قال
رب اني اعوذ بك ان اسألك في المستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي والا تغفر لي ما فرط من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل على
اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة سالما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات
في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم
او لتشعب الامم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة
والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها
من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها
وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف برجل منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة
في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم
اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون
افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة
وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم
وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زرع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود
على الايمان والتوبة كثرة المطر وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة
بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين
عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك
من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء
مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله على براءته
من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في هلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه
ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه
وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه
ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم

لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها
على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا
فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف
ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع
وكانه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب عليه
فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه
برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم
او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد
انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا
فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا
من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين
تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا
مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم
عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو
انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم
على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد
ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية
الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر
قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه
ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما
تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها
لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام
فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه
فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه
او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ
وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله عذاب يومئذ

ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف
كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا
الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبرئيل ميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط
قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم
وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في المجيء
به او فما تاخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم
لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار
قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامرأته قائمة وراء الستر
تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا
فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم يعد حقاها ثدياها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها
وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب
وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدا
خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه
بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة
على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل االد وانا
عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على
انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك
قالوا أتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم
والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع اي ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته
البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جاء به مضارعا على حكاية الحال او لانه
في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان
ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على
المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي
بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا
في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض
للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة

من ضيافته ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي
فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ
او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته
من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب
وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد
الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال
لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت
الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب
جبرئيل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث
وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امرأتك استثناء
من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في
الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في
قوله تعالى ما فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة
الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب
لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب
وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبرئيل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم
ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليهم على المدن او شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله
حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله
ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد
بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من ترمى به عند ربك في خزائنه وما هي
من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سأل جبرئيل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض
حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى
مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابرهيم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان
امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل لحكمة التعاوض اني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا

على الناس شكرها عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم
وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة
لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس
اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع
الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور في المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر
وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين في قولي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله
والباقيات الصالحات وقرئ تقية بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها
وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد
آباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس
من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تأمرك بتكليف ان نترك
ما نتركه او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به
ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة
الى مثل ذلك قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه من المال الحلال وجواب
الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه فاخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا
عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اي وما اريد ان آتي
ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان
الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم
عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله
وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح
اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت
فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا
واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتيه ويذره من الله والاستعانة به
في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم
لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه مثل كسب
يعدى الى واحد والى اثنين وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ

بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا
بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا
ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة
للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه
ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم
لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوء او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته
يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا
لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم
وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه
قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون
على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط
فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في
فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو
كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم
وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول
لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله
ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم
اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت
من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر
المكسورة ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد
اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم
الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا
موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له
ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة
الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء
فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله

وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده
والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها من تلك
القرى باق كالزرع القايم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم
باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولم تنفعهم بل ضرتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي
يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك لما جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ
اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها
لكنها لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفايدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد
وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة
يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر
الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة
وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ
من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء
الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان
سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة يوم يأت اي الجزاء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى
حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع
وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وهذا في موقف وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي
وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم
وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض
ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون عنه
على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه
وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليها قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة
لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء
ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض
وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا

بعضهم

بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط
حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين
في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس
والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا
والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على عرف وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا
ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال
لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح
بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص
سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ان نزل
عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه
في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة
آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى
كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة من قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام
ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به
قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به المحق وانهم وان
كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير
ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم
ربك اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي
فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي جامعة للاستقامة في العقائد
كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط
وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف
على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي
وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون
هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي
الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول عليه السلام
ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه

وقرئ تركنوا فتمسكم النار بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو
للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم
ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا
واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه
اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد
الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن
السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي عليه السلام فقال اني قد اصبت من امرأة
غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله
لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان
فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم
اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه
اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي
اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كأنه
اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم الهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه
الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ اتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال
ويجوز ان تفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك
لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم
على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم
ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اي وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك
بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول
وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك وما نثبت به فؤادك مفعوله وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك
الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا
بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة
امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما
ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح

ومن

سورة

ومن كذب به وبهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر
امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم
انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على
البعض والكل وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال
من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه
او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص
لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا
اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين
عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص
ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني
للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا
ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن لانها حرف صحيح منزل
منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر
روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله عليه السلام فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك
هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر
نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء
لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا
لاهلاكك حيلة فهم يعقوب من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليهم حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون
في النوم ففرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال
النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فترسلها الى الحس فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا
عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان
للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي كما اجتباك لمثل هذه
الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ

خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك من تأويل الأحاديث من تعبير الرؤيا لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان
إن كانت كاذبة أو من تأويل غوامض كتب الله وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة
أي أن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب ونسله كما أتمها على أبويك بالرسالة
وقيل على إبرهيم بالخلة والإنجاء من النار وعلى إسحق بإنقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك أو من قبل هذا الوقت إبرهيم وإسحق عطف بيان
لأبويك إن ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الأشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف وإخوته أي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته أو علامات
نبوتك للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد بإخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها
يعقوب أولا فلما توفيت تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ وأربعة آخرون دان ونفتالي
وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة إذ قالوا ليوسف وأخوه بنيامين وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من الطرفين أحب إلى أبينا منا
وحده لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف أخويه فإن الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال
أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فما فوقها سموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم إن أبانا لفي ضلال مبين
لتفضيله المفضول أو لترك التعديل في المحبة روي أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر
عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر إلا من قال لا تقتلوه وقيل إنما قاله شمعون
أو دان ورضي الآخرون أو اطرحوه أرضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإبهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه أبيكم جواب
الأمر والمعنى يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد وتكونوا جزم بالعطف على يخل أو نصب بإضمار أن
من بعده من بعد يوسف أو الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه قوما صالحين تائبين إلى الله عما جنيتم أو صالحين مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه
أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيم
وألقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد
يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الأرض إن كنتم فاعلين بمشورتي أو إن كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا
على يوسف لم تخافنا عليه وإنا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالإدغام
بإشمام وعن نافع بترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام لأنهما كلمتين وتيمنا بكسر التاء أرسله معنا غدا إلى الصحراء يرتع نتسع في أكل الفواكه ونحوها من الرتعة
وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على أنه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب
بالياء والسكون على إسناد الفعل إلى يوسف وقرئ يرتع من أرتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وإنا له لحافظون أي من أن يناله
مكروه قال إني ليحزنني أن تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه وأخاف أن يأكله الذئب لأن الأرض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام أن الذئب
قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الأصل ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي وأبو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه
من تذاءبت الريح إذا هبت من كل جهة وأنتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة
للقسم وجوابه إنا إذا لخاسرون ضعفاء مغبونون أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب
وعزموا على إلقائه فيها والبئر بئر بيت المقدس أو بئر بأرض الأردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به

من الأذى فقد روي أنهم لما برزوا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتموني
أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي
أتوارى به فقالوا ادع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة كانت فيها فقام عليها
يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال وأوحينا إليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا أوحي إليه في صغره كما أوحي إلى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص
أن إبرهيم إلى إسحق وإسحق إلى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبريل وألبسه إياه لتنبئنهم بأمرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
أنك يوسف لعلو شأنك وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك إشارة إلى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له
منكرون بشره بما يؤول إليه أمره إيناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل بأوحينا أي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا أباهم
عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم
يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو أو في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف
عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب
أي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو أي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة
أي كدر أو طري وقيل أصله البياض الخارج على أظفار الأحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف أي فوق
قميصه أو على الحال من الدم إن جوز تقديمها على المجرور روي أنه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل قميصه وأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا أي سهلت لكم أنفسكم وهونت
في أعينكم أمرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق
والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم إن صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين
إلى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان بعد ثلث من إلقائه فيها فأرسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فأدلى دلوه فأرسلها
في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعالي فهذا أوانك وقيل هو اسم لصاحب له
ناداه ليعينه على إخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالإضافة وقرئ يا بشري بالإدغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف وأسروه
أي الوارد وأصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لإخوة يوسف وذلك أن يهوذا
كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فأخبر إخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه
بضاعة نصب على الحال أي أخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فإنه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه إسرارهم أو صنيع
إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه من إخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه أو نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة
قليلة فإنهم كانوا يزنون ما بلغ الأوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين
عنه والضمير في كانوا إن كان للإخوة فظاهر وإن كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه
مستعجل في بيعه وإن كانوا مبتاعين فلأنهم اعتقدوا أنه آبق وفيه متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان
على خزائن مصر واسمه قطفير أو إطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش

اربعمائة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال
الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة وتوفي
وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوج نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا
لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا
او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين
استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه
من تأويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم
معاني كتاب الله واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان يحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره
لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوته شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر
كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب
ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تأويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى
انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء
وذهب لطلب شيء ومنها الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر
والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء
كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وقرئ هئت وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه
ان الشأن ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي وقال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي
بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها
قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة
الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم
او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل
وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا
على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك مثل ذلك التثبيت ثبتناه والامر مثل ذلك لنصرف عنه
السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن
اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت
وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية
او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله

وشهد

وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي عليه السلام تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج
وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه
من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت
ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل
ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ
من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه
اي قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم
فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس ولانهن يواجهن الرجال والشيطان يوسوس مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء
لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا
والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال
اي اشاعوا الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب
مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذ قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى
وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال
عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك ليرين يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة
منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او تهاب
يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا
ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا
بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكاء من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما
رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي عليه السلام رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن
بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ... فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات
العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأ ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في الاستثناء فوضع
موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا
فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة اهل الحجاز
في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق
والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني

بالافتتان به قبل أن أتصور به حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني أو فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار إليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على إلانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره أي ما آمر به فحذف الجار أو أمري إياه بمعنى موجب أمري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الأذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لأن النون كتبت فيه بالألف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر أحب إلي مما يدعونني إليه أي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا إلى العاقبة وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذاك مما تكرهه وإسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها أو دعونه إلى أنفسهن وقيل إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا وإنما كان الأولى به أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله عليه السلام على من كان يسأل الصبر وإلا تصرف عني وإن لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك إلي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة أصب إليهن أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تستطيبها وتميل إليها وقرئ أصب من الصبابة وهي الشوق وأكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان إنه هو السميع لدعاء الملتجئين إليه العليم بأحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه أو يحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان أي أدخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يسماه قال أحدهما يعني الشرابي إني أراني أي في المنام وهي حكاية حال ماضية أعصر خمرا أي عنبا وسماه بما يؤول إليه وقال الآخر أي الخباز إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو من العالمين وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل ما قصصنا عليك أو تأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فإنه يشبه تفسير المشكل كأنه أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل أن يسعف إلى ما سألاه منه كما هو طريقة الأنبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والإرشاد فقدم ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل أن يأتيكما ذلكما أي ذلك التأويل مما علمني ربي بالإلهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله أي علمني ذلك لأني تركت ملة أولئك واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب وكلام مبتدأ لتمهيد الدعوة وإظهار أنه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل أن يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان ذلك أي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لإرشادهم وتثبيتهم عليه ولكن أكثر الناس المبعوث إليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون أو من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وإنزال الآيات ولكن أكثرهم لا ينظرون إليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن أي يا ساكنيه أو يا صاحبي فيه فأضافهما إليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة أأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية الأقدام خير أم الله الواحد المتوحد بالألوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره

ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أي إلا أشياء باعتبار أسامي أطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون إلا الأسماء المجردة والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الألوهية عقل ولا نقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها إن الحكم في أمر العبادة إلا لله فإنه المستحق لها بالذات من حيث إنه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لأمره أمر على لسان أنبيائه ألا تعبدوا إلا إياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وأنتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة وإلزام الحجة بين لهم أولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق العبادة فإن استحقاق العبادة إما بالذات وإما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن أما أحدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود إلى ما كان عليه وأما الآخر يريد به الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقالا كذبنا فقال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي قطع الأمر الذي فيه تستفتيان وهو ما يؤول إليه أمركما ولذلك وحده فإنهما وإن استفتيا في أمرين لكنهما أرادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن أنه ناج منهما الظان يوسف إن ذكر ذلك عن اجتهاد وإن ذكره عن وحي فهو الناجي إلا أن يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فأنساه الشيطان ذكر ربه فأنسى الشرابي أن يذكره لربه فأضاف إليه المصدر لملابسته له أو على تقدير ذكر إخبار ربه أو أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وإنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات وأجرى السمان على المميز دون المميز لأن التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فإنه لبيان الجنس وقياسه عجف لأنه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لأنه نقيضه يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي عبروها إن كنتم للرؤيا تعبرون إن كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان أو لتقوية العامل فإنه لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل أو لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا أضغاث أحلام أي هذه أضغاث أحلام وهي تخاليطها جمع ضغث وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وإنما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل أو لتضمنه أشياء مختلفة وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين يريدون بالأحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للمنامات الصادقة كأنه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد أمة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة وأمه أي نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون إلى من عنده علمه أو إلى السجن يوسف أيها الصديق أي فأرسل إلى يوسف فجاء فقال يا يوسف وإنما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات أي في رؤيا ذلك لعلي أرجع إلى الناس أعود إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إذ قيل إن السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها أو فضلك ومكانك وإنما لم يبت الكلام فيهما لأنه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه أو لا يعلمهم

قال تزرعون سبع سنين دأبا أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص
دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على
الأول نصيحة خارجة عن العبارة إلا قليلا مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن أي يأكل أهلهن ما ادخرتم
لأجلهن فأسند إليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به إلا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا أو من
أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف
واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب بالخصب أو بأن السنة
الإلهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع إلى ربك فاسأله
ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به
إلى تقبيح أمره وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواضعها وعن النبي عليه السلام لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة
وإنما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة
للأدب وقرئ النسوة بضم النون إن ربي بكيدهن عليم حين قلن لي أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قرفن
والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله
تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى
مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما أو ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول
أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد إليه الرسول فأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم العزيز
أني لم أخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب
المغلقة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها
زوجها وتوكيد لأمانته ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ نفسي أي لا أنزهها تنبيها على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة
والتوفيق وعن ابن عباس أنه لما قال ليعلم أني لم أخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك إن النفس لأمارة بالسوء من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات
فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات إلا ما رحم ربي إلا وقت رحمة ربي أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع
أي لكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف وأضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو بقلب الهمزة واوا ثم الإدغام
إن ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه وقال الملك
ائتوني به أستخلصه لنفسي أجعله خالصا لنفسي فلما كلمه أي فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين
مؤتمن على كل شيء روي أنه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال الملك ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع رؤياي منك

فحكاها

فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه
راعيل فوجدها عذراء وولد منها أفراثيم وميشا قال اجعلني على خزائن الأرض ولني أمرها والأرض أرض مصر إني حفيظ لها ممن لا يستحقها
عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب
التولية وإظهار أنه مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به وعن مجاهد
أن الملك أسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون
نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة بل نوفي أجورهم عاجلا وآجلا ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه
ودوامه وجاء إخوة يوسف روي أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون
المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه إليه الناس فباعها أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منهما ثم بالحلي والجواهر
ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الأمر على الملك فقال الرأي رأيك فأعتقهم ورد عليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان
ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد
ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله التي فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب
والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم أصلحهم بعدتهم وأوقر ركائبهم بما جاءوا لأجله والجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى
وما تزف به المرأة إلى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم روي أنهم لما دخلوا عليه قال من أنتم وما أمركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله
نحن بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أحدنا إلى البرية فهلك قال فكم أنتم
هاهنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا عند أبينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم
عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فأصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لأخ لهم من أبيهم
فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ألا ترون أني أوفي الكيل أتمه وأنا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم
إما نهي أو نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه أباه سنجتهد في طلبه من أبيه وإنا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى
وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فإنه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها
الطعام وكانت نعالا وأدما وإنما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا أن يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا أن لا يكون عند أبيهم ما يرجعون به
لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها أو لكي يعرفوها إذا انقلبوا إلى أهلهم وفتحوا أوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع
فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين فأرسل معنا أخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج
إليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا وإنا له لحافظون عن أن يناله مكروه قال هل آمنكم عليه
إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وإنا له لحافظون فالله خير حافظا فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه وهو أرحم الراحمين فأرجو أن يرحمني
بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير
الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة إلى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا أبانا ما نبغي
ما نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباعنا ورد علينا متاعنا أو لا نطلب وراء ذلك إحسانا أو لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك

من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقه هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقولهم
ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير
وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول
ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال
لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير
يسير لا يخاطر بمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا اكد بذكر الله
لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ
من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله لا فعلت اي ما اطلب الا فعلك
فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى
لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليه خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم اني اعوذ
بكلمات الله التامة من كل عين لامة وهامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله
لا حاجة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص
كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني
عنهم اي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصاع في رحله وتضاعفت المصيبة على
يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب يعني شفقته عليهم وحزازته ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها
وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه
لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي
وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له
اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس
بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى الدواب بها
ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير
انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف وكان تعبئة السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه
والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها
كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء
عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين
والغين وصواع من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام

العمل

العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا
بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم
الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق والصاع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في
ادعائكم البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله
فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة
الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل
يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه
وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر
لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم الملك فالاستثناء من اعم
الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم
ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق
لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص
قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه
فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة في وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم
وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطاها السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم
كنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال انتم شر مكانا فانه
بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة
او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز
ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به
انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده
فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع في رحله
لمصلحة ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا
انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل
او في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه
وتأكيد من جهته ومن قبل من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول
تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر
لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم

فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي ويقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم
لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع الحوامل منها ووقفت شعور جسده فخرجت
من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد
لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر
وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري
انه سرق او سُرِّق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف
واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب
العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت
اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيره وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة
لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف
على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته
وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفى
وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف
والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله عليه السلام على ابراهيم وقال القلب
يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى
مفعول لقوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته
اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات
فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل
مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو
بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب
داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم
من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى تخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس
ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
بالله وصفاته فانه لا يقنط المسلم من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر
شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا
وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة

او بالزيادة على ما يساوي بها واختلف في ان حرمة الصدقة هل تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه السلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق
التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة
اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم
لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم
لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ
ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه
الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من الله
علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير
للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شأننا
انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق
العرض ويذهب بماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر
الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب
ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر
كانوا ينظرون بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني
من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا
اي يصير بصيرا او يأت الي وينصره قوله وأتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير وخرجت من مصر وعمرانها قال ابوهم لمن حضره
اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان
عقل يحصل من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لو محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا
اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه
فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب
او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج
وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق
المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة
تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا

ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا
مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة
الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر
ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم
ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه
والاخوة والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل التي رأيتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا
صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل
البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء
لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه
يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليه السلام في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان
مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني
رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب والرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يوت كل التاويل
فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه انت وليي ناصري ومتولي امري في الدنيا والآخرة
او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه
اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمه ثم عاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى
الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل
بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم
وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك
خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف
حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه حين ارسلوه معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا
سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت
على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار
ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكاي عدد من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته
وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على
انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على يطؤون وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة
وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة
او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم

او

او تاتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد
الى المعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو
او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما يوحي اليك ويميزوا
بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين
عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون فيستعملوا
عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس
الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم
في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان
وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا
ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر
ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير
الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي ظنوا انهم قد كذبوا
فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنون وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون
ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
اذا نزل بهم وفيه بيان المتشائين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول
المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية
وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين
لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي عليه السلام علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات
الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن
والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى
او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا
او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع
السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم
وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها

على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض
الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد
منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها دوره او لغاية
مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة
وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا
كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت
الاقدام وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انه صفة اجبل او للمبالغة
وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي
وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو
مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه
دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة
يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية
وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل
وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا
على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب
لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك
كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد
لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا
بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا
ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة
بفتح الثاء وضمها كالصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف
والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم
بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه

ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة
عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات
لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم
وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على
انه قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال
الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة
والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين
واعلى عدده لا حد له وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ في اليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة
وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ان تكون ما
مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه
بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير
العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه
ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من
او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة
بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه
كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات
وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه
من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل
صفة ثانية لمعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمهم من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال
الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع
عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة
خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوا واطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف
المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع
ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيصيحون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله
ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي عليه السلام عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله
واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة
والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي

عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد وفدا إلى النبي عليه السلام قاصدين لقتله فأخذه عامر بالمجادلة ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له
الرسول فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت
في سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لأعدائه من محل فلان إذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيلة ولعل أصله المحل
بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال
ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد له دعوة الحق الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد
ويدعى إلى عبادته دون غيره أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة الدعوة إليه لما بينهما من الملابسة
أو على تأويل دعوة المدعو الحق وهو الله وكل ما عداه دعوة الحق والمراد بالجملتين إن كانت الآية في عامر وأربد أن إهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله وإجابة
لدعوة رسوله أو دلالة على أنه على الحق وإن كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء رسول الله
عليه السلام أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون أي الأصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الأصنام
فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات إلا كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه يطلب منه أن يبلغه
وما هو ببالغه لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته والإتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغرف
الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين إلا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات
والأرض طوعا وكرها يحتمل أن يكون السجود على حقيقته فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة
والضرورة وظلالهم بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده فيهم شاؤوا أو كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب
طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقلص أظهر
فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل
قل من رب السموات والأرض خالقهما ومتولي أمرهما قل الله أجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم سواه ولأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب
قل أفاتخذتم من دونه ثم ألزمهم بذلك لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على أن يجلبوا إليها نفعا
أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم قل هل
يستوي الأعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم
أم هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء أم جعلوا لله شركاء بل أجعلوا والهمزة للإنكار وقوله خلقوا كخلقه
صفة لشركاء داخلة في حكم الإنكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا
هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق
قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد
بالألوهية القهار الغالب على كل شيء أنزل من السماء ماء من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فإن المبادي منه فسالت أودية أنهار جمع واد
وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله
أنه نافع غير ضار أو بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات

كالذهب

كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها إظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي أو متاع كالأواني وآلات الحرب والحرث والمقصود
من ذلك بيان منافعها زبد مثله أي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء أو للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن
الضمير للناس وإضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فإنه مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فيسيل في الأودية
على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقني والآبار
وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله
فأما الزبد فيذهب جفاء يجفأ به أي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد وأما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة
الفلز فيمكث في الأرض ينتفع به أهلها كذلك يضرب الله الأمثال لإيضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة
الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى
وهو المثوبة أو الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الأول كلام مبتدأ لبيان مآل غير
المستجيبين أولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بأن يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف
أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو أعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة للإنكار أن تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل
إنما يتذكر أولوا الألباب ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الإلف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته
حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون
ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء ويندرج في ذلك مراعاة حقوق جميع الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون
سوء الحساب خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة
وأقاموا الصلاة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤون بالحسنة السيئة
ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها أولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة والجملة
خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره
يدخلونها والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ
للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو
بالشفاعة وأن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على أن
مجرد الأنساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم
أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام فإن الخبر فاصل والباء للسببية أو البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها إلى الفاء
وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الأولين من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض
بالظلم وتهييج الفتن أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
وفرحوا أي أهل مكة بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة إلا متاع إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى
أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية

من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل على الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه
قال لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات
الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة
على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم
وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل
ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي لو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها
او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا
القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك
ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام وابعث لنا به من كنانة قصي بن كلاب وغيره
من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فقطع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير
كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان
بما اقترحوه من الآيات لكن الارادة لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب
اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب
عن العلم فان الميؤوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة
باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة
فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا
للرسول فانه عليه السلام حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه
ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان
في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت
عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا
عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم

او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية
الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم
للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر
وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب
الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو
مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر وعلى حذف موصوف
اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي
كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين
اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم
الذين تحزبوا على رسول الله عليه السلام بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالفهم او ما يوافق
ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين
ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف
اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع مما يختلف باختلاف الاعصار
والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع
بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة
الى قبلتهم بعدما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين
على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن
في وسعه ان يأتي بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم
يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء
ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم
فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي
يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره
ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين
من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار

لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع
ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده
علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم
ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون
مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات
بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله
مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او
على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله
الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان
للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل
نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة
يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون
من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا نكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا
عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع على انه مبتدأ خبره اولئك
في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم
فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي عليه السلام بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل
ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب
المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه السلام وان الله تعالى
انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما
لم تنزل لتبيين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة
ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ
الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها
وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر
وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها
العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون
او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو
اما جنس العذاب واستعبادهم واستعمالهم للاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون
الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف
والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي
اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تأذن على انه جار مجرى قال
لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته
ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض
والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها
غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء
وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها الى افواه الانبياء يمنعونهم
عن التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها
ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان مريب موقع في الريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى شيء قالت رسلهم
أفي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور
دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم
اي يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون
المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار
مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى
الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث
من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة
كأنهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض
بمشيئته تعالى وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله
فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم
قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف

بهنا في العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا ان يكون
احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه
فغلبوا الجماعات على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم
اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن
ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي
عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين
اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم كلهم سألوه ان ينصر المحق
ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى
الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة
وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل
من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه
والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول النفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده
حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود
في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب
رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل
في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به
وقرئ الرياح في يوم عاصف العصوف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف
وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها وذهابها هباء لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه واعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون
يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد
فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه
الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات
والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه
ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر بذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد
رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب
الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفؤا الاتباع جمع
ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم

انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا
دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا
للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض
الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي
اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب
ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم
وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم
جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس
السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة
لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها
ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي
وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا
لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتك وحذف الياء اكتفاء
بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت
واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى
بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان
ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم
وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون لهم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم
فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة
اي جعل كلمة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب
اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء
بلفظ الجنس لاكتساب الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين
وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني
وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار
في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق

ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي
ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما أيضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة
عندهم وتمكن في قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزلون إذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم أصحاب الأخدود وفي الآخرة
فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم أهوال القيامة وروي أنه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان
فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون إلى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض وإضلال آخرين من غير اعتراض عليه ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا أي شكر نعمته كفرا بأن وضعوه مكانه أو بدلوا
نفس النعمة كفرا فإنهم لما كفروا بها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كأهل مكة خلقهم الله وأسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم أبواب رزقه
وشرفهم بمحمد عليه السلام فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا أذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الأفجران
من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين وأحلوا قومهم الذين تابعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك
بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها أو من القوم أي داخلين فيها مقاسين لحرها أو مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم وبئس القرار أي وبئس المقر جهنم
وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الإضلال غرضهم في اتخاذ الأنداد
لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم أو بعبادة الأوثان فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهدد عليه كالمطلوب
لإفضائه إلى المهدد به وأن الأمرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فإن مصيركم إلى النار وأن المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين
آمنوا خصهم بالإضافة تنويها لهم وتنبيها على أنهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه أي قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا
يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم فيكونون إيذانا بأنهم لفرط مطاوعتهم للرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره وأنه كالسبب الموجب له ويجوز أن يقدر بلام الأمر
ليصح تعلق القول بهما وإنما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا مقامين مقامهما
وهو ضعيف لأنه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولأن أمر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة إذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر أي إنفاق
سر وعلانية أو على الحال أي ذوي سر وعلانية أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية والأحب إعلان الواجب وإخفاء المتطوع به من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه
فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل أو من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وإنما ينتفع فيه
بالإنفاق لوجه الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح على النفي العام الله الذي خلق السموات والأرض مبتدأ وخبر وأنزل من السماء ماء فأخرج به
من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لأخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة
أو المصدر لأن أخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره بمشيئته إلى حيث توجهتم وسخر لكم الأنهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتعليمكم وقيل تسخير هذه
الأشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وإنارتهما وإصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم
ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه أي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه
ما كان حقيقا بأن يسأل لاحتياج الناس إليه سئل أو لم يسأل وما يحتمل أن تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين
أي آتاكم من كل شيء ما احتجتم إليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز أن تكون ما نافية في موقع الحال أي آتاكم من كل شيء غير سائليه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها
ولا

ولا تطيقوا عد أنواعها فضلا عن أفرادها فإنها غير متناهية وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة إن الإنسان لظلوم يظلم النعمة بإغفال شكرها
أو يظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة
آمنا ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا أن المسؤول في الأول إزالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني
وبني بعدني وإيانا عن أن نعبد الأصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد وأما أهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء
بتوفيق الله وحفظه إياهم وهو بظاهره لا يتناول أحفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة أن أولاد إسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وإنما كانت لهم
حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة
واستعذت بك من إضلالهن وإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على ديني فإنه مني أي بعضي لا ينفك عني في أمر الدين
ومن عصاني فإنك غفور رحيم تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعيد
فرق بينه وبين غيره ربنا إني أسكنت من ذريتي أي بعض ذريتي أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم إسمعيل ومن ولد منه فإن إسكانه متضمن لإسكانهم
بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فإنها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة أو منع منه
الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا أي أعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ما يؤول إليه روي أن هاجر كانت
لسارة فوهبتها لإبراهيم فولدت منه إسمعيل فغارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله عين زمزم ثم إن جرهم رأوا
ثم طيورا فقالوا لا طير إلا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا أشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلاة اللام لام كي
وهي متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها
المقصودة بالذات من إسكانهم ثم والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الأمر والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة كأنه طلب منهم الإقامة وسأل من الله
أن يوفقهم لها فاجعل أفئدة من الناس أي أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم ولحجت
اليهود والنصارى وللابتداء كقولك القلب مني سقيم وقرئ آفدة ويحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر في أدؤر وأن يكون اسم الفاعل من أفدت الرحلة
إذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه فيه إخراجها بين بين ويجوز أن يكون من أفد تهوي إليهم تسرع إليهم شوقا
ووداداً وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى إليه أو غيره وتهوى من هوي يهوى إذا أحب وتعديته بإلى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فأجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى إنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم بنا منا بأنفسنا فلا حاجة
لنا إلى الطلب لكنا ندعوك إظهارا لعبوديتك وافتقارا إلى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من التضرع إليك والتوكل عليك
وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ إلى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء لأنه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته إلى كل معلوم
ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة وإظهارا لما فيه من الآية إسمعيل وإسحق
روي أنه ولد له إسمعيل لتسع وتسعين سنة وإسحق لمائة واثنتي عشرة سنة إن ربي لسميع الدعاء أي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي إذا اعتد به وهو من أبنية
المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف إلى مفعوله أو فاعله على إسناد السماع إلى دعاء الله على المجاز وفيه إشعار بأنه دعا ربه وسأل منه الولد فأجابه ووهب له
سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها رب اجعلني مقيم الصلاة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض

لعلمه باعلام الله تعالى او استقرار عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء اي استجب دعائي او تقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي
وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق
او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه
مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية
للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص فيه ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى
مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم
بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال
للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب
يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالتكذيب والشرك ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا
وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا
اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة
دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل
اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود
واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقوله سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل
بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال
المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه او وعنده ما يمكرهم به جزاء
لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم
على ان الجبال مثل لامر النبي عليه السلام ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي
لتزول بالفتح والنصب على لغة من فتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله
مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز
غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده
ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك
بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم
حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة
وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها
عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة
على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين

للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى
المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد
الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد
متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد ويعظم ساق واصله الشد سرابيلهم
قمصانهم من قطران جاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة
يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليه لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطر آن
والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي تتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم
يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة من المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله تعالى افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيمة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة او مطيعة ما كسبت
ولانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب
لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله فلا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في
الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا
انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه
وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل
للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا
وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ
نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة
تمنعه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما
تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل
تدهشهم اهوال القيمة فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا
ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط
الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون
ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اي وما يستأخرون عنه وتذكير ضميره

للتحول على المعنى. وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي عليه السلام على التهكم ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قولهم إنك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون
إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون والمعنى إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر أي القرآن. لو ما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا للمعنيين
امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبنا لك
كما أتت الأمم المكذبة قبل إن كنت من الصادقين في دعواك. ما ننزل الملائكة بالنون وإسناده إلى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وأبو بكر بالتاء
والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل إلا بالحق إلا تنزيلا ملتبسا بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في أن تأتيكم بصور
تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فإن منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان وقيل الحق الوحي أو العذاب وما كانوا إذا منظرين
إذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر أي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين. إنا نحن نزلنا الذكر رد لإنكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله
وإنا له لحافظون أي من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفي تطرق الخلل إليه في الدوام
بضمان الحفظ له كما نفى أن يطعن فيه بأنه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه السلام. ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين في فرقهم جمع شيعة وهي
الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه إذا تبعه وأصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم
وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية له عليه السلام وما للحال لا يدخل إلا مضارعا بمعنى الحال أو ماضيا قريبا منه وهذا
على حكاية الحال الماضية. كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه
دليل على أنه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فإن الضمير في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين
مكذبا غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه ولا يتعين أن تكون الجملة حالا من الضمير
لجواز أن تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الأول بل تقويه. وقد خلت سنة الأولين أي سنة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم
أو بإهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لأهل مكة. ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون إليها ويرون عجائبها
طول نهارهم مستوضحين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق إنما سكرت أبصارنا سدت عن الإبصار
بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور
غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على البت بأن ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر. ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر
مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالأشكال والهيئات البهية للناظرين للمعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها
وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس أهلها ويتصرف في أمرها ويطلع على أحوالها إلا من استرق السمع بدل من كل شيطان
واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس أنهم
كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب أخر وقيل
الاستثناء منقطع أي لكن من استرق السمع فأتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق
والأرض مددناها بسطناها وألقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وأنبتنا فيها في الأرض أو فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن
مناسب من قولهم كلام موزون أو ما يوزن ويقدر أو له وزن في أبواب النعمة والمنفعة. وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على
التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش أو على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنا كاذبا فإن الله يرزقكم

وإياهم

وإياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة
وطبيعة مع جواز أن لا تكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الألوهية والامتنان على العباد بما أنعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه
ثم بالغ في ذلك وقال وإن من شيء إلا عندنا خزائنه أي وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه أضعافا ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره
أو شبه مقدوراته بالأشياء المخزونة التي لا يحوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد. وما ننزله من بقاع القدرة إلا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فإن تخصيص
بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص. وأرسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب
ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم أو ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وأرسلنا الريح على
تأويل الجنس. فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما أنتم له بخازنين قادرين متمكنين من إخراجه نفى عنهم ما أثبته لنفسه أو حافظين في الغدران
والعيون والآبار وذلك أيضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الأوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور
فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص. وإنا لنحن نحيي بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها ونميت بإزالتها وقد أول الحياة بما يعم الحيوان والنبات
وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون أي الباقون إذا مات الخلائق كلها. ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم
ولادة وموتا ومن استأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة وتأخر لا يخفى علينا شيء
من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فإن ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله عليه السلام في الصف الأول
فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله عليه السلام فتقدم بعض القوم لئلا ينظر إليها وتأخر بعض ليبصرها
وإن ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بإن لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق
من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله إنه حكيم باهر الحكمة متقن في أفعاله عليم وسع علمه كل شيء
ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر وقيل من صلصل إذا أنتن تضعيف صل من حمإ طين تغير واسود من طول
مجاورة الماء وهو صفة صلصال أي كائن من حمإ مسنون مصور من سنة الوجه أو مصبوب ليبيس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن
وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو منتن من سننت
الحجر على الحجر إذا حككته به فإن ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا. والجان أبا الجن وقيل إبليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان
من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الإنسان من نار السموم من نار الحر الشديد
النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري
فإنها أقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الأرضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية كما هي للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان
بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والإحياء. وإذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة إني
خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه
فحيي وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها
في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا وإضافة الروح إلى نفسه لما مر في سورة النساء. فقعوا له ساجدين أمر من وقع
فسجد الملائكة كلهم أجمعون أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بالكل للإحاطة وبأجمعين للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة

وفيه نظر اذ لو كان كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اى لكن ابليس ابى وان جعل متصلا
كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اى غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد
النفي اى لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حمأ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار
وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم
مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد
والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني
فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث
فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور
ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث
اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث مع
الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء
للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياى لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد
القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق
الجنة والاعتذار عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون
الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم على الغواية
الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن اى الذين اخلصوا نفوسهم لله
قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي
الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع
لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان وتكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه
الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف او معنى
الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق
لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين
والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه
او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة

وعين

وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع
وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين
بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا
وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او فاعل
او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى
متصافين ويكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين
فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الأليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل
على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف ونبئهم
عن ضيف ابرهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك
انهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قالوا لا توجل وقرئ لا تأجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله
بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق
عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اى فباى اعجوبة
تبشرون او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع
في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة
او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين
فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق
المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم
فقط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اى فما شأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة
لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في
مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط
ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اى مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون
قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي
لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص
افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسناده اياه
الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني
بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه

وأتيناك بالحق باليقين من عذابهم وإنا لصادقون فيما أخبرناك به فأسر بأهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الألف من السرى وهما بمعنى
وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع أدبارهم وكن على أثرهم
تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم أحد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو ولا ينصرف أحدكم ولا يتخلف لغرض
فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا أنفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر
فعدى امضوا إلى حيث وتؤمرون إلى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا أي أوحينا إليه مقضيا ولذلك عدي بإلى ذلك الأمر مبهم يفسره
أن دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم الأمر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون
عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤلاء في معنى مدبري
هؤلاء وجاء أهل المدينة سدوم يستبشرون بأضياف لوط طمعا فيهم قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من أسيء إلى ضيفه فقد
أسيء إليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان أو ولا تخجلوني فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا أولم ننهك
عن العالمين عن أن تجير منهم أحدا أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وإنزالهم
قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم وفيه وجوه ذكرت في هود إن كنتم فاعلين قضاء الوطر أو ما أقول لكم لعمرك
قسم بحياة المخاطب وهو النبي عليه السلام وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يخص به القسم لإيثار الأخف فيه
لأنه كثير الدور على ألسنتهم إنهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به إليهم يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فأخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت
شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة أو عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر أو طين عليه كتاب
من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود إن في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة الشيء بسمته وإنها وإن المدينة أو القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها إن في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وإن كان
أصحاب الأيكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعث الله إليهم شعيبا فكذبوه فأهلكوا بالظلة والأيكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم
بالإهلاك وإنهما يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فإنه كان مبعوثا إليهما فكان ذكر أحدهما منبها على الآخر لبإمام مبين لبطريق واضح والإمام
اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح لأنها مما يؤتم به ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل
فكأنما كذب الجميع ويجوز أن يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني
آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها أو ما نصب لهم من الأدلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور
فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء وإزاحة فسادهم من الأرض وإن الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل
بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف إن ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده أمرك وأمرهم العليم بحالك وحالهم
فهو حقيق بأن تكل إليه ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح وفي مصحف عثمان وأبي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير

الخلاق

والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة
ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الأسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني
من التثنية أو الثناء فإن كل ذلك مثنى تكرر قراءته وألفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثني عليه بالبلاغة والإعجاز أو مثن على الله بما هو أهله
من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن أو كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقرآن العظيم إن أريد بالسبع الآيات
أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع فمن عطف أحد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك
طموح راغب إلى ما متعنا به أزواجا منهم أصنافا من الكفار فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات
وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي أنه عليه السلام وافى
بأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها
ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا وقيل إنهم المتمتعون به واخفض
جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل إني أنا النذير المبين أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا كما أنزلنا على المقتسمين مثل
العذاب الذي أنزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول
فأهلكهم الله يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا أي تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فإنه بمعنى أنزلنا
إليك والمقتسمون هم أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو قسموه إلى شعر وسحر
وكهانة وأساطير الأولين أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله عليه السلام وقوله
لا تمدن إلى آخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القرآن عضين أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء وقيل فعلة من عضهته إذا بهتّه
وفي الحديث لعن رسول الله عليه السلام العاضهة والمستعضهة وقيل أسحارا وعن عكرمة العضة السحر وإنما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته
صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم أو النسبة إلى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي
فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا أو افرق به بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والراجع محذوف
أي بما تؤمر به من الشرائع وأعرض عن المشركين فلا تلتفت إلى ما يقولون إنا كفيناك المستهزئين بقمعهم وإهلاكهم قيل كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب يبالغون في إيذاء النبي عليه السلام والاستهزاء به فقال جبريل للرسول
أمرت أن أكفيكهم فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومأ إلى أخمص العاص
فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار إلى أنف عدي بن قيس فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث
وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات وإلى عيني الأسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون
عاقبة أمرهم في الدارين ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء فسبح بحمد ربك فافزع إلى الله فيما نابك بالتسبيح
والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك أو فنزهه عما يقولون حامدا له على أن هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام أنه كان إذا حزبه أمر
فزع إلى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت فإنه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله
عليه السلام من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها

سورة

وهي مائة وثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما وعدهم الرسول من قيام الساعة أو إهلاك الله إياهم
كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون إن صح ما يقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى أن الأمر الموعود بمنزلة الآتي
المتحقق من حيث إنه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فإنه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن
أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب أو على
أن الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم لما روي أنه لما نزلت أتى أمر الله فوثب النبي ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح
بالوحي أو بالقرآن فإنه يحيي به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك إشارة إلى الطريق الذي به علم
الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه إزاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل من أنزل وعن يعقوب مثله وعنه
تنزل بمعنى تتنزل وقرأ أبو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من أمره بأمره أو من أجله على من يشاء من عباده أن يتخذه رسولا
أن أنذروا بأن أنذروا أي أعلموا من نذرت بكذا إذا علمته أنه لا إله إلا أنا فاتقون أن الشأن لا إله إلا أنا فاتقون أو خوفوا أهل الكفر والمعاصي
بأنه لا إله إلا أنا وقوله فاتقون رجوع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود وأن مفسرة لأن الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية
في موضع الجر بدلا من الروح أو النصب بنزع الخافض أو مخففة من الثقيلة والآية تدل على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وأن حاصله التنبيه
على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمالات القوة العملية وأن النبوة عطائية والآيات
التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان
له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والأرض بالحق أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها
بحكمته تعالى عما يشركون منها أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه إليها أو مما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على أنه تعالى ليس من قبيل الأجرام خلق الإنسان
من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فإذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة أو خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام
وهي رميم روي أن أبي بن خلف أتى النبي عليه السلام بعظم رميم وقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت والأنعام الإبل والبقر والغنم
وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم أو بالعطف على الإنسان وخلقها لكم بيان ما خلق لأجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع
نسلها ودرها وظهورها وإنما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون أي تأكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والألبان وتقديم الظرف
للمحافظة على رؤوس الآي أو لأن الأكل منها هو المعتاد والمعتمد عليه في المعاش وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي والتفكه ولكم
فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة إلى المراعي فإن الأفنية تتزين بها في الوقتين
ويجل أهلها في أعين الناظرين إليها وتقديم الإراحة لأن الجمال فيها أظهر فإنها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي إلى الحظائر حاضرة لأهلها
وقرئ حينا على أن تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل أثقالكم أحمالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إن لم تكن فضلا أن تحملوها
على ظهوركم إليه إلا بشق الأنفس إلا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه وأصله الصدع والمكسور
بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب إن ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على
الأنعام لتركبوها وزينة أي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله
وأن المقصود من خلقها الركوب وأما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل أن يكون علة لتركبوها أو مصدرا في موقع الحال من أحد الضميرين

أي متزينين ومتزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا أن لا يقصد منه غيره أصلا ويدل عليه
أن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على أن الحمر الأهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج إليها غالبا احتياجا ضروريا
أو غير ضروري أجمل غيرها ويجوز أن يكون إخبارا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به وأن يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله
قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل إلى الحق أو إقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل إليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد
وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف إليها القصد وقال ومنها جائر
حائد عن القصد أو عن الله وتغيير الأسلوب لأنه ليس بحق على الله أن يبين طرق الضلالة أو لأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل إلى القصد والجائر
إنما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر أي عن القصد ولو شاء لهداكم أجمعين أي ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم إلى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي
أنزل من السماء من السحاب أو من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة أنزل أو خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب
فيه ولا بأس به لأن مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فأسكناه في الأرض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل
كل ما نبت على الأرض شجر قال يعلفها اللحم إذا عز الشجر والخيل في إطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون مواشيكم من سامت الماشية وأسامها صاحبها وأصلها
السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ أبو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات
إذ لم ينبت في الأرض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لأنه سيصير غذاء حيوانيا هو أشرف الأغذية ومن هذا تقديم الزرع
والتصريح بالأجناس الثلاثة وترتيبها إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فإن من تأمل أن الحبة تقع في الأرض وتصل إليها نداوة
تنفذ فيها فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق أسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والثمار ويشتمل
كل منها على أجسام مختلفة الأشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية إلى الكل علم أن ذلك ليس إلا فعل فاعل مختار
مقدس عن منازعة الأضداد والأنداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بأن هيأها لمنافعكم مسخرات بأمره
حال من الجميع أي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره أو لحكمه وفيه إيذان بالجواب
عما عسى أن يقال إن المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها فإن ذلك إن سلم فلا ريب في أنها أيضا ممكنة الذات والصفات
واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل أو مصدر جمع لاختلاف النوع وقرأ
حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر أيضا إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون
جمع الآية وذكر العقل لأنها تدل أنواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة إلى استيفاء فكر كأحوال النبات وما ذرأ لكم في الأرض
عطف على الليل أي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا ألوانه أصنافه فإنها تتخالف باللون غالبا إن في ذلك لآية لقوم يذكرون
أن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع الصانع الحكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم يسرع إليه الفساد فيسارع إلى أكله ولإظهار قدرته
في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على أن من حلف أن لا يأكل لحما حنث بأكل السمك وأجيب عنه بأن مبنى الأيمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الإطلاق ألا ترى أن الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية
تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان أي تلبسها نساؤكم فأسند إليهم لأنهن من جملتهم ولأنهن يتزين بها لأجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه

تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله
فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيبه الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض
رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان
من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز
فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا
وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم والى معرفة الله وعلامات معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك
وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه انه قرئ بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات
نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام
الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق
انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساوي ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء
من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق
كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجروها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق
او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر
عنده ادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق
العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه
ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله
اي الالهة التي تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وحفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا تخلق شيئا
لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي
ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات
لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون وهم لا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيب
مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله
بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات
الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع
بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم
او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه
منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار اضلالهم

كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول
اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة
العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون
وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا
ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية
لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله
قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة
والعذاب على الكافرين فائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء
وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت
ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى
ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من جحد
الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بما لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم
كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم
من يأتيهم بخبر النبي عليه السلام فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا
ولدار الآخرة خير اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا
ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار
لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم
وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم
بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها
معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة
والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيمة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم وما ظلمهم الله
بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا
من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر
محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين

من قبلهم فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل إلا البلاغ المبين إلا الإبلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه ولكنه
مؤد إليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه إنما يجب وقوعه لا مطلقا بل بأسباب قدرها له ثم بين أن البعثة أمر جرت به السنة الإلهية في الأمم كلها سببا
لهدى من أراد اهتداءه وزيادة لضلال من أراد ضلاله كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل أمة
رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للإيمان بإرشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة
إذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعله وإرادته من حيث إنه قسيم من هدى الله
وقد صرح به في الآية الأخرى فسيروا في الأرض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون إن تحرص يا محمد
على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى من حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو أبلغ وما لهم
من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين أشركوا إيذانا بأنهم كما أنكروا التوحيد
أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم أبلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فإن يبعث موعد
من الله عليه إنجازه لامتناع الخلف في وعده أو لأن البعث مقتضى حكمته حقا صفة أخرى للوعد ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون إما لعدم علمهم
بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها وإما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم إنه تعالى بين الأمرين فقال ليبين لهم أي يبعثهم ليبين لهم
الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو إشارة إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضي له من حيث الحكمة
وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وهو بيان إمكانه وتقريره أن تكوين الله
بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد وإلا لزم التسلسل فكما أمكن له تكوين الأشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال أمكن له تكوينها إعادة بعده
ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول أو جوابا للأمر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله وأصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم إلى الحبشة
ثم إلى المدينة وبعضهم إلى المدينة أو المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وأبو جندل وسهيل وقوله في الله
أي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة أو تبوئة حسنة ولأجر الآخرة أكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر أنه إذا أعطى رجلا من المهاجرين
عطاءه قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أفضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم أو للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كأذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب أو الرفع
على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين إلى الله مفوضين الأمر كله إليه وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم رد لقول قريش الله أعظم من أن يكون
رسوله بشرا أي جرت السنة الإلهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحي إليه على ألسنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الأنعام فإن شككتم فيه
فاسألوا أهل الذكر أهل الكتاب وعلماء الأخبار ليعلموكم إن كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة وأما قوله جاعل الملائكة
رسلا فمعناه رسلا إلى الملائكة أو إلى الأنبياء وقيل لم يبعثوا إلى الأنبياء إلا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي أنه عليه السلام رأى جبريل على صورته
التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر أي أرسلناهم بالبينات والزبر أي المعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بم أرسلوا
ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط وصفة لهم أي رجالا ملتبسين بالبينات
أو بنوحي على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله على أن قوله فاسألوا اعتراض أو بلا تعلمون على أن الشرط للتبكيت والإلزام وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن
وإنما سمي ذكرا لأنه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل إليهم في الذكر بتوسط إنزاله إليك مما أمروا به ونهوا عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود

أو يرشد إلى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق أفأمن الذين مكروا السيئات أي المكرات السيئات
وهم الذين احتالوا لهلاك الأنبياء أو الذين مكروا رسول الله وراموا صد أصحابه عن الإيمان أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون أو يأتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط أو يأخذهم في تقلبهم أي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف
على مخافة بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على أن ينقص شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته
روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم
قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته ۰ تخوف الرحل منها تامكا قردا ۰ كما تخوف عود النبعة السفن ۰ فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فإن ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء استفهام إنكار أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع
فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله أي أولم ينظروا إلى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة عن اليمين
والشمائل عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الإنسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير
في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت
النخلة إذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس
وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة
الساجد والأجرام في أنفسها أيضا داخرة أي صاغرة منقادة لأفعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لأن من جملتها من يعقل أو لأن الدخور من أوصاف
العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو الجانب الشرقي لأن الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي
المقابل فإن الظلال في أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض
ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لإرادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وأمره طوعا ليصح إسناده إلى عامة
أهل السموات والأرض وقوله من دابة بيان لهما لأن الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في أرض أو سماء والملائكة عطف على المبين عطف جبريل على
الملائكة للتعظيم أو عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال إن الملائكة أرواح مجردة أو بيان لما في الأرض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له
إجلالا وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من إطلاق
من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه أن يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر
فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه
دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن
مساق النهي إليه وإيماء بأن الاثنينية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله إنما هو إله واحد للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلهية
أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية فإياي فارهبون نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فأنا ذلك الإله الواحد
فإياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والأرض خلقا وملكا وله الدين أي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من أنه الإله وحده والحقيق بأن يرهب منه
وقيل واصبا من الوصب أي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أفغير الله تتقون ولا ضار سواه
كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله أي وأي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول

فان استقر النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله الحصول طانه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء
والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم وهم كفاركم بربهم يشركون بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان
كانه قال اذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم
قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ الوعيد وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز
ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها
جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف ولجهلهم على انها مصدرية والمجهول محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام
تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله
سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو
وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله
مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر
به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما
الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت
واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث وادها خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفة
المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة
الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم تكن الابناء
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة
الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم
من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته
في طلب الماء ومكسور الراء من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم
اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة
المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ
الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع
النبات بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه
استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس

لا ينا غزون ثابتة

وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث
وهو اشياء المأكول المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه
دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام
المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة
من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد
اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضرع
فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها
والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية
كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة
خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا
بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وقوله تتخذون منه سكرا استئناف
لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين
الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت
سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم
وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات واوحى ربك الى النحل
الهمها وقذف في قلوبها وقرئ النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل
مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي
ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لتناسب الياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي
سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر
عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها
عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم انها
تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل ومن زعم انها تأكل البطون
بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في
سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله عليه السلام
فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله
فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم

الدقيقة والأفعال العجيبة حق التدبر علم قطعا أنه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه **والله خلقكم ثم يتوفاكم** بآجال مختلفة **ومنكم من يرد إلى أرذل العمر** أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون **لكيلا يعلم بعد علم شيئا** ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم **إن الله عليم** بمقادير أعماركم **قدير** يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق** فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك **فما الذين فضلوا برادي رزقهم** بمعطي رزقهم **على ما ملكت أيمانهم** على مماليكهم فإنما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في أيديهم **فهم فيه سواء** فالموالي والمماليك سواء في أن الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية أو مقررة لها ويجوز أن يكون في موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرزق على أنه رد وإنكار على المشركين فإنهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون أن تشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه **أفبنعمة الله يجحدون** حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضي أن يضاف إليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا أنه من عند الله أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعد ما أنعم الله عليهم بإيضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا** أي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم **وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** وأولاد أولاد أو بنات فإن الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل الربائب ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين **ورزقكم من الطيبات** من اللذائذ أو من الحلالات ومن للتبعيض فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها **أفبالباطل يؤمنون** وهو أن الأصنام تنفعهم أو أن من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب **وبنعمة الله هم يكفرون** حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام أو حرموا ما أحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا** من مطر ونبات ورزقا إن جعلته مصدرا فشيئا منصوب به وإلا فبدل منه **ولا يستطيعون** أن يملكوه أو لا استطاعة لهم أصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لأن ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز أن يعود إلى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد **فلا تضربوا لله الأمثال** فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به أو تقيسونه عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال **إن الله يعلم** فساد ما تعولون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون **وأنتم لا تعلمون** ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال **ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون** مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الإطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فإنه أيضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على أن المملوك لا يملك والأظهر أن من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لأنه للجنس فإن المعنى هل يستوي الأحرار والعبيد **الحمد لله** كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لأنه مولى النعم كلها **بل أكثرهم لا يعلمون** فيضيفون نعمه إلى غيره ويعبدونه لأجلها **وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم** ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم **لا يقدر على شيء** من الصنائع والتدابير لنقصان عقله **وهو كل على مولاه** عيال وثقل على من يلي أمره **أينما يوجهه** حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضي **لا يأت بخير** بنجح وكفاية مهم **هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل**

ومن

ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل **وهو على صراط مستقيم** وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر **ولله غيب السموات والأرض** يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فإن علمه غائب عن أهل السموات والأرض **وما أمر الساعة** وما أمر قيام الساعة في سرعته وسهولته **إلا كلمح البصر** إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها **أو هو أقرب** أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدئ فيه فإنه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرابه **إن الله على كل شيء قدير** فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر أن أحياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم** وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة أو إتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في أهراق **لا تعلمون شيئا** جهالا مستصحبين جهل الجمادية **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة** أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها **لعلكم تشكرون** كي تعرفوا ما أنعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكروه **ألم يروا إلى الطير** قرأه ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على أنه خطاب للعامة **مسخرات** مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية له **في جو السماء** في الهواء المتباعد من الأرض **ما يمسكهن** فيه **إلا الله** فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها **إن في ذلك لآيات** تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها في الهواء على خلاف طبعها **لقوم يؤمنون** لأنهم هم المنتفعون بها **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا** موضعا تسكنون فيه وقت إقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول **وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا** هي القباب المتخذة من الأدم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فإنها من حيث إنها نابتة على جلودها يصدق عليها أنها من جلودها **تستخفونها** تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها **يوم ظعنكم** وقت ترحالكم أو ضربها **ويوم إقامتكم** وقت الحضر أو النزول وقرأ الحجازيان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة **ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها** الصوف للضائنة والوبر للإبل والشعر للمعز وإضافتها إلى ضمير الأنعام لأنها من جملتها **أثاثا** ما يلبس ويفرش **ومتاعا** ما يتجر به **إلى حين** إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها تبقى مدة مديدة أو إلى حين مماتكم أو إلى أن تقضوا منه أوطاركم **والله جعل لكم مما خلق** من الشجر والجبال والأبنية وغيرها **ظلالا** تتقون بها حر الشمس **وجعل لكم من الجبال أكنانا** مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن **وجعل لكم سرابيل** ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها **تقيكم الحر** خصه بالذكر اكتفاء بأحد الضدين عن الآخر أو لأن وقاية الحر كانت أهم عندهم **وسرابيل تقيكم بأسكم** يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس **كذلك** كإتمام هذه النعم التي تقدمت **يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** أي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع **فإن تولوا** أعرضوا ولم يقبلوا منك **فإنما عليك البلاغ المبين** فلا يضرك فإنما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من إقامة السبب مقام المسبب **يعرفون نعمة الله** أي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبأنها من الله **ثم ينكرونها** بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم إنها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا أو بإعراضهم عن أداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عرفوها بالمعجزات ثم أنكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الإنكار بعد المعرفة **وأكثرهم الكافرون** الجاحدون عنادا وذكر الأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل أو التفريط في النظر أو لم تقم عليه الحجة لأنه لم يبلغ حد التكليف وإما لأنه يقام مقام الكل كما في قوله بل أكثرهم لا يعلمون **ويوم نبعث من كل أمة شهيدا** وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالإيمان والكفر **ثم لا يؤذن للذين كفروا** في الاعتذار إذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع إلى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الإقناط

الكلام على مبنون تبن شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون لا هم يسترضون من العتبى وهو الرضى وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم
ما يحيق كذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف
بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم ما عبدوهم حقيقة
وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون
من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرءوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم
فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم
وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل
او الاجمال بالاحالة الى السنة والقياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا
كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا
كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط
في متابعة القوة الشهوانية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستيلاء والاستعلاء على
الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه
القوى الثلثة ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه
الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر
لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله على الاسلام كقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به
ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذور وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله
ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون
في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا
طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد
بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين
بامرأة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر
مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم
انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله عليه السلام ام تغترون بكثرة
قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب

ولو

ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت
ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد
اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله
بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا
عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا
والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي وما عند الله من خزائن رحمته
باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف باحسن ما كانوا يعملون
بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بيّنه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة
في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة
والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن فاذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله ان يعيذك
من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر
العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله عليه السلام فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء
المؤمنين والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا
الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يصير
الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله
اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله
روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا
على حسب المصالح بما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح
والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول
اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة
ويقرآن التوراة والانجيل كان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما سمعه منه كلام اعجمي لا تفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تأمل
فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لم يتلقف عنه اللفظ لان ذاك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ

الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة المعلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات
الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم
في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون
عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها
بهذه الخرافات اعظم الكذب والذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره
على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن
من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد
فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها
فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله عليه السلام يمسح عينيه
وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ
رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله فقال ما تقول في قال انا اصم فاعاد
عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله عليه السلام فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد
بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة
عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا
كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا
ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم منعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي
كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون
لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج
اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله
لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير
غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي
هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي
ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا عليه السلام والضمير لاهل مكة
عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد ووقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا واشكروا نعمت الله امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم

عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم
ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا الآية ومساق الكلام يقتضي الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية
الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب
مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال
وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا
على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله
متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة
الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا
عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها
ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور
لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن
في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا
يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا مطيعا لله قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان
قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم
في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة
وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما ساله بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول
ملته او لتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين
بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة
يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله تعالى
وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او مجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليه الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة
بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية
لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع
في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما

ضلالك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة
ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال
وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني
وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح
بالامر به لرسول الله عليه السلام لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق هنا وفي النمل بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق
ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي
عليه السلام من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية

وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثماني آيات وهي مائة وعشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي
هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه
عن العجز عما ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد
من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام
لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي
النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا اتصدقه على
ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا
اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا
وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او جسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به
الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض
مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل
الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عليه السلام او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل
مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد
عليه السلام البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ
ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا على النهي وعلى انه احد مفعولي
لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه
تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان
ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة لتفسدن في الارض

جواب

جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وقيل ارميا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد
قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف
على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان
خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الكافر على ذلك اولوا البعث
بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله
في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها
من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم
المجتمعون للذهاب ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة
المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد
والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة
على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم
تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوش قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي
فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال
لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة
وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد عليه السلام وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب
الجزية على الباقين هذا في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات والطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر
بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه بشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على
يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا
يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة
فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان
الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحرث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا
وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة
للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان
اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين فمحونا آية الليل التي هي القمر
جعلناها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعلنا آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلناها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها
لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركتهما عدد السنين والحساب

وحساب الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه
من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه
ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات يلقيه
بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء
وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه
كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزر اخرى
بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية
واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة
على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل
امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم
وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فأمر اذا كثرته وفي الحديث خير المال
مهرة مأبورة وسكة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة
اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور
معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير على البصير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له
فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد
بدل البعض من له والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الآية للمنافقين كانوا يراؤون المسلمين
ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها
حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب
فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا اي كل واحد من الفريقين
والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا
ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد
فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان
من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية

ونهاية

ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب
الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها
ما تأكيدا ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما
عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما تستقذر منهما
وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء
قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله عليه السلام حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهي عما يؤذيهما
بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض
لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما
وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل
بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته
الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك
للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك
وانت تفعل وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا
صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج
فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء
ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عليه السلام والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف
واصل التبذير التفريق وعن النبي عليه السلام انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال وفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون
الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فينبغي ان لا يطاع
واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمساكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرا له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق
بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل
القول الميسور الدعاء لهم وهو اليسر مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر
نهي عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله عليه السلام جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك الدرع فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت
قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله

إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف في القتل اي القاتل بان يقتل من لم يستحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي يدل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤولا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى سائغ شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا في ثلثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى

ليس

ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مأمورات ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انه خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانها بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا لنفسه ادون الاولاد وهي البنات وهذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها وبتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون وبجعل الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافتهم البنات اليه ليذكروا ليتذكروا ويطمئنوا اليه وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما يقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن مقالتهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا كبيرا متعاليا اقصى غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خصائص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم ولا يفقهونه وهو مستور اي مستور بحجاب آخر لا يفهمون انهم لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلال كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذي سحر فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال

بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يوجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرسل
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل
في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم
عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة
بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم
فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم
عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار
للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين
عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي
هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم يفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم وان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها
ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيج على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان
وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتم عمر رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو
وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجياع
اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب
لا بما اوتي من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله عليه السلام وقوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم
المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لان في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول
ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد واتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة
من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف
بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود
وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة
بتكذيب الآيات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها
او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا
بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك

احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل
مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر كقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه
لما ورد ماءه قال كاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره
وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة
في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر
ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة
لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية
من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة
في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال
أأسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي اسجد له وهو طين
وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته
والثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام
موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا
جرد ما عليها اكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم
وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاءك وجزاءهم
فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر
باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك
بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم
بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كحذر وحذر ومعناه وجمعك الرجل وقرئ رجالك ورجالك وشاركهم في الاموال
بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه كتسميته عبد العزى
والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل
وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد
في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة
ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون
اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه

وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اعانتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد
وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة. عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم
الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره
ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه
على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي
بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم
قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم
علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة
والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانساق الاسباب العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى
غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر
على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير
فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم
تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى
قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة
فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها
فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف
والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم
ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء
الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى ايضا يشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ والمعنى من كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا
منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل
والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا
وحكما وكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى
تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا
كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام
هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستزلال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك
واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا

لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون
فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت
لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر
وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها
وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك
وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك لو خرجت لا يبقون بعد خروجك
الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي عليه السلام بالمدينة فقالوا الشام
مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ
لا يلبثوا منصوبا باذن معطوفا على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال. عفت الديار خلافهم فكانما . بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا
نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه
ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر
وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلاك فان اليد لا تستقر عليه وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك
لان الناظر اليه يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة
وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها
مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان
لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن
نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه
وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه
لامتي لاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك
معناه او على الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا
ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى
ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له
بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق

زوحا اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في
عين واحد منها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى
ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة
المستكبرين وقرأ ابن عامر وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد
يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت
الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة
ويولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش
سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح
وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبرئيل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم
فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس
ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين
بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه
القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون الاستثناء
منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله لك وانزال الكتاب عليك
وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان
واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا
وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن
من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فأبى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعدما الزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب
تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء

لفظا

لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرهما
وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته
ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوف لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب
او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة هل كنت
الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا
على الله حتى تتخيرها علي هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم ولو فتحنا عليهم بابا
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي ما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى
انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم
مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه
فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا
يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه
يهدونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم
على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم
لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس
مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كأنهم لما
كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على
ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فأبى الظالمون
مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم
لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد
بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخل
وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص
الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي عليه السلام عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود

ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على
حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب لذلك غير فيه سياق الكلام
فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله عليه السلام فسال على لفظ الماضي بغير همز
وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسئل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك
او تتسلى نفسك او تعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة توجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا
كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك
قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي
ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا وقارع ظنك بظنه وشتان ما بين
الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره
فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون او اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او
الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات
من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي ما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه
من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك
الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي بالعقاب فما عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار
كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله
ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات
النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل تسل بايمان
العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز
وعده ببعثة محمد عليه السلام على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة
ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله
وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد
انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في اي عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما في اي من الابهام

والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما
هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب
واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور
محبوب روي ان ابابكر كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله
عليه السلام ابابكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته
نفي عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا او ما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد
لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف على قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد
وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بني
عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية
سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي
انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به
ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى وانحراف في الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج
في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد
بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره وجعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان
المعطوف فاصلا بين بعض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما لينذر بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف
المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابوبكر باسكان الدال مع
الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين
فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء
بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب وتقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير
علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين
تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ
وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها
وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها
على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته احبته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع
نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ
ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها

لنبلوهم أيهم أحسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي أيامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله عليه السلام وإنا
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الأرض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى إنا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالأرض
ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه أم حسبت بل أحسبت أن أصحاب الكهف والرقيم في إبقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالإضافة
إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها إليها ليس بعجيب
مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال أمية بن
أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم مجاورا • وصيدهم والقوم في الكهف همدا • أو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل
أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم فأخذتهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم
عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم
وترك أجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع إلي بعد حين شيخا ضعيفا لا أعرفه وقال إن لي عندك حقا
وذكره حتى عرفته فدفعتها إليه جميعا اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل وأصابت
الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبي
وأغيثي عيالك فأتت وسلمت إلي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت أخاف الله فقلت لها خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء
فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم إن فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي أبوان همان وكانت لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما
ثم رجع إلى غنمي فحبسني ذات يوم غيم فلم أرح حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما
فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير إذ أوى الفتية
إلى الكهف يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق
والأمن من العدو وهيئ لنا من أمرنا من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت
منك أسدا وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم أي ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع أي أنمناهم إنامة لا تنبههم فيها الأصوات فحذف
المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا أي ذوات عدد ووصف سنين به يحتمل التكثير والتقليل فإن مدة
لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم أيقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا أي الحزبين المختلفين منهم أو من
غيرهم في مدة لبثهم أحصى لما لبثوا أمدا ضبط أمدا لزمان لبثهم وما في أي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ وأحصى خبره وهو فعل ماض
مفعوله ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل إنه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدا تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد
كقولهم هو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق • وأمدا نصب بفعل دل عليه كقوله • وأضرب منا بالسيوف القوانسا • نحن نقص عليك نبأهم بالحق
بالصدق إنهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والأهل
والمال والجراءة على إظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار إذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد
قلنا إذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط أي بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو إخبار
في معنى الإنكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ إلا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات

مردود وأن التقليد فيه غير جائز فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه وإذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون إلا الله
عطف على الضمير المنصوب أي وإذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كسائر المشركين ويجوز أن تكون
ما مصدرية على تقدير وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله وأن تكون نافية على أنه إخبار من الله عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه
لتحقيق اعتزالهم فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ما ترتفقون به أي تنتفعون وجزمهم بذلك
لخلوص يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فإن قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتها
والخطاب لرسول الله عليه السلام أو لكل أحد إذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبيا أو لأن الله تعالى زورها عنهم
وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين
جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين وإذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله وهم في فجوة منه أي
في متسع من الكهف يعني وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب
المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه
الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف
كذلك وإخبارك قصتهم أو ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي أصاب الفلاح والمراد به إما الثناء عليهم
أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده
وتحسبهم أيقاظا لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان
وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أي وترى تقلبهم وكلبهم وهو كلب مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده
قراءة من قرأ وكالبهم أي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة
لو اطلعت عليهم فنظرت إليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لأنه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت
منهم رعبا خوفا يملأ صدرك بما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا
عنهم فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا
جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم آية بعثناهم
آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا
ما أنعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم بناء على غالب ظنهم لأن النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك أحالوا العلم إلى ربهم
قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا إنكار الآخرين عليهم وقيل إنهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة ظنوا أنهم في يومهم
أو اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما يهمهم وقالوا
فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت أو غيرها وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل
وإدغام الكاف في القاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على أن التزود رأي المتوكلين
والمدينة طرسوس فلينظر أيها أي أهلها أزكى طعاما أحل وأطيب أو أكثر وأرخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن

او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر
في ايكم يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا
ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعنا على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود
الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم
وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون
ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين
انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلي فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا
ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين
فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك روي ان المبعوث
لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا
اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا
لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد رسول الله من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اي هم
ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قالته النصارى والعاقب
منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين
اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبرئيل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع
في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل فيما يحكيه الله ان يكون حقا ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبانه ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة
تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم واسماؤهم
تمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم
قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه
وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة
عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم
ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا
بان يشاء الله اي الا متلبسا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة
بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت

اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه
لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق
بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه
اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا
لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث
النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا
على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبله وقيل انه حكاية لكلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة
وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل
في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما فلا خلق
يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت
دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر
ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش
والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه
من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد
عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه السلام على انه وحي معجز امره ان يداوم
درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد
يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضى الله
وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه والمراد
نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعدو عيناه عنهم لرثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة
ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش
وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه
كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة
اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا
باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي
متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا ابالي بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا للظالمين نارا

احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا
من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة
ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة
قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها
والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا
لا يحسن اطلاقه على الحقيقة الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر
او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة
او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين
للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك
مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا
ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان
من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب
من الكروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم
حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن
والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين
فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال
سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا
لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له
غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحد من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره
قال ما اظن ان تبيد تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث
كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده
انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك
او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك
في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله
لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او اجراء
الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبره خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها

ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها
بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها
فبمعونته واقداره وعن النبي عليه السلام من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون
انا فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترني وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي
ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق
وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها
واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك
امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو
اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم وكأنه
قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول
عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى انه لم يكن مشركا فلم يهلك
بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء ينصرونه يقدرون على نصره
بدفع الاهلاك او رد المهلك والاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه
هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه
على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي
هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك
كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ حمزة وعاصم عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل
الحيوة الدنيا اذكر لهم ما تشبهه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على
انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا
كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح
تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما
تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان
في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات واعمال الحج وصيام
رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها في الآخرة
ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال اذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها بان نجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات
خير عند الله يوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال
ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على البناء للمفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير

ليعاينوا ما وعد لهم وعلى الثاني تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء
والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا
لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء
كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع
الكتاب صحايف الاعمال في الايمان والشمايل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون
يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مال هذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها
ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وهاهنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن
ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال
والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار
قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة
وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب وذريته اولاده
واتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك
كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية
والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم
بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده
قراءة من قرا وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده
اذا قواه واعانه ويوم يقول اي الله للكفار وقرا حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم
للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا
يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق ويبق اذا هلك
وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة لقوله لقد تقطع بينكم ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها
ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء
يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم
ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرا الكوفيون بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا
وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح

الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها
وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب
هزوا استهزاء وقرئ هزؤا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه
من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتهما انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير
الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون
ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول عليه السلام على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ
المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله عليه السلام
بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجى يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم
وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضماير لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء
وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخر العذاب عنهم وقرا ابو بكر
لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم
ابن يوسف عليه السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين
من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون
لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل
البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي
حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون
سنة وقيل سبعون روي ان موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل اعلم
منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه
اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي
علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه
قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا
مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى
من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح
الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا
من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ
فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد
الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارأيت اذ اوينا الى الصخرة

الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه
بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه
في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة
للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف
وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك
اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما
اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا
هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني
وهي في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو مفعول ثان وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني
ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه
صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا
وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا
نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت
نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر
عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن واما لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة
الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال
عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على
الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها
سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا
اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء
نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان
الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا
من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا
بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة
على انه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس
عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ

لحلم

الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فيقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم
بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة
الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك
لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير
اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت
من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله عليه السلام رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه
لابصر اعجب العجائب وقرأ نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون
واسكان الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا
ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء
بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل
من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه
قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما
لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب
وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا
الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سأنبئك
بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج
وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى
وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر
وقيل منولة بن جلندي الازدي يأخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان
ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما
وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله
وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء
عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب
والاخلاق الرديئة واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو
يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين

في المدينة قيل اسمهما أصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان أبوهما صالحاً تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الأب الذي حفظا
فيه سبعة آباء وكان سياحاً واسمه كاشح فأراد ربك أن يبلغا أشدهما أي الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز أن يكون
علة أو مصدراً لأراد فإن إرادة الخير رحمة ولعل إسناد الإرادة أولاً إلى نفسه لأنه المباشر للتعييب وثانياً إلى الله وإلى نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام
والإيجاد بدله وثالثاً إلى الله وحده لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لأن الأول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج أو لاختلاف حال العارف
في الالتفات إلى الوسائط وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك وما فعلته وما فعلت ما رأيته عن أمري عن رأيي إنما فعلته بأمر الله تعالى
ومبنى ذلك على أنه متى تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما وهو أصل ممهد غير أن الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً
أي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفاً ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سراً لا يعرفه وأن يداوم على التعلم
ويتذلل للمعلم ويراعي الأدب في المقال وأن ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق إصراره ثم يهاجر ويسألونك عن ذي القرنين يعني إسكندر الرومي
ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين أو لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس وقيل كان له
قرنان أي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح أقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على إيمانه وصلاحه
والسائلون هم اليهود سألوه امتحاناً أو مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكراً خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله إنا مكنا له في الأرض أي مكنا له
أمره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء أراده وتوجه إليه سبباً وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة فأتبع سبباً فأراد
بلوغ المغرب فأتبع سبباً يوصله إليه حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر إذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وأبو بكر حامية أي حارة ولا تنافي بينهما لجواز أن يكون العين جامعة للوصفين أو حمئة على أن ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط
فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل إن ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث
معاوية إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ووجد عندها عند تلك العين قوماً قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم
ما لفظه البحر وكانوا كفاراً فخيره الله بين أن يعذبهم أو يدعوهم إلى الإيمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب أي بالقتل على كفرهم وإما أن تتخذ فيهم حسناً
بالإرشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والأسر وسماه إحساناً في مقابلة القتل ويؤيد الأول قوله قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً
أي فاختار الدعوة وقال أما من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذاباً منكراً
لم يعهد مثله وأما من آمن وعمل صالحاً وهو ما يقتضيه الإيمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاءً منوناً منصوباً على الحال
أي فله المثوبة الحسنى مجزياً بها أو على المصدر لفعله المقدر حالاً أي يجزى بها جزاءً أو التمييز وقرئ منصوباً غير منون على أن تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنوناً مرفوعاً
على أنه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز أن يكون أما وأما للتقسيم دون التخيير أي ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لمن أصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه
ونداء الله إياه إن كان نبياً فبوحي وإن كان غيره فبإلهام أو على لسان نبي وسنقول له من أمرنا يسراً مما نأمر به يسراً سهلاً ميسراً غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم أتبع سبباً
ثم أتبع طريقاً يوصله إلى المشرق حتى إذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً من معمورة الأرض وقرئ بفتح اللام على إضمار مضاف أي مكان المطلع

الشمس

الشمس فإنه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً من اللباس أو البناء فإن أرضهم لا تمسك الأبنية أو أنهم اتخذوا الأسراب بدل الأبنية
كذلك أي أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف
لوجد أو نجعل أو صفة قوم أي على قوم مثل ذلك القبيل الذين تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد أحطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والأسباب خبراً
علماً تعلق بظواهره وخفاياه والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير ثم أتبع سبباً يعني طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً
من الجنوب إلى الشمال حتى إذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا أرمينية وآذربيجان وقيل جبلان في أواخر الشمال في منقطع أرض الترك
منيف من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس
لأنه في الأصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً لغرابة
لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يفقهون أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين أي قال مترجموهم وفي مصحف
ابن مسعود قال الذين من دونهم إن يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف
وقيل عربيان من أج الظليم إذا أسرع وأصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث مفسدون في الأرض أي في أرضنا بالقتل والتخريب
وإتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون في الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجاً جعلاً نخرجه
من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجاً وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الأرض والذمة والخرج المصدر على أن تجعل بيننا وبينهم سداً يحجز
دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكيناً من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي إليه
وقرأ ابن كثير مكنني على الأصل فأعينوني بقوة أي بقوة فعلة أو بما أتقوى به من الآلات أجعل بينكم وبينهم ردماً حاجزاً حصيناً وهو أكبر من السد من قولهم ثوب
مردم رقاع فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لأن الإيتاء بمعنى المناولة ويدل عليه
قراءة أبي بكر ردماً ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في أمرتك الخير ولأن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة
دون الخراج على العمل حتى إذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وأبو بكر بضم الصاد وسكون
الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لأن كلاً منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا أي قال للعملة انفخوا
أي في الأكوار والحديد حتى إذا جعله جعل المنفوخ فيه ناراً كالنار بالإحماء قال آتوني أفرغ عليه قطراً أي آتوني قطراً أي نحاساً مذاباً أفرغ عليه قطراً
فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على أن إعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى إذ لو كان قطراً مفعول آتوني
لأضمر مفعول أفرغ حذراً من الإلباس وقرأ حمزة وأبو بكر قال ائتوني موصولة الألف فما اسطاعوا بحذف التاء حذراً من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة
بالإدغام جامعاً بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صاداً أن يظهروه أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقباً
لثخنه وصلابته قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى أعلى الجبلين ثم وضع
المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً وقيل بناه من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلاليب
من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد أو الإقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فإذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج
أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة جعله دكاً مدكوكاً مبسوطاً مستوياً بالأرض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل أدك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء
أي أرضاً مستوية وكان وعد ربي حقاً كائناً لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج

حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد أو يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ
في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعاً للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً وأبرزناها وأظهرناها لهم الذين كانت أعينهم في غطاء
عن ذكري عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعاً استماعاً لذكري وكلامي لإفراط صممهم عن الحق فإن الأصم قد يستطيع
السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية أفحسب الذين كفروا أفظنوا والاستفهام للإنكار أن يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح
من دوني أولياء معبودين نافعهم أو لا أعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة أو سد أن يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا
أي أكافيهم في النجاة وأن بما في حيزه مرتفع بأنه فاعل حسب فإن النعت إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل أو خبر له إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً
ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً نصب على التمييز وجمع لأنه من أسماء الفاعلين
أو لتنوع أعمالهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فإنهم خسروا دنياهم وأخراهم ومحله الرفع على الخبر
المحذوف فإنه جواب السؤال أو الجر على البدل أو النصب على الذم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً لعجبهم واعتقادهم أنهم على الحق أولئك الذين
كفروا بآيات ربهم بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه فحبطت أعمالهم بكفرهم فلا يثابون
عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً أو لا نضع لهم ميزاناً يوزن به أعمالهم لانحباطها ذلك أي الأمر ذلك وقوله
جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره
وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً بسبب ذلك إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً
فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس أعلى درجات الجنة وأصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولاً
تحولاً إذ لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود قل لو كان البحر مداداً ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر
للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي فإنها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مدداً زيادة ومعونة لأن مجموع المتناهيين
متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهياً للدلائل القاطعة على تناهي الأبعاد والمتناهي ينفد قبل أن ينفد غير المتناهي
لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومدداً بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وسبب نزولها أن اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة
فقد أوتي خيراً كثيراً وتقرؤون وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً قل إنما أنا بشر مثلكم لا أدعي الإحاطة على كلماته يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وإنما تميزت
عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يأمل حسن لقائه فليعمل عملاً صالحاً يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه أحداً بأن يرائيه أو يطلب منه أجراً
روي أن جندب بن زهير قال لرسول الله عليه السلام إني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني فقال إن الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقاً له
وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والإخلاص في الطاعة
وعن النبي عليه السلام من قرأها عند مضجعه كان له نوراً يتلألأ في مضجعه إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فإن كان مضجعه
بمكة كان له نوراً يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشوه ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من قرأ سورة
الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء سورة مريم مكية وهي ثمان
أو تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص أمال أبو عمرو الهاء لأن ألفات أسماء التهجي ياآت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي
وأبو بكر كليهما ونافع بين بين وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمون ذكر رحمت ربك خبر ما قبله إن أول بالسورة أو القرآن

فإنه مشتمل عليه أو خبر محذوف أي المتلو ذكر رحمت ربك أو مبتدأ حذف خبره أي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي وذكر على الأمر
عبده مفعول الرحمة أو الذكر على أن الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه أو عطف بيان له إذ نادى ربه نداء خفياً لأن الإخفاء
والجهر عند الله سيان والإخفاء أشد إخباتاً وأكثر إخلاصاً أو لئلا يلام على طلب الولد في زمان الكبر أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم أو لأن ضعف الهرم أخفى
صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب إني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص
العظم لأنه دعامة البدن وأصل بنائه ولأنه أصلب ما فيه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيده لأن المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل
في الحركات الثلاث واشتعل الرأس شيباً شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة
وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزاً إيضاحاً للمقصود واكتفى باللام عن الإضافة للدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد
يغني عن التقييد ولم أكن بدعائك رب شقياً بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على أن المدعو له وإن لم يكن معتاداً
فإجابته معتادة وأنه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه وإني خفت الموالي يعني بني عمه لأنهم كانوا أشرار بني إسرائيل
فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي
أي خفت فعل الموالي من ورائي أو الذين يلون الأمر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي أي قلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعدي أو خفوا ودرجوا قدامي
وعلى هذا كان الظرف متعلقاً بخفت وكانت امرأتي عاقراً لا تلد فهب لي من لدنك فإن مثله لا يرجى إلا من فضلك وكمال قدرتك فإني وامرأتي لا نصلح للولادة
ولياً من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما أبو عمرو والكسائي على جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فإن الأنبياء لا يورثون المال
وقيل يرثني الحبورة فإنه كان حبراً ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام وقيل يعقوب كان أخا زكريا أو عمران بن ماثان من نسل
سليمان عليه السلام وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من أحد الضميرين وأويرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثني على طريقة التجريد
في علم البيان لأنه جرد عن المذكور أولاً مع أنه المراد واجعله رب رضياً ترضاه قولاً وعملاً يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد بإجابة
دعائه وإنما تولى تسميته تشريفاً له لم نجعل له من قبل سمياً لم يسم أحد بيحيى قبله وهو شاهد بأن التسمية بالأسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سمياً شبيهاً كقوله
هل تعلم له سمياً لأن المتماثلين يتشاركان في الاسم والأظهر أنه أعجمي وإن كان عربياً فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لأنه حيي به رحم أمه أو لأن دين الله حيي بدعوته
قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً جساوة وقحولاً في المفاصل وأصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين
فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياء ثم قلبت الثانية وأدغمت وقرأ حمزة والكسائي وحفص عتياً بالكسر وإنما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
اعترافاً بأن المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال أي الله أو الملك المبلغ للبشارة تصديقاً له كذلك الأمر كذلك
ويجوز أن تكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك إشارة إلى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الأول قراءة من قرأ وهو علي هين أي الأمر كما
قلت أو كما وعدت وهو علي هين لا أحتاج فيما أريد أن أفعله إلى الأسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيئاً بل كنت معدوماً صرفاً وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة أعلم بها وقوع
المبشر به قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم وإنما ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران للدلالة على أنه استمر عليه المنع
من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى أو من الغرفة فأوحى إليهم فأومى إليهم لقوله إلا رمزاً وقيل كتب لهم
على الأرض أن سبحوا صلوا أو نزهوا ربكم بكرة وعشياً طرفي النهار ولعله كان مأموراً بأن يسبح ويأمر قومه بأن يوافقوه وأن تحتمل أن تكون مصدرية

وان يكون مصدراً يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة
احكم الله عقله في صباه واستنبأه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب
او صدقة اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا
او عاصي ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار واهوال القيمة
واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اذ اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم
وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا
بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا
طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبرئيل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك
من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي
ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما
لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب
او ناميا على الخيرات مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه
فاما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك
لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله آية او لنبين به قدرتنا
ولنجعله وقيل عطف على لنهب على طريقة الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا
تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر
وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت
وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجأها
المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص في الاستعمال كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكانت في الشتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها
وكانت كالمتعالم عند الناس لعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا
استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو بكر وابو عمرو وابن عامر ويعقوب مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح
وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به بالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها
عيسى وقيل جبرئيل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح بالكسر والجر على ان في نادى ضميرا لاحدهما وقيل الضمير في
لنخلة ألا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة
وأميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او افعلي الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز التحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية

في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا
تمييز او مفعول وروي انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت الشتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات
الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه
ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه امرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي
نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة
السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول
لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا
بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن
فاتت به قومها مع ولدها راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت هرون
يعنون هرون النبي كانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به
تهكما او لما رأوا قبل صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين
افحش فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة
حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على من زعم
ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع
وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اين ما كنت حيثما كنت واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا
وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر
عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد
والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب
على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم اي الذي تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق
البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام
السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ
قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب
ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان
منزها عن شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره
في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى
نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء

والسنتهم وايديهم بالكفر والفسوق ومن وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم
يوم يأتوننا اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد
ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع
الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته
والمحسن على قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله
في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك
او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما للصدق او كثير التصديق
لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله اذ قال لابيه بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا يا ابت التاء معوضة
من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني
عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة
ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب
المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان
اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم
لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق
بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة للشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت
لا تعبد الشيطان واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص
حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب
تليه ويليك او ثانيا في هواه فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب للمجاملة والخفاء في العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان
الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم قابل استعطافه
ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب
كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني
عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك
بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره
في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا
خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له
اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرة الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا

النبوة

النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان
ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول
وتبدل الملك واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح
على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته
اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته
نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا
او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل هرون عطف بيان له
نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك
انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا
على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك
بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط
شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه بتلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته
اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة
والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع
النعم الدينية والدنياوية من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء
واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون
واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة
من هدينا الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته
خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقي وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء فخلف من بعدهم
خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات
كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور
فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق
الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق
لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم
لان المضاف اليه في العلم وعلم للعدن بمعنى الاقامة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم

او هم غايبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا
اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم
على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط
بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال
الوارث والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقين من الجنة المساكن
التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورّث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله
لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجى ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون
ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزّل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزّل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل
وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين
لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن
ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه
وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين
وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب
للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي
باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين
وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق
العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان القول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم
كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت
لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به
فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروي عن ابن ذكوان
اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان تتقدمهما للدلالة على
ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق
وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسم باسمه مضافا
الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشأن رسول الله عليه السلام والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه
في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء
ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول

المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول
فان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة لهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وان فسر الانسان بالعموم فالمعنى
انهم يجثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا
ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز
طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات
لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزع ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع
عند غيره اما بالابتداء على انه استفهام وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى
التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما شيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان
او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز
ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد وان منكم وما منكم
التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام
سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها
مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى
بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ بفتح الثاء اي هناك
ونذر الظالمين فيها جثيا منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى
الفجرة فيها منهارة بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني في نفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين
كفروا للذين آمنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين خير اي المؤمنين او الكافرين مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل
واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة
حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز
عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث منه والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ قالون وابن ذكوان ريا على قلب
الهمزة وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وقرأ ابو بكر رئيا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين
ان تمتعهم استدراج ليس باكرام وانما المعيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر
والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير اي قالوا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة
تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون
من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا

اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمنين منها ليس لنقصهم بل لان الله
عز وجل اراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات
الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا
عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا
والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت
في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون
لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك
وقرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب قد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به
الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد
هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه
سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها
عليه فان نفس الكتبة لا تتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله او نزيد عذابه
ونضاعفه لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا يوم القيمة فردا
لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا
لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا
يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم ذلا او بضد لهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي
ويكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام وهم يد على
من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابا او على معنى كل هذا الراي كلا وكلا
على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا
تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح
الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم ويطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام اجالهم
عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار
هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك
منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء
لا يملكون الشفاعة الضمير فيها للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع

للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير
الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير
للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان
هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله والاد بالفتح والكسر
العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وادني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرا نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى
وقرا ابو عمرو وابن عامر وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة
لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها
ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع
على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على
المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به
اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم
كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض اي ما منهم الا اتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له
يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ ات الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم واحاطهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا
عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم اتيه يوم القيمة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه
ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها عن النبي عليه السلام
اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة
في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا جاء الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس
الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين
الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة اخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن
تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي
واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد
كل من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله سورة طه وهي مائة واربع وثلثون آية

سورة

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون
وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم
لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول عليه السلام بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم
في تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون

اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحروف وكذا التفسير بيا رجل والاكتفاء بشطري الكلمتين والتعبير عنهما باسمهما
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته
نداء واستيناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك
الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شايع بمعنى التعب ومنه اشقى من رايض مهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه
انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على
الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف
او القرآن ومفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن اي انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه اي احتمال متاعب تبليغه ومقاولة العتاة
من اعداء الاسلام وغير ذلك لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى
او على المدح او على البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده
الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل لعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم
وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه
الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضاه حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض
وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها
على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر
والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية
بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام
وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام
من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبرئيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن
على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهو آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله على سائر الاسماء في الحسن
لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتاك حديث موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة
الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى
وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا
اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها فيه اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار
ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل
ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار
ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتاها اي النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء
نودي يا موسى اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي

قال فمن المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله فاني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة
الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك
امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل فرغ قلبك من الاهل والمال
انك بالوادي المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى
من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى
اليك او للوحي اللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم
والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا تراءي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات
ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم
الصلوة لذكري ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها
من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى
متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد
نهيه ان يصد عنها كقولك لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه بان صد
الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده وما تلك
استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي
عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع واهش بها على غنمي واخبط الورق بها على رؤس
غنمي وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب اخرى
حاجات اخرى مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها
واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة
ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع ويصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو
وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها
فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي
حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية
اخرى باعتبار الاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان قال خذها ولا تخف فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع
الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع
الخافض او على ان اعاد منقول من عاد بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها
الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قيل لما قال ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد

يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لأنه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كأنها مشعة من غير سوء من غير عاهة
وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوأة عن العورة لأن الطباع تعافه وتنفر عنه آية أخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء أو من ضميرها أو مفعول
بإضمار خذ ودونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر أو بما دل عليه آية أو القصة أي دللنا بها أو فعلنا ذلك لنريك والكبرى
صفة آياتنا أو مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب إلى فرعون بهاتين الآيتين وادعه إلى العبادة إنه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري
ويسر لي أمري لما أمره الله بخطب عظيم وأمر جسيم سأله أن يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل ويسهل الأمر له بإحداث الأسباب
ورفع الموانع وفائدة لي إبهام المشروح والميسر أولا ثم رفعه بذكر الصدر والأمر تأكيد ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فإنما
يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة أدخلها فاه وذلك أن فرعون حمله يوما فأخذ لحيته ونتفها فغضب وأمر بقتله فقالت آسية إنه صبي
لا يفرق بين الجمر والياقوت فأحضرا بين يديه فأخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ
ثم لما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد أوتيت سؤلك
ومن لم يقل احتج بقوله هو أفصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها وجعل
يفقهوا جواب الأمر ومن لساني يحتمل أن يكون صفة عقدة وأن يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير
إما من الوزر لأنه يحمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لأن الأمير يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره ومنه الموازرة وقيل أصله أزير من الأزر بمعنى القوة
فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهارون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة أو حال أو لي وزيرا وهارون عطف بيان
للوزير أو وزيرا من أهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا أحد وأخي على الوجوه بدل من هارون أو مبتدأ خبره اشدد به أزري وأشركه في أمري على لفظ الأمر وقرأهما
ابن عامر بلفظ الخبر على أنهما جواب الأمر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فإن التعاون يهيج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايده إنك كنت بنا بصيرا عالما بأحوالنا
وأن التعاون مما يصلحنا وأن هارون نعم المعين لي فيما أمرتني به قال قد أوتيت سؤلك يا موسى أي سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول
ولقد مننا عليك مرة أخرى أنعمنا عليك في وقت آخر إذ أوحينا إلى أمك بإلهام أو في منام أو على لسان نبي في وقتها أو ملك لا على جهة النبوة كما أوحي إلى مريم
ما يوحى ما لا يعلم إلا بالوحي أو مما ينبغي أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به أن اقذفيه في التابوت بأن اقذفيه أو أي لأن الوحي بمعنى القول فاقذفيه
في اليم والقذف يقال للإلقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان إلقاء البحر
إياه إلى الساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الإرادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والأولى أن تجعل الضمائر كلها لموسى
مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل وإن كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير العدو للمبالغة
أو لأن الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل إنها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون
نهر فدفعه الماء إليه فأداه إلى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجها فأحبه
حبا شديدا كما قال وألقيت عليك محبة مني أي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ويجوز أن يتعلق
مني بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد أن يؤول الساحل
بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن إليك وأنا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أو على الجملة السابقة بإضمار فعل
معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر ولتصنع بالنصب وفتح التاء أي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري

إذ تمشي أختك ظرف لألقيت أو لتصنع أو بدل من إذ أوحينا على أن المراد بها وقت متسع فتقول هل أدلكم على من يكفله وذلك أنه كان لا يقبل
ثدي المراضع فجاءت أخته متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فرجعناك إلى أمك وفاء بقولنا إنا رادوه إليك كي تقر عينها بلقائك
ولا تحزن هي بفراقك أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله
واقتصاص فرعون بالمغفرة والأمن منه بالهجرة إلى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء
كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد
وأجر نفسه إلى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في أهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر
قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه
على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب أنت وأخوك بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا
ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء إلي اذهبا إلى فرعون إنه طغى أمر به أولا موسى وحده
وههنا إياه وأخاه فلا تكرير قيل أوحي إلى هارون أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى
فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما أو احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد
وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول إلا بالموت لعله يتذكر أو يخشى متعلق باذهبا أو قولا أي باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب
سعيكما فإن الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بأنه لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار ما حدث
في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الأول أي إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى قالا ربنا
إننا نخاف أن يفرط علينا أن يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل
وقرئ يفرط من أفرطه إذا حمله على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان إنسي أو جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الإفراط
في الأذية أو أن يطغى أن يزداد طغيانا فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب قال لا تخافا إنني معكما بالحفظ والنصر
أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى إنني حافظكما سامعا مبصرا
والحافظ إذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان
فإنهم كانوا في أيدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور أولادهم في عام دون عام وتعقيب الإتيان بذلك دليل على أن تخليص المؤمنين
من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان ويجوز أن يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة
وإنما وحد الآية وكان معه آيتان لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا الإشارة إلى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية أو لو جئتك بشيء
مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أو السلام في الدارين لهم إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى
أن عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لأن التهديد في أول الأمر أهم وأنجع وبالواقع أليق قال فمن ربكما
يا موسى أي بعد ما أتياه وقالا له ما أمرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فإن المطيع إذا أمر بشيء فعله لا محالة وإنما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لأنه الأصل
وهارون وزيره وتابعه أو لأنه عرف أن له رتة ولأخيه فصاحة فأراد أن يفحمه ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي أعطى
كل شيء من الأنواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له أو أعطى خليقته كل ما يحتاجون إليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لأنه المقصود بيانه

وقيل أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي أعطى
كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرّفه كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه
عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه ومنعم عليه في حد ذاته
وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة
قال علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه
في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك
وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي
علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى
محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون
هنا وفي الزخرف مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد ولم يختلفوا في الذي في النبأ
وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فأخرجنا به
عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة
لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امّن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به
حدائق ذات بهجة ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه
من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها
للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فأخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم
بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب
اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب
على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصّرناه اياها او عرّفناه صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا
آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعدّ عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وأبى الايمان
والطاعة لعتوه قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج
ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب
مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم
مكان يوم الزينة كما هو على الاول وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا
واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم نيروز او يوم عيد كان
لهم في كل عام وانما عيّنه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ
على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة

والاتهم ثم اتى الى الموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي
وحفص ويعقوب برواية رويس بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى
الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى
ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسرارهم
النجوى كأنهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها
ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران
فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها المخففة واللام هي الفارقة
او النافية واللام بمعنى الا ويشدد ابن كثير نون هذان يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي
هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم
لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فأجمعوا كيدكم فأزمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه
احد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور
الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا مراعاة للادب وان بما بعدها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا
او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم
الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة
والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه
انها تتحرك وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله
وتخيل بمعنى تتخيل فأوجس في نفسه خيفة موسى فأضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف
ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة
وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل
بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء
يحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه
من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى
ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح
الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج * يوم ترى النفوس ما اعدت * في سعي دنيا طالما قد مدت * كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري حيث اتى
حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقف فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله

عما صنعوا رغبا وتعظيما لما رأوا قالوا آمنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر
على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روي انهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي لموسى واللام
لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به
او لمعلمكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدأ
من مخالفة العضو للعضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف ولأصلبنكم في جذوع النخل
شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب
لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عذابا عقابا قالوا
لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا به موسى ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم
فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير لنا
وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي
وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره
فأبى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يأت ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها
فيستريح ولا يحيى حياة مهنأة ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فأولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى من تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلاث يحتمل
ان يكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما
او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس اذا
جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كأن قتود رحلي حين ضمت
حوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى بانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد
محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا
او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فأتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون
ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم
والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكم
الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي عليه السلام بما فعل بآبائهم
قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين
المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء
وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع

عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية
وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور
وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب
موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها
الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم
بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل
والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها باياها اربعين وقالوا
قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل فان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله تعالى المترقب بلفظ الواقع على عادته فانه اصل
وقوع الشيء ان يكون في علمه مقتضى مشيته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان
منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوه قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية
فيها نور وهدى افطال عليكم العهد اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي
وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين
وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على شق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه
وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثها لغات في الاصل في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعاروها
منهم حين هموا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه
ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد او لانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي فقذفناها اي في النار فكذلك القى السامري ما
اي كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر
فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار
صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك
ما كان عليه من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان
ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامري
كأنه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهموا ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات
على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون اي قال له موسى لما رجع
ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعني ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك
ان لا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا
من اب وام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعر رأسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم
يتمالك حين رآهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني

في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل اليه وقال له منكرا
ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت بما لم تعلموه
وفطنت بما لم تفطنوا له وذلك ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رأيت ما لم تروه وهو ان جبريل جاءك على فرس الحيوة
انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون فكان جبريل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض
واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل
ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي المذاب او في جوف العجل حتى حيي
وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فيأخذك الحمى
ومن يمسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الاخرة لن تخلفه لن يخلفك الله
وينجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواعد اياه وسيأتيك لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود
هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته
مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق
اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك
زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة
وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية
لانه وان انتصب على التمييز في المشهور لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى
نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك
وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس
من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها
وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد
في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم
للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرأ ابو عمرو
بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور
وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ يحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها
الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزرق
يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها
لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله
يوم تقوم الساعة الى اخر الايات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول

نقالا منهم ويسئلونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها
فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كأن اجزاءها على صف واحد
لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالمقياس الهندسي وثلثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار
المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني والامت هو النتو اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم
الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون
من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيفا
ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة
اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية
وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن ومن الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله
قول الشافع في شأنه او قوله لاجله وفي شأنه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم
بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له
خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما
وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات
فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف
على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه
ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى
اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق
بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال
في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وقل رب زدني علما
اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه
اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان
من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة
وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي عليه السلام لو وزنت احلام بني آدم
بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه
وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين
انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول
المدلول عليه بقوله فسجدوا والثاني ان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما

بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افراده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقاوته شقاوتها من حيث انه قيم عليها ومحافظة
على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى فانه
بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل ما عسى ينقطع
ذكر نقايضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه نائب من حيث انه حرف عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله
على ان امتناع دخول ان عليه وقرا نافع وابو بكر وانك لا تظما بكسر الهمزة والباقون بفتحها فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة
الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره فان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب
حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية
مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها
واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحواء او له ولابليس
ولما كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد
الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي
فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا
متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف
وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائي
لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها
فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات
ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي النار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله
اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم
او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى علم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى
لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما
لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي لولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم
او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل
واجل مسمى لازمين لهم فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له
على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته
جمع اني بالكسر والقصر او انا بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة

وكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص
ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه
باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى
نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله
ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا
منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهو الزينة والبهجة وقرأ
يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه
لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى
فانه لا ينقطع وأمر اهلك بالصلوة امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم
ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك
واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه السلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية
وقالوا لولا ياتينا باية من ربه باية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم
بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم
اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تاتهم بينة ما في
الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها
ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجزة وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة
الى ما يشهد على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تاتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان والمراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل بالقتل و
في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا
فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء والسوأى اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة
ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة
الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عليه السلام وعنه من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب
المهاجرين والانصار سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى
او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد
ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار
لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون
ما ياتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل

سورة

الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو
وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير
واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة
الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم
افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة
لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم
امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض ولذلك اختير هنا وليطابق قوله واسروا النجوى في القراءة وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه
ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه
ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء بالاخرى او للاضراب عن تحاورهم في شأن الرسول وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم
في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري
يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون
بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا
رسول الله نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به
الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية
من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه دليل على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو أتى
ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر
مثلكم فامرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة لتزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي عليه السلام
ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين
نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له
فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد
وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد
فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائهم حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي
لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون
فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه
وانشأنا بعدها بعد اهلاكها اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون
يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين

وار

وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات
العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل
حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت
تلك دعويهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعويهم يحتمل الاسمية والخبرية
حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته
حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة
بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا
بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام
المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى
ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب
اي بل من شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي
والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم
والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون
مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين
منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء
والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم
بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال
من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون
الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص
الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون آلهة فيهما دونه والمراد ملازمته
لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون
بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي
هو محل التدابير ومنشأ التقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية
وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما
لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا
في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم
على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا

بل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن قبلي من الامم
المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وبها بل اكثرهم لا يعلمون الحق لا يميزون
بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتاكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم
وهو الكتب الثلثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا
الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد
لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق
المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون
لا يعملون قط ما لم يامرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليهم خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم
ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها
العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا
اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما
بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا او كانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات
او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الافاق
او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط
او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا
كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه
وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون
مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا الشيء اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن اللبس وجعلنا فيها
في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا
على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال
الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث
عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين
بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس
والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون
نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعليق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد تقرر

ذلك

ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء
مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسبما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب
تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلق
لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقران هم كافرون
منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته
كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد
روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب سأوريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي
عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين
كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه
بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول
ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك
بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين
وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ولا هم ينظرون يمهلون
وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وعد له بان ما يفعلونه به
يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاؤه قل للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن
تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا
وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضراب عن الامر بالسؤال
على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بابطال ما اعتقدوه
فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم
وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم
فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها
بتسليط المسلمين عليها وتصوير ما يجري به الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء
وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضع موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون
اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس
وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل يوزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب
السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون

فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا
احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وضمير للمثقال
وتأنيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع
لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر
وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول
وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون
استفهام توبيخ ولقد آتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل
موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حين قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة
الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه
التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التماثيل صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف
بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يأول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم
الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل
والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة
فقالوا اجد تقوله ام لعب به قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل
وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله
وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه
على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي
بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون
لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيبكتهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأنه
انه يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة
الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او متورطه نفسه للاهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة للفتى مصححة لان
يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن
صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله
وفي فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت
على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق انت كتبت هذا فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق بقوله
ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا ابتداء وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه عليه السلام قال لابرهيم ثلاث كذبات
تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة

ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة
اسفل الشيء مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال
افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون
من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف به افلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اي
ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اي
ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل
نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى فجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك
حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم تحرق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال
اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبا ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف
المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى في السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره
فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم لمزيد العذاب ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي
مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين
بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين
موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية
التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه
كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل
من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا
من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله
وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين
والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة
غير هذا ارفق بهما فأمر بدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا
ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي
وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي عليه السلام لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار

وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا آتينا حكما وعلما دليل على ان خطاء
المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير
ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا
وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلم او صفة
لبوس لتحصنكم من بأسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع وفي قراءة
ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان وسخرنا له الريح ولعل اللام فيه دون
الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه
في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية
او بدل من الاول وحال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما يقتضيه الحكمة ومن الشياطين
من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال
اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب
اذ نادى ربه اني مسني الضر باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال
وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من اولاد عيص بن اسحق استنبأه الله
وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وروي ان امرأته
ماخيرت بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل
رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم
واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل امته او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى
النصيب والكفالة والضعف كل اي كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة
انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا غضب
لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب
من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة
من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت
الى وهمه فسمي ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله
الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي عليه السلام ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له
فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم

دعوا

دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي فلذلك اخفي الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذف
النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حرف المضارعة التي لمعنى لا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي
الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه
لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان لم ترزقني
من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم يعني المتوالدين
او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة
او في الطاعة خائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائمين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت فرجها
من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا
جبرائيل وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم اي ان ملة التوحيد
او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع
على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا
في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بتقبيح فعلهم الى غيرهم كل الينا من الفرق المتحزبة راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران
لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه
وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء واسكان الراء اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم
لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم
او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي حرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر
وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع
او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر
ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني يأجوج ومأجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب
وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيامة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة وتسد مسد الفاء الجزائية كقوله
اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع
الحال من الذين قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله
يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة
اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن وما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل ما عبد من دون الله
فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او للتخصيص تأخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى اليها وتهيج به من حصبه اذا رماه
بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان

وردوهم لا عليها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لأن المؤاخذ المعذب لا يكون إلها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير أنين وتنفس شديد
وهو إضافة فعل البعض إلى الكل للتغليب إن أريد بما تعبدون الأصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم إن الذين
سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق للطاعة أو البشرى بالجنة أولئك عنها مبعدون لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين روي أن عليا
خطب وقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ثم أقيمت الصلاة
فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق للمبالغة في إبعادهم عنها والحسيس صوت يحس وهم فيما اشتهت أنفسهم
خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الأكبر النفخة الأخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات
ومن في الأرض أو الانصراف إلى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول
الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر أو ظرف لا يحزنهم أو تتلقاهم أو حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد
النشر أو المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لأنها نشرت مظلة لبني آدم فإذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي
السجل للكتب طيا كطي الطومار لأجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل
السجل ملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه أو كاتب كان لرسول الله وقرئ السجل كالدلو والسجل كالقتل وهما لغتان فيه كما بدأنا أول خلق نعيده
أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونهما إيجادا عن العدم أو جمعا من الأجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس على الإبداء
لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره نعيده أو موصولة
والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أو منصوبة لأنه عدة بالإعادة علينا أي علينا إنجازه إنا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب
داود من بعد الذكر أي التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ أن الأرض أرض الجنة أو الأرض المقدسة يرثها عبادي الصالحون
يعني عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها أو أمة محمد عليه السلام إن في هذا فيما ذكر من الأخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية
أو لسبب بلوغ إلى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم وموجب لصلاح معاشهم
ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد
وذلك لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالأول لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل أنتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى
الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت أن التوحيد مما يصح إثباته بالسمع فإن تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم على سواء مستوين في الإعلام
أو مستوين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم أو في المعاداة أو إيذانا على سواء أي عدل واستقامة رأي في البرهان النير وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين أو الحشر
لكنه كائن لا محالة إنه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام ويعلم ما تكتمون من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وإن أدري لعله فتنة لكم وما
أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع إلى حين وتمتيع إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته قال رب احكم بالحق اقض
بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله عليه السلام وقرئ رب بالضم وربي أحكم على بناء
التفضيل وأحكم من الإحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الإسلام تخفق
أياما ثم تسكن وأن الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله دعوة رسوله فخيب آمالهم ونصر رسوله عليهم عن النبي عليه السلام من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا
وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة

سورة الحج مكية إلا ست آيات من هذان خصمان إلى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي أو تحريك الأشياء فيها فأضيف إليها
إضافة معنوية بتقدير في أو إضافة المصدر إلى الظرف على إجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة
لأنها من أشراطها شيء عظيم هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم ويتقوها
بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل مجهولا وتذهل
أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها
نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة أو مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كأنهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة
ولكن عذاب الله شديد فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم وقرئ ترى بالضم من أريتك قائما أو رأيتك قائما بنصب الناس ورفعه
على أنه نائب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وإفراده بعد جمعه لأن الزلزلة يراها الجميع وأثر السكر إنما يراه كل أحد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى
كعطشى إجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين
ولا بعث بعد الموت وهي تعمه وأضرابه ويتبع في المجادلة أو في عامة أحواله كل شيطان مريد متجرد للفساد وأصله العري كتب عليه على الشيطان
أنه من تولاه تبعه والضمير للشأن فأنه يضله خبر لمن أو جواب له والمعنى كتب عليه إضلال من يتولاه لأنه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه أنه يضله
لا على العطف فإنه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب وإضمار القول أو تضمين الكتب معناه ويهديه إلى عذاب السعير
بالحمل على ما يؤدي إليه يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث من إمكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فإنا خلقناكم أي فانظروا
في بدء خلقكم فإنه يزيح ريبكم فإنا خلقناكم من تراب بخلق آدم منه أو الأغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة
قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي في الأصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة أو تامة وساقطة
أو مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبل أخرى وأن من قدر على تغييره وتصويره أولا قدر على ذلك
ثانيا وحذف المفعول إيماء إلى أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الأرحام ما نشاء أن نقره إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع
وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه آخر أربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كأن خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم
في الأرحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرئ بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر بالضم من قررت الماء إذا صببته وطفلا حال أجريت على تأويل
كل واحد أو الدلالة على الجنس أو لأنه في الأصل مصدر ثم لتبلغوا أشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالأنعم جمع نعمة كأنها في الأصل شدة في الأمور ومنكم
من يتوفى عند بلوغ الأشد أو قبله وقرئ يتوفى أي يتوفاه الله ومنكم من يرد إلى أرذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والآية استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه
من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الأرض هامدة ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رمادا فإذا أنزلنا عليها
الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت أي ارتفعت وأنبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله
في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادة وإحياء الأرض بعد موتها وهو مبتدأ خبره
بأن الله هو الحق أي بسبب أنه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الأشياء وأنه يحيي الموتى أي إنما أحيا النطفة والأرض الميتة وأنه على كل شيء قدير لأن قدرته
لذاته الذي نسبته إلى الكل على السواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها وأن الساعة آتية لا ريب فيها فإن التغير

من مقدمات لا تنصرف وطلايعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتأكيد
ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال ولا وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري
ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه
ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال
وانه من حيث مؤداه كالغرض له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات
او ارادة القول اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد
ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة
انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام
فاتى النبي عليه السلام فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع
على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا يدعو لمن ضره اقرب بكونه معبودا لانه يوجب القتل
في الدنيا والعذاب في الآخرة من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام متعلقة ليدعو مكررا لا دال من مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر
ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك
لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك
ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غيظا او المبالغ
جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في
دفع نصره او تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه
منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك
الانزال انزلناه انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا
ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم على المبطل
او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله
ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب
فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع
بين الساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان
تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه اي حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب او ان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده

وقرئ

وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة
هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا اي تجادلوا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في
ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد
ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة قطعت لهم قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير
في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم فتذاب به احشاؤهم كما تذاب جلودهم
والجملة حال من حميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما
ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج
وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال
المؤمنين وتعظيما لشأنهم يحلون فيها من حليت المرأة اذا البستها الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة
وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا
على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وروى حفص بهمزتين وقرئ لؤلوا بقلب الثانية واوا
ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء ولِيليا بقلبهما يائين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة
او للمحافظة على هيئات الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد
المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به
حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منه كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف
دل عليه آخر الآية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على سبيل الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد
المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر دار السجن فيها من غير نكير
وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع
وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم
بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب
لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي اذكر اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه وقيل رفع البيت الى السماء
وانطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود
ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهير بيتي
من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلاة بأركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت
وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه

من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله عليه السلام أمر بذلك في حجة الوداع يأتوك
رجالاً مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر وركباناً على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر
فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ
معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لأن المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة
ويذكروا اسم الله عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لأن ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيهاً على أنه المقصود مما يتقرب به إلى الله
في أيام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل أيام النحر على ما رزقهم من بهيمة الأنعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضاً على التقرب وتنبيهاً على مقتضى الذكر
فكلوا منها أمر بذلك إباحة وإزاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو ندباً إلى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب
وأطعموا البائس الذي أصابه بؤس أي شدة الفقير المحتاج والأمر فيه للوجوب وقيل به في الأول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشوارب والأظفار
ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا
طواف الركن الذي به تمام التحلل فإنه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس أو المعتوق من تسلط
الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وأما الحجاج فإنما قصد إخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف أي الأمر ذلك وهو وأمثاله
يطلق للفصل بين الكلامين ومن يعظم حرمات الله أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه أو الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر
الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثواباً وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم إلا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله
فلا تحرموا منها غير ما حرم الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الأوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها
والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور وكأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك رداً لما كانت الكفرة
عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الأوثان والافتراء على الله بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي أنه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الإشراك
بالله ثلاثاً وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الإفك من الأفك وهو الصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له
غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر فتخطفه الطير فإن الأهواء المردية توزع أفكاره
وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء أو تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة وأو للتخيير كما في قوله أو كصيب أو للتنويع فإن
من المشركين من لا خلاص له أصلاً ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس
بعده الهالكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها أن يختارها حساناً سماناً
غالية الأثمان روي أنه عليه السلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فإنها من تقوى القلوب
فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع إلى أجل مسمى
ثم محلها إلى البيت العتيق أي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى أن تنحر ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت أي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت
والتراخي في الرتبة أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها وهو على الأولين متصل بحديث الأنعام والضمير فيه لها والمراد على الأول
لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية إلى البيت الذي ترفع إليه الأعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثاني
لكم فيها منافع التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة ولكل أمة ولكل أهل دين جعلنا منسكاً

متعبداً

متعبداً أو قرباناً يتقربون به إلى الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيهاً
على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعماً فإلهكم إله واحد فله أسلموا
أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك وبشر المخبتين المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لإشراق
جلاله عليها والصابرين على ما أصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي الصلاة في أوقاتها وقرئ والمقيمين الصلاة على الأصل ومما رزقناهم ينفقون
في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة وأصله الضم وقد قرئ به وإنما سميت به الإبل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها
في أجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعاً بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه
جعله مبتدأ من شعائر الله من أعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله
إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك صواف قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لأن
البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافناً بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف وصوافي أي خوالص لوجه الله وصوافي على لغة من يسكن الياء
مطلقاً كقولهم أعط القوس باريها فإذا وجبت جنوبها سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت فكلوا منها وأطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة
ويؤيده أنه قرئ القنع أو السائل من قنعت إليه قنوعاً إذا خضعت له في السؤال والمعتر المعترض بالسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك
مثل ما وصفنا من نحرها قياماً سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون إنعامنا عليكم
بالتقرب والإخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء ولكن يناله
التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمر الله والتقرب إليه والإخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها
قربة فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيراً للنعمة وتعليلاً له بقوله لتكبروا الله أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء
وقيل هو التكبير عند الذبح والتضمينه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه إن الله يدافع عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع
أي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه إن الله لا يحب كل خوان في أمانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب إلى الأصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم أذن
رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر
وحفص بفتح التاء أي للذين يقاتلهم المشركون بأنهم ظلموا بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب
ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت وهي أول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وإن الله
على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم الذين أخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به إلا أن يقولوا ربنا الله على طريقة
قول النابغة ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين
لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرئ دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع وبيع النصارى وصلوات
وكنائس اليهود وسميت بها لأنها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيراً صفة للأربع أو لمساجد خصت بها
تفضيلاً ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم
وديارهم إن الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين
أخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الأمور فإن مرجعها إلى حكمه

وفيه تأكيد لما وعده وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبرهيم وقوم لوط وأصحاب مدين تسلية له بأن قومه إن كذبوه فهو ليس
بأوحدي في التكذيب فإن هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول لأن قومه بنو إسرائيل ولم يكذبوه وإنما كذبه القبط
ولأن تكذيبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع فأمليت للكافرين فأمهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم أخذتهم فكيف كان نكير إنكاري عليهم بتغيير النعمة
محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكأين من قرية أهلكناها بإهلاك أهلها وقرأ البصري بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة أي أهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة
حيطانها على سقوفها بأن تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا
بخاوية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر أي هي خالية وهي على عروشها أي مطلة عليها بأن سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على أهلكناها
لا على وهي ظالمة فإنها حال والإهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها إن نصبت كأين بمقدر يفسره أهلكناها وإن رفعتها بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية
أي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرئ بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي
أن معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا
قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله وعطلهما أفلم يسيروا في الأرض حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وإن كانوا قد سافروا فلم يسافروا
لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال أو آذان يسمعون بها ما يجب أن يسمع من الوحي
والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فإنها لا تعمى الأبصار الضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار وفي تعمى راجع إليه والظاهر أقيم مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
عن الاعتبار أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى
الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن كان في هذه أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت
ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وإن
يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال أو لتمادي عذابه وطول أيامه حقيقة أو من حيث أن أيام الشدائد
مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء وكأين من قرية وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب ورجع الضمائر والأحكام مبالغة
في التعميم والتهويل وإنما عطف الأولى بالفاء وهذه بالواو لأن الأولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة
وأن تأخيره لعادته تعالى أمليت لها كما أمهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم أخذتها بالعذاب وإلي المصير وإلى حكمي مرجع الجميع قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين
أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار على الإنذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لأن صدر الكلام ومساقه للمشركين وإنما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد والإبطال معاجزين
مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا سابقه فسبقه لأن كلا من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحوق به وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو معجزين على أنه حال مقدرة أولئك أصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله
بشريعة مجددة يدعو الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى ولذلك شبه النبي عليه السلام علماء أمته بهم
فالنبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول
من جمع إلى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام إلا إذا تمنى
زور في نفسه ما يهواه ألقى الشيطان في أمنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وإنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله

ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون إليه والإرشاد إلى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة
والله عليم بأحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه واستمر به ذلك حتى كان
في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا إلى أن قال تلك الغرانيق العلى وإن
شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية
وهو مردود عند المحققين وإن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل
وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي عليه السلام وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق على القرآن
ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنه أيضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم ليجعل ما يلقي الشيطان
علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وإن الظالمين
يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك
أن القرآن هو الحق النازل من عند الله أو تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق الصادر من الله لأنه مما جرت عادته في جنس الإنس من لدن آدم فيؤمنوا به بالقرآن
أو بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وإن الله لهادي الذين آمنوا فيما أشكل إلى صراط مستقيم وهو نظر صحيح يوصلهم إلى ما هو الحق فيه
ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القرآن أو الرسول أو مما ألقى الشيطان في أمنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها حتى تأتيهم الساعة
القيامة أو أشراطها أو الموت بغتة فجأة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه
فيصرن كالعقم أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما
لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة فيه أو يوم القيمة على أن المراد بالساعة غيره أو على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله
التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية أي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على
أن إثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وأن عقاب الكافرين مسبب عن أعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في العذاب والذين هاجروا في سبيل الله
ثم قتلوا في الجهاد أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وإنما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف أنفه في الوعد لاستوائهما في القصد
وأصل العمل روي أن بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فنزلت
وإن الله لهو خير الرازقين فإنه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وإن الله لعليم بأحوالهم وأحوال معاديهم حليم
لا يعاجل في العقوبة ذلك الأمر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج
أو لأنه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة إلى العقوبة لينصرنه الله لا محالة إن الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام وأعرض عما ندب الله إليه
بقوله ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فإنه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك
أولى وتنبيه على أنه قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده ذلك أي ذلك النصر بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
بسبب أن الله قادر على تغليب بعض الأمور على بعض جار عادته على المداولة بين الأشياء المتعاندة ومن ذلك إيلاج أحد الملوين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص منه
أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وإن الله سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب بصير يرى أفعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف

بكمال القدرة والعلم بأن الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه
عالما بذاته وبما عداه أو الثابت الالهية ولا يصلح لها إلا من كان قادرا عالما بذاته وأن ما يدعون من دونه آلها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء
على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فإنه في معنى الآلهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته أو باطل الالوهية وأن الله هو العلي
على الأشياء الكبير عن أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الأرض مخضرة
عطفا على أنزل إذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك ألم تر أني جئتك فتكرمني والمقصود إثباته وإنما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء
أثر المطر زمانا بعد زمان إن الله لطيف يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا وإن الله
لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما أو على اسم أن
وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بأمره حال منها أو خبر ويمسك السماء أن تقع على الأرض من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صور متداعية
إلى الاستمساك إلا بإذنه إلا بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها
إن الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار وهو الذي أحياكم بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا
ثم يميتكم إذا جاء أجلكم ثم يحييكم في الآخرة إن الإنسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل أمة أهل دين جعلنا منسكا متعبدا أو شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم
ناسكوه فلا ينازعنك سائر أرباب الملل في الأمر في أمر الدين أو النسائك لأنهم بين جهال وأهل عناد أو لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول
عن الالتفات إلى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم فإنها إنما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء أو عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا إنما يجوز
في أفعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته
على دينه على أنه من نازعته فنزعته إذا غلبته وادع إلى ربك إلى توحيده وعبادته إنك لعلى هدى مستقيم طريق إلى الحق سوي وإن جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة
فقل الله أعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة
كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض فلا يخفى عليه شيء إن ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه
قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له إن ذلك إن الإحاطة به وإثباته في اللوح أو الحكم بينكم على الله يسير لأن علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات
على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله وما للظالمين وما للذين
ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم وإذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الإلهية
تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الإنكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللإشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو
ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل أفأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم
من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار أي هو النار كأنه جواب سائل قال ما هو ويجوز أن يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر
بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما إذا وقعت خبرا أو حالا منها وبئس المصير النار يا أيها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة أو قصة رائعة ولذلك سماها مثلا أو جعل للمشركين
مثل أي شبه في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل أو لشأنه استماع تدبر وتفكر إن الذين تدعون من دون الله يعني الأصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ مبنيا للمفعول
والراجع إلى الموصول محذوف على الأولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مجتمعين لها متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه جهلهم غاية التجهيل بأن أشركوا إلها قدر على المقدورات كلها وتفرد بإيجاد الموجودات بأسرها تماثيل هي أعجز الأشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها

ولو

ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل
الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده أو الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب والصنم
والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه فلو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه
مناسبة إن الله لقوي على خلق الممكنات بأسرها عزيز لا يغالبه شيء وآلهتهم التي يدعونها عجزة عن أقلها مقهورة من أذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بين
بينه وبين الأنبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم إلى الحق ويبلغون إليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه غيره في صفاتها
أن له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل بإجابتهم والاقتداء بهم إلى عبادة الله سبحانه وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم
ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك إن الله سميع بصير مدرك للأشياء كلها يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها
وإلى الله ترجع الأمور وإليه مرجع الأمور كلها لأنه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا
في صلاتكم أمرهم بهما لأنهم ما كانوا يفعلونهما أول الإسلام أو صلوا وعبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به
وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق لعلكم تفلحون أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون
الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله
أي لله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام أنه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر حق جهاده
أي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد إلى الضمير اتساعا أو لأنه مختص بالله من حيث إنه مفعول
لوجه الله ومن أجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي إليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج أي ضيق بتكليف
ما يشتد القيام به عليكم إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه أو إلى الرخصة في إغفال بعض ما أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام إذا أمرتكم بشيء
فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا بأن رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والأروش
في حقوق العباد ملة أبيكم إبراهيم منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف أي وسع دينكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم أو على الإغراء
أو الاختصاص وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله عليه السلام وهو كالأب لأمته من حيث إنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة
أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القرآن والضمير لله ويدل عليه
أنه قرئ الله سماكم أو لإبراهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وإن لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا
بيان تسميته إياكم المسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع
وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل إليهم فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف
واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي أموركم فنعم المولى ونعم النصير هو إذ لا مثل له
في الولاية والنصرة بل لا ناصر ولا مولى سواه في الحقيقة عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة

سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون قد فازوا بأمانيهم
وقد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه وتدل على ثباته إذا دخل الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش
عن نافع قد افلح بإلقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على لغة أكلوني البراغيث أو على الإبهام والتفسير وقرئ أفلح اجتزاء بالضمة عن الواو وأفلح على البناء

للمفعول الذين هم في صلاتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء
فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه عليه السلام رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل
معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام
الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك
بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة واحسانه الزكوة
على المعنى العيني والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه والثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ على عنان فرسي وحال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج
او التسري او تعلق باحفظ اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى
الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى
وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق والخلق
راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالتباس او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون
يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان
الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا
دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى
وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه
اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او بمن بيانية او بمعنى سلالة
لانها في معنى مسلولة فيكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم عليه السلام خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار
وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير
على تأويل الجوهر المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة
بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما
انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس
عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ثم انشأناه خلقا آخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به
ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا
فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصايرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ لمايتون
ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة
او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها
حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه

فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله
وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشأنا لكم به
جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون
معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس
وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة
وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس و
ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق
بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال
اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت
بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل
او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين
معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه
الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف
فان اللبن يكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها واشعارها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام
فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها
فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
سوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ
افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه
لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا
الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما لفرط عنادهم او لانهم كانوا
في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعد ما ايس من ايمانهم
رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا ان تخطئ فيه
او يفسده عليك مفسد ووحينا امرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور
فاركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود
فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلكه غيره قال الله تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ
حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين اثنين تأكيد واهلك واهل بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله باهلاك الكفرة وانما جيء
بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم

والمعاصي ومن شأنه ان لا يشفع له ولا يشفع فيه وقد افرده بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرأ ابو بكر
منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي
هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار
وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا
فيهم رسولا منهم هو صالح او هود وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا ولعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام
الرسول بخلاف كلام قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم
ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد
الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جواب للشرط وجواب
للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به
لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع
اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون اي بعد ما توعدون
واللام للبيان كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد فقال لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح
منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حيوتنا الدنيا اصله ان الحيوة
الا حيوتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حيوة
الا هذه الحيوة لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين
بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من انه رسول وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم
بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة
صيحة جبرئيل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله تعالى
كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين
يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر
موضع ضميرهم للتعليل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق
وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ
ابو عمرو وابن كثير بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال
الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع
احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد

وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها
ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي عليه السلام
الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا
كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء
على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى
في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك
غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون
كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان
التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا
ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس
فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من الارض
منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون
وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا
ويكون ابتداء الكلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات
او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل
الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع
عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر
بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في الاعتقاد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة
على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم جعلوه اديانا مختلفة
او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده
القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا
او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق
فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون
انما نمدهم ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم به من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره
نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم
لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل

ان يكون فيها ضمير المقدر به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة
والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ
يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه
او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية
الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق
او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقونها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف
الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة
ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب
يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام
المحترقة اذا هم يجأرون فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول
اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم او لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم
يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة
استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث
بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح
اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القرآن او تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة
افلم يدبروا القول اي القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن
من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال
العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر
امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا
بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه
او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة الحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره
في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم والارض
وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات
وهو على اصل المعتزلة بل أتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم
فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير
لسعته ودوامه ففيه استغناء لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم

فيكون

فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيريته وانك
لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل في هذه الآيات بان حصر اقسام
ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط السوي لناكبون لعادلون
عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم
في افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله عليه السلام فقال
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من
عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من القتل والاسر اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل
خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك
من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة
للتأكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار
ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون رد النسبة الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الآخر افلا تعقلون بالنظر
والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال
الاولون آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا
لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك
وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا
مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما
بعده على ما تقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية
ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل أتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون
حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل احد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع
بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب
واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني
ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتأكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما
لهضم النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبره ان له في امته نقمة ولم يطلعه

علي قوتها قادرة بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجوار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا
نؤخره علما بان بعضهم وبعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل يوم بدر او فتح مكة
ادفع بالتي هي احسن السيئة وهي الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر
بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف
حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس
على المعاصي بهمز الرائض الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون ويحوموا حولي في شيء
من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال ان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما
اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من ان يزله الشيطان عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع
على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي
لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما
الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها
مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي
عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو
به وبكسر الصاد وتؤيد ان الصور ايضا جمع صورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد
واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار
لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل
من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان
وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا
شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين
عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب
اذا زجرته فخسأ ولا تكلمون في رفع العذاب ولا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون
ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا ارجعون فيجابون
اخسؤا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشأن وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون
ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرأ نافع وحمزة والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما الياء
وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم

تضحكون

تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ
حمزة وابن كثير والكسائي بالكسر استئنافا قال اي الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم
في الارض احياء وامواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصار لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها
كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسئل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها
فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة
فانهم يقولون ما نقول والعادين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة حمزة والكسائي قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون
تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنعبدكم
ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء
وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان ما عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو
فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكريم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ
بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها
على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجازله مقدار ما يستحقه
انه لا يفلح الكافرون ان الشأن وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين
ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح
والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى
ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح سورة النور مدنية وهي ثنتان

سورة

او اربع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا
لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض
عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني
اي فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام
بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب
يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص من ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم
وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا
وله في العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام اليهوديين
ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده
فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان

التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحد أو اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني
لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك إذ الغالب أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء
فإن المشاكلة علة الألفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة أن يقال والزانية لا تنكح إلا من زان أو مشرك لكن المراد بيان أحوال الرجال
في الرغبة فيهن لأن الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم
ذلك على المؤمنين لأنه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة
وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها أي لا يحمل على التنزيه بل على حقيقة الحرمة أي الحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه أو منسوخ بقوله وأنكحوا
الأيامى منكم فإنه يتناول المسافحات ويؤيده أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء ويؤول
إلى نهي الزاني عن الزنا إلا بزانية والزانية أن يزني بها إلا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالإحصان وذكرهن عقيب
الزواني واعتبار أربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن
والإحصان هاهنا بالحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والأنثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أو لأن قذف النساء أغلب وأشنع
ولا يشترط اجتماع الشهود عند الأداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لأبي حنيفة وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله لذلك نقص عدده
ولا تقبلوا لهم شهادة أي شهادة كانت لأنه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لأبي حنيفة فإن الأمر بالجلد والنهي
سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده أبدا ما لم يتب وعند أبي حنيفة إلى آخر عمره وأولئك هم الفاسقون
المحكوم بفسقهم إلا الذين تابوا عن القذف من بعد ذلك وأصلحوا أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع إلى أصل الحكم وهو
اقتضاء الشرط لهذه الأمور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لأن من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل إلى النهي ومحله
الجر على البدل من هم في لهم وقيل إلى الأخيرة ومحله النصب لأنه عن موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فإن الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون أزواجهم
ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم نزلت في هلال بن أمية رأى رجلا على فراشه وأنفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على أن إلا بمعنى غير فشهادة أحدهم أربع شهادات
فالواجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة أحدهم وأربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لأنها أقرب
وقيل بشهادة لتقدمها إنه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنه باللام تأكيدا والخامسة والشهادة الخامسة
أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين في الرمي هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام
المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولد إن تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله ويدرأ عنها العذاب أي الحد أن تشهد
أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر أو بالعطف على أن تشهد
ونصبها حفص عطفا على أربع وقرأ نافع ويعقوب أن لعنة الله وأن غضب الله بتخفيف النون فيهما ورفع ما بعده وكسر الضاد من غضب ورفع الجلالة
والباقون بتشديد النون ونصب ما بعده وفتح الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم أي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة
إن الذين جاءوا بالإفك أبلغ ما يكون من الكذب من الإفك وهو الصرف لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك على عائشة وذلك أنه عليه السلام استصحبها في بعض
الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها
أنها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وساروا فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثم أحدا فجلست كي يرجع إليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج

فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله
بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر إن وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستأنف والخطاب للرسول وأبي بكر
وعائشة وصفوان والهاء للإفك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل
الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرأ
يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله عليه السلام أو هو وحسان ومسطح فإنهما شايعاه بالتصريح
والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعمى أشل اليدين ومسطح مكفوف البصر
لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة
مبالغة في التوبيخ وإشعارا بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم وإنما جاز الفصل بين لولا
وفعله بالظرف لأنه منزل منزلته من حيث إنه لا ينفك عنه ولذلك يتسع في غيره وذلك لأن ذكر الظرف أهم فإن التخصيص على أن لا يخلوا بأوله وقالوا
هذا إفك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا
لكونه كذبا فإن ما لا حجة عليه كذب عند الله أي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره
والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما أفضتم فيه خضتم فيه
عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد إذ ظرف لمسكم أو أفضتم تلقونه بألسنتكم يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ
تتلقونه على الأصل وتلقونه من لقيه إذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب
وتثقفونه من ثقفته إذا طلبته فوجدته وتقفونه أي تتبعونه وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي تقولون كلاما مختصا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب لأنه
ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة
آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الإفك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا
ما ينبغي وما يصح لنا أن نتكلم بهذا يجوز أن تكون الإشارة إلى القول المخصوص وأن تكون إلى نوعه فإن قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة
ابنة الصديق حرمة رسول الله سبحانك تعجب ممن يقول ذلك وأصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من أن يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب
أو تنزيه لله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه
فإن حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله أن تعودوا لمثله كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا أبدا ما دمتم أحياء مكلفين إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان
يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالأحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز
الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها إن الذين يحبون يريدون أن تشيع أن تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير
إلى غير ذلك والله يعلم ما في الضمائر وأنتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة ولولا فضل الله
عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وأن الله رءوف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب
وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان بإشاعة الفاحشة وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكون الطاء
وقرئ بفتح الطاء ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته

بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من أحد أبدا آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها
والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الألية أو ولا يقصر من الألو ويؤيد الأول أنه قرئ ولا يتأل وأنه نزل في أبي بكر وقد حلف
أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين أولو الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرفه أن يؤتوا
على أن لا يؤتوا أو في أن يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد أي ناسا جامعين لها لأن الكلام
فيمن كان كذلك أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالإغماض عنه ألا تحبون أن يغفر الله لكم على
عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه روي أنه عليه السلام قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب ورجع
مسطح نفقته إن الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن أبي
لعنوا في الدنيا والآخرة كما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف أزواج النبي عليه السلام ولذلك
قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في إفك عائشة يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لأنه موصوف
وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بإنطاق الله تعالى إياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها
وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الأمر أن الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر ألوهيته
لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه أو ذو الحق المبين أي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك أهل الطيب فيكون كالدليل على قوله أولئك
يعني أهل بيت النبي أو الرسول عليه السلام وعائشة وصفوان مبرءون مما يقولون إذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الأقوال
والإشارة إلى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين أي مبرءون مما يقولون فيهم أو للخبيثين والخبيثات أي مبرءون من أن يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم
يعني الجنة ولقد برأ الله أربعة بأربعة برأ يوسف بشاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بإنطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات
مع هذه المبالغة وما ذلك إلا لإظهار منصب الرسول عليه السلام وإعلاء منزلته يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فإن الآجر والمعير
أيضا لا يدخلان إلا بإذن حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يراد
دخوله أو يؤذن له أو من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن استأنس أو تتعرفوا هل ثم إنسان من الإنس
وتسلموا على أهلها بأن تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عليه السلام التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو من تحية الجاهلية كان الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته
قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي أن رجلا قال للنبي عليه السلام أأستأذن على أمي قال نعم قال إنها ليس لها خادم
غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة
أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم فإن لم تجدوا فيها أحدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فإن المانع من الدخول ليس الاطلاع على
العورات فقط بل على ما يخفيه الناس عادة مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور واستثنى ما إذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها وإن
قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو أزكى لكم الرجوع أطهر لكم عما لا يخلو الإلحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة أو أنفع لدينكم ودنياكم والله
بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والحانات والحوانيت فيها متاع
استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون

وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أي عما يحرم ويحفظوا فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم
ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك أزكى لهم أنفع لهم
وأطهر لما فيه من البعد عن الريبة إن الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه إجالة أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا
على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر أو التحفظ
من الزنا وتقديم الغض لأن النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والأصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى له إلا ما ظهر منها عند مزاولة
الأشياء كالثياب والخاتم فإن في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان
لأنها ليست بعورة والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة
وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لأعناقهن ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له إلا لبعولتهن فإنهم
المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج بكره أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن
أو بني أخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن
إلى ما يبدو عند المهنة والخدمة وإنما لم يذكر الأعمام والأخوال لأنهم في معنى الإخوان أو لأن الأحوط أن يتسترن عنهم حذرا أن يصفوهن لأبنائهم
أو نسائهن يعني المؤمنات فإن الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال أو النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف أو ما ملكت أيمانهن يعم الإماء والعبيد
لما روي أنه عليه السلام أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام
إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك وقيل المراد بها الإماء وعبد المرأة كالأجنبي أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أي أولي الحاجة إلى النساء
وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من أمور النساء وقرأ ابن عامر
وأبو بكر غير بالنصب على الحال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور
بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات
خلخال فإن ذلك يورث ميلا في الرجال وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون إذ لا يكاد
يخلو أحدكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه
كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون وفي الزخرف يا أيه الساحر وفي الرحمن أيه الثقلان بضم الهاء في الوصل والباقون
بفتحها ووقف أبو عمرو والكسائي عليهن بالألف ووقف الباقون بغير الألف وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم لما نهى عما عسى يفضي إلى
السفاح المخل بالنسب المقتضي للألفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية إلى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه أمر بالنكاح الحافظ له والخطاب للأولياء
والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها وإشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان به إذ لو استبدا لما وجب على الولي
والمولى والأيامى مقلوب أيايم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان أو أنثى بكرا كان أو ثيبا قال فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم وتخصيص
الصالحين لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى أن يمنع
من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح أو وعد من الله تعالى بالإغناء لقوله عليه السلام اطلبوا
الغنى في هذه الآية لكن مشروطة بالمشيئة لقوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء والله واسع ذو سعة لا ينفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته

عليم يبسط الرزق ويقدر بما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان
التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب
على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض يكون فيه منجما بنجوم تضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان
او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن
الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل
ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر عند الاكثر
فلا يلزم من عدمه عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر
ويكفي اقل ما يتمول وعن علي يحط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم
من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم
امائكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكى بعضهن الى رسول الله فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط
للاكراه فانه لا يوجد بدونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن
من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف
ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره
القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي وحفص في الموضعين هنا وفي الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام
والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يعني ما وعظ
به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور في الاصل كيفية تدركها
الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير
مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة
والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود
كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له
في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودة والمعدومة وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب
والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك
سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور
الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشأن واضافته الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره
كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة الغير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة
في قنديل من الزجاج الزجاجة كأنها كوكب دري مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او يدفع

بعضها لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة مباركة
زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها
وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد وتوقد
بحذف التاء لاجتماع الزيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة
فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما
فتحرقها او في مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا كما في الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار
لتلألؤه وفرط وبيصه ولو لم تمسسه نار نور على نور نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكوة لاشعته
وقد ذكر في معنى التمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف
بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف
والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نيط بها
المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي
تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة
بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة
والزيت فان الحساسة كالمشكوة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول
صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية
والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة المثمرة الزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن
اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تضيء بالمعارف
من غير تفكر وتعلم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس
الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس
فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها
العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيئته
لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد
ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت الله او بيوقد اي يوقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه
فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة
ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في البيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها
وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه
يسبح له فيها بالغدو والآصال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ

والايصال هو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وابو بكر يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما دل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لان الجمع
ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد
المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه
الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب
والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة
وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم
من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة
الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله تعالى يجدونها لاغية مخيبة
في العاقبة كسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه
كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء
او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفيه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب
عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان
اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب
وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشيه
يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات
بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها في رواية البزي اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يريها لم يقرب ان يراها
فضلا ان يراها كقوله • اذا غير النأي المحبين لم يكد • رسيس الهوى من حب مية يبرح • والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا
ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال
ان الله يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض من تغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة
حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة
اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل اي كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه
اختيارا وطبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير
دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال
من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه
بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل
كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول

اي ينزل مبتدأ بها من السماء من جبال فيها من برد ويجوز ان تكون من الثانية والثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد
كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع
وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد
سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله
فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة
وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمهما للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد
من الضد وقد ذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك
ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالته على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى البصيرة
والله خلق كل دابة يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ
من الحيوانات ما لا يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين
كالطير والانس ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير
عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات
والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل
والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول
نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عليه السلام وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه
الى الرسول واطعنا اي واطعناهما ثم يتولى فريق منهم بالامتناع عن قبول حكمه من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم
فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بالسنتهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق سلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين
الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي عليه السلام فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله
لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي
ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او المذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم
مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون
اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل
لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول
المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي
بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه او في الفرائض
والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما يبقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو بكر وابو عمرو وخلاد بخلاف عنه ويتقه باسكان الهاء
وقالون وهشام بخلاف عنه باختلاس كسرتها والباقون باشباعها وحفص باسكان القاف واختلاس كسرة الهاء فشبه تقه بكتف فخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق

فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية
قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين الكاذبة والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة
وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا
فانما عليه على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به
وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول وللامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض
ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم
كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤا
كسروا الالف وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف
منهم وكان رسول الله عليه السلام واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على
العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة بالاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم
بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضي للاستخلاف
لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون
الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر ما امركم به
ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه
لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرأ
ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد والمعنى كما هو في القراءة بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى لا تحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين
مفعوليه او لا يحسبنهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث ومأويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كأنه
قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأويهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا
ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الآيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد
على الاعراض عنها والمراد به الرجال والنساء غلب فيه الرجال وروي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله عليه السلام
مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا
هذه الساعات عليها الا باذن ثم انطلق معه الى النبي عليه السلام فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا
من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم
اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبرا لمحذوف اي هي من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين
ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اي هي ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدا وخبره ما بعده واصل العورة
الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي ثلث بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك
الاستيذان وهذه المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها عورات طوافون عليكم بعضكم على بعض

اي يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون
الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء
العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب
والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج
التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب عنه شيء الا انه خص بكشف المرأة زينتها
ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرجوا
الى الغزو وخلفوهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا
كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام
وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل
فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت
امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم
وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم
ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانهم
يعتادون التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين
نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع
على الطعام لاختلاف الطعام في النزاهة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره
مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب الحيوة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب
طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى
فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه
فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة
والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم واعتباره
في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه والمنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله عليه السلام بغير اذنه
اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن
ليس كذلك فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راي الرسول واستدل به على
ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان

ولو لعذر فصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه
اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته
بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم
على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم
قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح
فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه
اذا صد عنه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة
في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على
بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما
اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ
والمجازات عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي عليه السلام من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن
كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء
ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق
والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس
للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت
مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول
الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد
مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع
ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده
حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم
ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا
ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك
كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق قوله
انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليهم وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين
ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب
ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض

لانه

لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك
لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام
كما نأكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل
عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش او تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له
بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون
الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال
النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى
تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوه لكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل
الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابوبكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون
استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك
لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى
نارهما اي لا تتقاربان بحيث يكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا
صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة
فترى تتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب
فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها كعرض السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك
في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون هلاكا وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان
عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور
قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول
محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع جزاء
على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم
لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر هممهم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات
لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب
او مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف
في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب و
حفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل

ومعبوديهم وتغليب الأصنام تحقيرا أو اعتبارا لغلبة عبادها أو تخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب والأصنام ينطقها الله أو تتكلم بلسان الحال كما
قيل في كلام الأيدي والأرجل فيقول أي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل لإخلالهم بالنظر الصحيح
وإعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة وأصله أضللتم أم ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه
لأنه لا شبهة فيه وإلا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون أو جمادات لا تقدر على شيء أو إشعارا
بأنهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم إضلال عبيده أو تنزيها لله عن الأنداد وما كان ينبغي لنا ما يصح لنا أن نتخذ من دونك من أولياء للعصمة أو لعدم القدرة
فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله واتخذ الله إبراهيم خليلا ومفعوله الثاني من أولياء ومن للتبعيض
وعلى الأول مزيدة لتأكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال
إليهم من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا إليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف
به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات إلى العبدة بالاحتجاج والإلزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون
بما تقولون في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا والباء بمعنى في أو مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما تستطيعون
أي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم أيها
نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وإن عم كل من كفر أو فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعا وبالعفو عندنا
وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق أي إلا رسلا إنهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه كقوله
وما منا إلا له مقام معلوم ويجوز أن تكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقرئ يمشون أي يمشيهم حوائجهم أو الناس
وجعلنا بعضكم لبعض أيها الناس فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل إليهم ومناصبتهم لهم العداوة وإيذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله على ما قالوه
بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر أتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا أو حث على الصبر على
ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر أو بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث أو لا يخافون لقاءنا بالشر
على لغة تهامة وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء ومنه الرؤية فإنه وصول إلى المرئي والمراد به الوصول إلى جزائه ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول لولا أنزل علينا الملائكة
فيخبرونا بصدق محمد وقيل يكونون رسلا إلينا أو نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في أنفسهم أي في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق للأفراد من الأنبياء
الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتهم وما هو أعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها
واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن وإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة
جساس أبأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت أو العذاب ويوم نصب باذكر أو بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فإنه بمعنى يمنعون
البشرى أو يعدمونها ويومئذ تكرير أو خبر وللمجرمين تبيين أو خبر ثان أو ظرف لما يتعلق به اللام أو لبشرى إن قدرت منونة غير مبنية مع لا فإنها لا تعمل وللمجرمين إما عام
يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر وإما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم
وإشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول أي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله أن يمنع لقاءهم
وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه أو يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة أو البشرى وقرئ حجرا بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص
غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجور للتأكيد كقولهم موت مائت وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أي عمدنا إلى ما عملوا في كفرهم

من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم وإغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم
إلى أسبابهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته
وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتثاره بحيث لا يمكن نظمه أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون نحوها أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر كقوله
كونوا قردة خاسئين أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتحادث وأحسن مقيلا مكانا يؤوى إليه للاسترواح بالأزواج والتمتع
بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه أو لأنه لا يخلو من ذلك غالبا إذ لا نوم في الجنة وفي أحسن رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصورة وغيره من التحاسين
ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمنة والتفضيل إما لإرادة الزيادة مطلقا أو بالإضافة
إلى ما للمترفين في الدنيا روي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ويوم تشقق السماء أصله تتشقق فحذف التاء
وأدغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وأنزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن
الثابت له لأن كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى إلا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته أو تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لأنه متأخر أو صفته والخبر يومئذ أو للرحمن
وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة
لأنها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه السلام فدعاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان
أبي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه
وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله وطعن أبيا
بأحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا إلى النجاة أو طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة
يا ويلتي وقرئ بالياء على الأصل ليتني لم أتخذ فلانا خليلا يعني من أضله وفلان كناية عن الأعلام كما أن هنا كناية عن الأجناس لقد أضلني عن الذكر عن ذكر الله
أو كتابه أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة بعد إذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل أو إبليس لأنه حمله على مخالته ومخالفة الرسول
أو كل من تشيطن من جن وإنس للإنسان خذولا يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد يومئذ أو في الدنيا
إلى الله تعالى يا رب إن قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا بأن تركوه وصدوا عنه وعنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه
جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه أو هجروا ولغوا فيه إذا سمعوه أو زعموا أنه هجر وأساطير الأولين فيكون أصله
مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على أنه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا إلى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن أي أنزل عليه كخبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لأن الإعجاز
لا يختلف بنزوله جملة أو متفرقا مع أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك أي كذلك أنزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه
وفهمه لأن حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أميا وكانوا يكتبون فلو ألقي إليه جملة لتعيى بحفظه ولعله لم يستتب له فإن التلقف لا يتأتى
إلا شيئا فشيئا ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولأنه إذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه
ولأنه إذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية فإنه يعين على البلاغة

وكذلك صفة مصدر محذوف والإشارة إلى إنزاله مفرقا فإنه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا
والإشارة إلى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين وأصل
الترتيل في الأسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك إلا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه وأحسن تفسيرا
وبما هو أحسن بيانا أو معنى من سؤالهم أو لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو أحسن كشفا لما بعثت له
الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أي مقلوبين أو مسحوبين إليها أو متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم إليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة
أصناف صنف على الدواب وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره أولئك شر مكانا وأضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول
على طريقة قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل إن حاملهم على هذه الأسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا
أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل إنه متصل بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه أخاه هارون وزيرا يوازره في الدعوة وإعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لأن المتشاركين في الأمر متوازرون عليه فقلنا اذهبا إلى القوم
الذين كذبوا بآياتنا يعني فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا أي فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو إلزام الحجة
ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل
كذبوا نوحا ومن قبله أو نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل أو بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا إغراقهم أو قصتهم
للناس آية عبرة وأعتدنا للظالمين عذابا أليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمود عطف على هم في جعلناهم
أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة وأصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم
حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود وقيل
بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم
الذي يقال له فتخ أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فأصابتها صاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا وقيل
قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسوه في بئر وقرونا وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك إشارة إلى ما ذكر كثيرا
لا يعلمها إلا الله وكلا ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذارا وإعذارا فلما أصروا أهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه
التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا كأنذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ ولقد أتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم إلى الشام
على القرية التي أمطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة أفلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار
عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون نشورا
كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب أو لا يخافونه على اللغة التهامية وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ما يتخذونك إلا موضع هزؤ أو مهزوا به أهذا الذي بعث الله
رسولا محكي بعد قول مضمر والإشارة للاستحقار وإخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي
زعم أنه بعثه الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق إلى الذهن أنها حجج ومعجزات
لولا أن صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا
كالجواب لقولهم إن كاد ليضلنا فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن أمهلهم أرأيت من اتخذ إلهه هواه بأن أطاعه وبنى عليه دينه

لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وإنما قدم المفعول الثاني للعناية به أفأنت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الأول
للتقرير والتعجيب والثاني للإنكار أم تحسب بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم
وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه إليه وتخصيص الأكثر لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا أو خوفا على الرئاسة إن هم إلا كالأنعام
في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم أضل سبيلا من الأنعام لأنها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن إليها
ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب عما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع
ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولأنها إن لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولأن جهالتها لا تضر بأحد
وجهالة هؤلاء تؤدي إلى تهييج الفتن وصد الناس عن الحق ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب
على تقصيرهم ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه أو ألم تنظر إلى الظل كيف مده ربك فغير النظم إشعارا بأن المعقول من هذا الكلام
لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه أو ألم
ينته علمك إلى أن ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر
البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الأجرام أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها ثم قبضناه إلينا أي أزلناه بإيقاع الشمس
موقعه لما عبر عن إحداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون
ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الأمور أو لتفاضل مبادئ أوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الأرض تحتها فألقت
عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا أي مسلطا عليه مستتبعا إياه كما يستتبع الدليل المدلول أو دليل الطريق من يهديه فإنه يتفاوت
بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا إلى أن ينتهي غاية نقصانه أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلة والمظل عليها
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة للأبدان بقطع المشاغل وأصل السبت القطع أو موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم
بالليل لأنه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش أو بعث من النوم بعث الأموات فيكون إشارة إلى أن النوم
واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي أرسل الرياح وقرأ ابن كثير على التوحيد إرادة للجنس نشرا
ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على أنه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر
بين يدي رحمته يعني قدام المطر وأنزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ ويتوقد به قال عليه السلام
التراب طهور المؤمن طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسل سبع مرات إحداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وإن غلب في المعنيين لكنه
قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به إشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل
طهوريته وتنبيها على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لأن البلدة في معنى البلد ولأنه غير جار
على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا يعني أهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الأنعام والأناسي
وتخصيصهم لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها
الشرب غالبا مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام قنية الإنسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها

ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم احياء الارض عليها فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا وقرئ اناسي بحذف يائه
وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم
في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه
الآية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا
الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط
او امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فتخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل
فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه
فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم
ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان
من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا
حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير
طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة
اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل
الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر
الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى
عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض
للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع
من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن
خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير
لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على
تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسأل به خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء
عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله فاسأل عنه من يخبرك من اهل
الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه

صلة

صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي
تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وهو قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض
وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب
السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار
وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة
لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا
وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن
مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد
كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير
بيننا وبينكم ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما في الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل اشق وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق خائفون وجلون
من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم
يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به يرتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما
يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم
والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر ولم يقتروا من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما
وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون
الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله
الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي
بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا
لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل
من يلق لانه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا
وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرئ ويخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا ونضعف له العذاب
ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا
رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة

فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التوابين ويصطنع بهم او فانه
يرجع الى الله او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة
فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب
والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ او القراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها
ولا مبصر بل اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم
عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رأيت منك اسدا وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص وذريتنا بالافراد وتنكير الاعين
لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق
للعمل وتوحيده اما للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق
كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون
والقراءة جاءوا وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة
ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا
ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته
بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء
يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب
الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير
ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخرها وهي مائتان وسبع
وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل
منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك
البخع ان يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة
ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين
منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم
وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف اكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا
لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين
الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم
عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة انباء ما كانوا به يستهزئون من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض

اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى فيما هو ويحتمل ان يكون مقيدة لما يتضمن الدلالة
على القدرة وان يكون مبينة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف
او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة وسابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام
وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر
باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له
ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على
الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضر في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث
على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف
ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه
وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة
حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب
عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته
المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار في امر الدعوة
وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف
على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون سامعون بما يجري بينكما وبينه
فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء
للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر وصف به
فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل
والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام
قال اي فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم
ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه
بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم
بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيئة او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها
اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه
اراد به التأديب او الناسين من قوله ان تضل احداهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته
ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي
ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي

في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب
بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة
كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه **قال فرعون وما رب العالمين** لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه
فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل **قال رب السموات والارض وما بينهما** عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار
بقوله **ان كنتم موقنين** اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك
المبدأ لا بد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه
الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته **قال لمن حوله الا تستمعون** جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله
او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر **قال ربكم ورب آبائكم الاولين** عدولا الى
ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل **قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون** اسأله عن شيء
ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية **قال رب المشرق والمغرب وما بينهما** تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي
قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات **ان كنتم تعقلون** ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم
خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم **قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين** عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به
على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه
استحق العبادة من اهله واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك
قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على
صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل **قال فأت به ان كنت من الصادقين** في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته **ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين** روي ان فرعون
لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق **قال للملأ حوله** مستقرين حوله فهو ظرف
وقع موقع الحال **ان هذا لساحر عليم** فائق في علم السحر **يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون** بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم
وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه **قالوا ارجه واخاه** اخر امرهما وقيل احبسهما **وابعث في المدائن حاشرين** شرطا يحشرون
السحرة **يأتوك بكل سحار عليم** يفضلون عليه في هذا الفن وامالها ابن عامر وابو عمرو والكسائي وقرئ بكل ساحر **فجمع السحرة لميقات يوم معلوم** لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت
الضحى من يوم الزينة **وقيل للناس هل انتم مجتمعون** فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا
عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا **لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين** لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم
الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى **فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين**
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا اذ على مقتضية للجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان **قال لهم موسى القوا**
ما انتم ملقون اي بعدما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق
فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر

فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف **ما يأفكون** ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى
او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة **فالقي السحرة ساجدين** لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزوير يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر
في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم كأنهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق
قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه
على ايديهما **قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر** فعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه
كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح أآمنتم بهمزتين **فلسوف تعلمون** وبال ما فعلتم وقوله **لاقطعن ايديكم وارجلكم**
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له **قالوا لا ضير** لا ضرر علينا في ذلك **انا الى ربنا منقلبون** بما توعدنا فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى
او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها **انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا** لان كنا **اول المؤمنين** من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة
في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريق المدل بامره نحو ان احسنت اليك فلا تنس حقي
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع
ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير **انكم متبعون** يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان
لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم **فارسل فرعون** حين اخبر
بسراهم **في المدائن حاشرين** العساكر ليتبعوهم **ان هؤلاء لشرذمة قليلون** على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده
اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل
وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا **وانا لجميع حاذرون** وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم
ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون
حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء
قال احب الصبي السوء من اجل امه ٭ وابغضه من بغضها وهو حادر ٭ او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم **فاخرجناهم** بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب
فحملتهم عليه **من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم** يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية **كذلك** مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي
كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبر المحذوف **واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين** داخلين في وقت شروق الشمس **فلما تراءى الجمعان** تقاربا بحيث
رأى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان **قال اصحاب موسى انا لمدركون** لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك
على ايديهم **قال كلا** لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم **ان معي ربي** بالحفظ والنصرة **سيهدين** طريق النجاة منهم روي ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى
فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع **فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر** القلزم او النيل **فانفلق**
اي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك **فكان كل فرق كالطود العظيم** كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب **وازلفنا**
وقربنا **ثم الآخرين** فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم **وانجينا موسى ومن معه اجمعين** بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا **ثم اغرقنا الآخرين** باطباقه
عليهم **ان في ذلك لآية** وآية آية **وما كان اكثرهم مؤمنين** وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **وان ربك لهو العزيز** المنتقم من اعدائه **الرحيم** باوليائه **واتل عليهم** على مشركي العرب **نبأ ابراهيم اذ قال لابيه**

وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا وافتخارا ونظل ههنا

بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة إذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم

أي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها أو ينفعونكم على عبادتكم لها أو يضرون من أعرض عنها قالوا بل وجدنا آباءنا

كذلك يفعلون أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجأوا إلى التقليد قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإن التقدم لا يدل على

الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فإنهم عدو لي لعابديهم وأعاديهم لو عبدتهم يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه

المغري لعباده أنهم أعداء وهم وهو الشيطان لكنه صور الأمر في نفسه تعريضا لهم فإنه أنفع في النصح من التصريح وإشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول

وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب إلا رب العالمين استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني

فهو يهدين لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار

مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ

وللعطف إن جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الأول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله

عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم وإذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين

لأنه من روادفهما من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض بإسناد الإماتة إليه

فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه إنما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص

من أنواع المحن والبلية ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر والصحة إنما تحصل باستحفاظ

اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك

هضما لنفسه وتعليما للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث

بل فعله كبيرهم وقوله هي أختي ضعيف لأنها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل أستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق وألحقني بالصالحين

ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره

إلى يوم الدين ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه أو صادقا من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه وهو محمد عليه السلام واجعلني من ورثة

جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لأبي بالهداية والتوفيق للإيمان إنه كان من الضالين طريق الحق وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه

أنه كان يخفي الإيمان تقية من نمرود ولذلك وعده به أو لأنه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث

أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون

الضمير للعباد لأنهم معلومون أو للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم أي لا ينفعان أحدا إلا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي

وسائر آفاته أو لا ينفعان إلا مال من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر وأرشد بنيه إلى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عبادا لله مطيعين شفعاء له

يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أي لا ينفع غنى إلا غناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه وأزلفت الجنة للمتقين

بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بأنهم محشورون إليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب

الوعد وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله أين آلهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم أو ينتصرون بدفعه عن أنفسهم لأنهم

وانهم

وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون أي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقي في النار ينكب مرة

بعد أخرى حتى يستقر في قعرها وجنود إبليس متبعوه من عصاة الثقلين أو شياطينه أجمعون تأكيد للجنود إن جعل مبتدأ خبره ما بعده وإلا فللضمير وما عطف

عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود إليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين على أن الله ينطق الأصنام فتخاصم العبدة ويؤيده

الخطاب في قوله إذ نسويكم برب العالمين أي في استحقاق العبادة ويجوز أن يكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة

والمعنى أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين من الملائكة والأنبياء

كما للمؤمنين ولا صديق حميم إذ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء أو وقعنا

في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولأن الصديق الواحد يسعى أكثر

مما يسعى الشفعاء أو لإطلاق الصديق على الجمع كالعدو لأنه في الأصل مصدر كالحنين والصهيل فلو أن لنا كرة تمن للرجعة وأقيم فيه لو مقام ليت

لتلاقيهما في معنى التقدير أو شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني أو عطف على كرة أي لو أن لنا أن نكر فنكون إن في ذلك فيما ذكر من قصة إبراهيم لآية

لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية

والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال إشفاقه عليهم وتصوير الأمر في نفسه وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وإيقاظا لهم

ليكون أدعى لهم إلى الاستماع والقبول وما كان أكثرهم أكثر قومه مؤمنين به وإن ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالإمهال لكي يؤمنوا هم

أو أحد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح لأنه

كان منهم ألا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره إني لكم رسول أمين مشهور بالأمانة فيكم فاتقوا الله وأطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله وما أسألكم عليه

على ما أنا عليه من الدعاء والنصح من أجر إن أجري إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد منهما على وجوب طاعته

طاعته فيما يدعوهم إليه فكيف إذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص بفتح الياء في أجري في الكلمات الخمس قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون

الأقلون جاها ومالا جمع الأرذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام

الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وإيمانهم بما يدعوهم إليه ودليلا على بطلانه وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وإنما هو لتوقع

مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون إنهم عملوه إخلاصا أو طمعا في طعمة وما علي إلا اعتبار الظاهر إن حسابهم إلا على ربي ما حسابهم على بواطنهم إلا على الله فإنه

المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما أنا بطارد المؤمنين جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف إيمانهم عليه

حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله إن أنا إلا نذير مبين كالعلة له أي ما أنا إلا رجل مبعوث لإنذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا أعزاء أو أذلاء فكيف يليق بي

طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء أو ما علي إلا إنذاركم إنذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علي أن أطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين

من المشتومين أو المضروبين بالحجارة قال رب إن قومي كذبون إظهار لما يدعو عليهم لأجله وهو تكذيب الحق لا لتخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم

من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم أو شؤم عملهم فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم أغرقنا بعد بعد إنجائه الباقين من قومه إن في ذلك لآية شاعت

وتواترت وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين أنثه باعتبار القبيلة وهو في الأصل اسم أبيهم إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول

أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب

المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه وأن الأنبياء متفقون على ذلك وإن اختلفوا في بعض التفاريع مبرؤون عن المطامع الدنية والأغراض الدنيوية أتبنون بكل ريع بكل مكان

مرتفع ومنه ريع الأرض لارتفاعها آية علماً للمارة تعبثون ببنائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها أو بروج الحمام أو بنياناً يجتمعون إليها للعبث
بمن يمر عليهم أو قصوراً يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها وإذا بطشتم بسوط أو سيف بطشتم جبارين
متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الأشياء وأطيعون فيما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون كرر
مرتباً على إمداد الله إياهم بما يعرفونه من أنواع النعم تعليلاً وتنبيهاً على الوعد عليه بدوام الإمداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول
عليها إجمالاً بالإنكار في ألا تتقون مبالغة في الإيقاظ والحث على التقوى فقال أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ثم أوعدهم فقال إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا
والآخرة فإنه كما قدر على الإنعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فإنا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة
في قلة اعتدادهم بوعظه إن هذا إلا خلق الأولين ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين وما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وحمزة وعاصم
خلق بضمتين أي ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه
من الحيوة والموت إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فأهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين
أتتركون في ما هاهنا آمنين إنكار لأن يتركوا كذلك أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إياهم وأسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين
للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع إناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لأن
المراد بها غيرها من الأشجار وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين بطرين أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين
وهو أبلغ فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الأمر أو نسب حكم الآمر إلى أمره مجازاً الذين يفسدون في الأرض وصف موضح
لإسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا إنما أنت من المسحرين الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقولهم أو من ذوي السحر وهي الرئة أي من الأناسي
أي المراد أنه بشر فيكون ما أنت إلا بشر مثلنا تأكيداً له فأت بآية إن كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة أي بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب
نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم
عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب فعقروها أسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولذلك أخذوا جميعاً فأصبحوا نادمين على عقرها
خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فأخذهم العذاب أي العذاب الموعود إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم
في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وأن قريشاً إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال
لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين أتأتون من بين
من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم فالمراد بالعالمين على الأول كل من ينكح
وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لأجل استمتاعكم من أزواجكم للبيان إن أريد به جنس الإناث أو للتبعيض إن أريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضاً بأنهم
كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضاً بل أنتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوان أو مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك أو أحقاء بأن
توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه أو عن نهينا وتقبيح أمرنا لتكونن من المخرجين المنفيين من بين أظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه
على عنف وسوء حال قال إني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا أقف على الإنكار عليه بالإبعاد وهو أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال لدلالته على أنه معدود
في زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم رب نجني وأهلي مما يعملون أي من شؤمه وعذابه فنجيناه وأهله أجمعين أهل بيته والمتبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم

إلا عجوزاً هي امرأة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب إذ أصابها حجر في الطريق فأهلكها لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت
في القرية فإنها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين أهلكناهم وأمطرنا عليهم مطراً قيل أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس
حتى يصح وقوع المضاف إليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب
أصحاب الأيكة المرسلين الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد الغيضة التي بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيباً كما بعث إلى مدين وكان أجنبياً
منهم فلذلك قال إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم شعيب وقيل الأيكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر
ليكة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وإنما كتب هاهنا وفي ص بغير ألف اتباعاً للفظ إني لكم رسول
أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل أتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف
وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو إن كان عربياً فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير العين وإلا ففعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس
أشياءهم ولا تنقصوا أشياءهم من حقوقهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين وذوي الجبلة
الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه
وإن نظنك لمن الكاذبين في دعواك فأسقط علينا كسفاً من السماء قطعة ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين إن كنت
من الصادقين في دعواك قال ربي أعلم بما تعملون وبعذابه منزل عليكم ما أوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا
بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله عليه السلام وتهديداً للمكذبين به واطراد نزول العذاب
على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاتهم به يدفع أن يقال إنه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وإنه
لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك تقرير لحقيقة تلك القصص وتنبيه على إعجاز القرآن ونبوة محمد عليه السلام فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون
إلا وحياً من الله عز وجل والقلب إن أراد به الروح فذاك وإن أراد به العضو فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما
من التعلق ثم تتصعد منه إلى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الأمين جبريل فإنه أمين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح والأمين
لتكون من المنذرين عما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز أن يتعلق بالمنذرين
أي لتكون ممن أنذروا بلغة العرب وهو هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام وإنه لفي زبر الأولين وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة أولم يكن لهم آية
على صحة القرآن أو نبوة محمد عليه السلام أن يعلمه علماء بني إسرائيل أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلاً وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها الاسم
والخبر لهم وأن يعلمه بدل أو الفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال أو أن الاسم ضمير القصة وآية خبر أن يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الأعجمين كما هو زيادة في إعجازه
أو بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والأعجمين جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة
كذلك سلكناه أدخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على أنه بخلق الله وقيل للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه
ثم لم يؤمنوا به عناداً لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم الملجئ إلى الإيمان فيأتيهم بغتة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون بإتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسراً وتأسفاً
أفبعذابنا يستعجلون فيقولون أمطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم
ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون أنذروا أهلها إلزاماً للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة

او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين
فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعمت المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصح ان يتنزلوا به وما يستطيعون
وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة
ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص
ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه
فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض
الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك
فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر
فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك
الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام
والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد وصفه بان من شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه
انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين
ان محمدا عليه السلام لا يصح ان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد عليه السلام
على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب
تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها الواقع كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد عليه السلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة
لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون
السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم
لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون
لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهال وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه
والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون وكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس
كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء
على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس
معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد
البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاهما ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون
من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الشعراء كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلام

سورة النمل مكية وهي ثلاث او اربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين الاشارة الى آي السورة والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو
كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه
على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان
من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة
والزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كأنه
قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين
لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم زين اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون
عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة
واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان
الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال
موسى لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته
لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه
الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر
بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها
نودي ان بورك اي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه
دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة
المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا
تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام
وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله
وانما انه جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية
الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني
الا انه كرر ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كأنها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع
من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون
حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم
استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون من الله مغفرة ورحمة
وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف
لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد

والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الآخرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان يهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على شرف العلم وعلو اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك هاهنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل يأكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين

بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير او ليأتينني بنونين الاولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبإ وقرأ ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة وفي رواية قنبل بهمزة ساكنة بنبإ يقين بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحس الماء تحت الارض فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا عرضا وسمكا او عرضا وطولا من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح اعمالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا فصدهم لئلا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله الا يا اسلمي يا دار مي على البلى وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض وصفه بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ويعلم ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت من الكاذبين اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعدما القي اليها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استئناف كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي الكتاب او العنوان من سليمان وانه اي المكتوب او المضمون بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا الكلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس فيه الامر بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملأ افتوني في امري اجيبوني في امري الفتيا واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظري ماذا تأمرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية

بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم ثم إن الحرب سجال لا يدرى عاقبتها وجعلوا أعزة أهلها أذلة بنهب أموالهم
وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسر وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله عز وجل وإني
مرسلة إليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه للمصالحة والمعنى إني مرسلة رسلا بهدية أدفعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى أعمل بحسب ذلك روي أنها
بعثت منذر بن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان
والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت إليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال
طلب الحق وأخبر بما فيه فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها
فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان أي الرسول أو ما أهدت إليه وقرئ فلما جاؤا قال أتمدونن بمال خطاب
للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالإدغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه
خير مما آتاكم فلا حاجة إلى هديتكم ولا وقع لها عندي بل أنتم بهديتكم تفرحون لأنكم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى إليكم حبا لزيادة أموالكم أو بما تهدونه
افتخارا على أمثالكم والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليهم وتعليله إلى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع أيها الرسول إليهم
إلى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبأ أذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون
أسراء مهانون قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بأن
ينظر أتعرفه أم تنكره قبل أن يأتوني مسلمين فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذه إلا برضاها قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه
وكان اسمه ذكوان أو صخرا أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار وإني عليه على حمله لقوي أمين لا أختزل منه شيئا ولا أبدله قال
الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله به أو سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه
والخطاب في أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد إظهار معجزة في نقله فتحداهم أولا ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت
الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الأجفان للنظر فوضع موضعه لما كان يوصف
بإرسال الطرف كما في قوله وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر ووصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى أنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن ترده
أحضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الإسراع ومثل فيه فلما رآه أي العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي
تفضل به علي من غير استحقاق والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام في إمكان مثله قد مر في آية الإسراء ليبلوني أأشكر
بأن أراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة وأقوم بحقه أم أكفر بأن أجد نفسي في البين أو أقصر في أداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء ومن شكر فإنما يشكر لنفسه
لأنه يستجلب بها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فإن ربي غني عن شكره كريم بالإنعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها
بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الأمر وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفته أو الجواب الصواب وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله إذا رأت تقدم عرشها
وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها إذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كأنه هو ولم تقل هو
لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تمام كلامها كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلم
بالله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة مما تقدم من الآيات وقيل إنه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوزت
أن يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا وإحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر إلا على الأنبياء أي وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها

وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله أي وصدها عبادتها
الشمس عن التقدم إلى الإسلام أو صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للإيمان إنها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الإبدال من فاعل صد على الأول أي صدها
نشوؤها بين أظهر الكفار أو التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي أن سليمان أمر قبل قدومها فبني
صحن من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير
برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق وأسؤق قال إنه إن ما تظنينه ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب إني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس وقيل بظني
بسليمان فإنها حسبت أنه يغرقها في اللجة وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما أمر به عباده وقد اختلف في أنه تزوجها أو زوجها من ذي تبع ملك همدان
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله بأن اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فإذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفرق والاختصام
فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقاب فإنهم كانوا
يقولون إن صدق إيعاده تبنا حينئذ قالوا اطيرنا بك تشاءمنا بك وبمن معك إذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم
عند الله وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده بل أنتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والإضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى
ذكر ما هو الداعي إليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة أنفس وإنما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو السبعة إلى العشرة والنفر
من الثلاثة إلى التسعة يفسدون في الأرض ولا يصلحون أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الإصلاح قالوا أي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله أمر مقول أو خبر وقع
بدلا أو حالا بإضمار قد لنبيتنه وأهله لنباغتن صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على أن تقاسموا خبر ثم لنقولن
فيه القراءات الثلاث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك أهله فضلا أن تولينا إهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فإن مفعلا قد جاء
مصدرا كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدرا وإنا لصادقون ونحلف إنا لصادقون أو والحال إنا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا أو لأنا
ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بأن جعلناها سببا لإهلاكهم وهم لا يشعرون
بذلك روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه
فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة كما أشار إليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم
أجمعين وكان إن جعلت ناقصة فخبرها كيف وأنا دمرناهم استئناف أو خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وإن جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب
بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن إذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم إذا سقط
وهي حال عمل فيها معنى الإشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم إن في ذلك لآية لقوم يعلمون فيتعظون وأنجينا الذين آمنوا صالحا
ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه إذ قال لقومه بدل على الأول
وظرف على الثاني أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح أو يبصرها بعضكم من بعض لأنهم كانوا
يعلنون بها فيكون أفحش أئنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لإتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر
من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل أنتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في
معنى المخاطب فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقذار ويعدون فعلنا قذرا فأنجيناه وأهله
إلا امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

امر رسوله عليه السلام بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظمة شانه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام
على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلما بما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم
على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه راسا حتى يوازن
بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ امن
بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان
الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق
وهو الاحاطة أإله مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل اتدعون او اتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج
الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث
يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين
العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر
الذي احوجه شدة ما به الى اللجأ الى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء
عن الانسان ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم أإله مع الله الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون
اي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم والحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وهشام بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال
امن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء
للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة
وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون
الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدأ الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب
وارضية أإله مع الله يفعل ذلك قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو
بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او
ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان
يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم
بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في امر لا يجد عليه
بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث
لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة
لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك
وادرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ اادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وبلى اادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار
وما فيه بلى فلاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون

وقال

وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه أإنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة
من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر
والكسائي انا لمخرجون بنونين على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث أخر فالمقصود به
ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين
والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان
اي من ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد
او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما
يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة
وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من
كننت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من صفات الغائبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى
كالتاء في عافية وعاقبة الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته
ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره
انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من متابعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم في هذه الحالة ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية
لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله
واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم
وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه عليه السلام سئل من اين تخرج فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم
وروي انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه
ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها
لقول الله او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض
لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر
قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف
اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا
فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فهم لا ينطقون باعتذار
لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة
قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل

أسباب جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فإن أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالا من أحواله المجعول عليها
بحيث لا ينفك عنها إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الأمور الثلاثة ويوم ينفخ في الصور في الصور أو القرن وقيل إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث
الجيش إذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الأرض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه إلا من شاء الله أن لا يفزع بأن يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل
وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لأنه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل أتوه حاضرون الموقف بعد النفخة
الثانية أو راجعون إلى أمره وقرأ حمزة وحفص أتوه على الفعل وقرئ أتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر
مر السحاب في السرعة وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله
الذي أتقن كل شيء أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي إنه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها إذ ثبت له
بالخسيس الباقي بالفاني وسبعمائة بواحد وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء
وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما يرى من الأهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ
الكوفيون من فزع يومئذ بالتنوين وفتح نافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالأيدي
في قوله ولا تلقوا بأيديكم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون على الالتفات أو بإضمار القول أي قيل لهم ذلك إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها أمر الرسول
بأن يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيمة إشعارا بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد إلا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه
وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التي حرمها وله كل شيء خلقا وملكا وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين أو الثابتين على ملة الإسلام وأن أتلو
القرآن وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئا فشيئا أو اتباعه وقرئ واتل عليهم وأن اتل فمن اهتدى باتباعه إياي في ذلك فإنما يهتدي لنفسه فإن منافعه
عائدة إليه ومن ضل بمخالفتي فقل إنما أنا من المنذرين فلا علي من وبال ضلاله شيء إذ ما على الرسول إلا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة أو على ما علمني ووفقني
للعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الأرض أو في الآخرة فتعرفونها فتعرفون أنها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون
فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم وقرئ في السبعة بالياء وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود
وصالح وإبراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

سورة القصص مكية وقيل إلا قوله الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله لا نبتغي الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك نقرؤه بقراءة جبريل ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازا من نبإ موسى وفرعون بعض نبئهما
بالحق محقين لقوم يؤمنون لأنهم المنتفعون به إن فرعون علا في الأرض استئناف مبين لذلك البعض والأرض أرض مصر وجعل أهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد
أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل أو أحزابا بأن أغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل
والجملة حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لأن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك
على يده وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب فما وجهه إنه كان من المفسدين فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الأنبياء لتخيل فاسد
ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض أن نتفضل عليهم بإنقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على إن فرعون علا من حيث إنهما واقعان تفسيرا
للنبإ أو حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز أن يكون تعلق الإرادة به تعلقا استقباليا مع أن منة الله بخلاصهم لما
كانت قريبة الوقوع منه جاز أن يجرى مجرى المقارن ونجعلهم أئمة مقدمين في أمر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الأرض أرض مصر
والشام وأصل التمكين أن تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط وإطلاق الأمر ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني إسرائيل ما كانوا يحذرون

من ذهاب ملكهم على يد مولود منهم وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع وأوحينا إلى أم موسى بإلهام أو رؤيا أن أرضعيه ما أمكنك
إخفاؤه فإذا خفت عليه بأن يحس به فألقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه إنا رادوه إليك عن قريب بحيث
تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين روي أنها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني إسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الأرض هالها
نور بين عينيه فارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فأرضعته ثلاثة أشهر ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في
تفحصها فأخذت له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم إياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل
عليه وقرأ حمزة والكسائي حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفا لأجله ثم أخذوه
يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون أو مذنبين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم على أيديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ
خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين من الخطو أي خاطين الصواب إلى الخطإ وقالت امرأت فرعون أي لفرعون حين أخرجته من التابوت قرت عين لي ولك هو قرة
عين لنا لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه أو لأنه كانت لها ابنة برصاء وعالجها الأطباء بريق حيوان بحري يشبه الإنسان فلطخت برصها بريقه فبرأت
وفي الحديث أنه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى أن ينفعنا فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع
وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه إبهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه أو نتخذه ولدا أو نتبناه فإنه أهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له
أي وهم لا يشعرون أنهم على الخطإ في التقاطه أو في طمع النفع منه والتبني له أو من أحد ضميري نتخذه على أن الضمير للناس أي وهم لا يشعرون أنه لغيرنا وقد تبنيناه
وأصبح فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وأفئدتهم هواء أي خلاء لا عقول فيها ويؤيده أنه
قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر أو من الهم لفرط وثوقها بوعد الله أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي به إنها كادت لتظهر بموسى
أي بأمره وقصته من فرط الضجرة أو الفرح بتبنيه لولا أن ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله أو من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون
وعطفه وقرئ مؤسى إجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لأخته مريم
قصيه اتبعي أثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون أنها تقص أو أنها أخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه
أن يرتضع من المرضعات جمع مرضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصها أثره فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم لأجلكم
وهم له ناصحون لا يقصرون في إرضاعه وتربيته روي أن هامان لما سمعه قال إنها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها
فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني
امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها فرجعت به إلى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه إلى أمه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه
ولتعلم أن وعد الله حق علم مشاهدة ولكن أكثرهم لا يعلمون أن وعده حق فيرتابون أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض
بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ أشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة فإن العقل يكمل حينئذ وروي أنه لم يبعث نبي
إلا على رأس الأربعين واستوى قده أو عقله آتيناه حكما نبوة وعلما بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة
لأن استنباءه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه نجزي المحسنين على إحسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف أو حابين
أو عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من أهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
وهذا من عدوه أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والإشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه

بالاغاثة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه
ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطا وانما عده من عمل الشيطان
واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور
لعباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي
اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة
خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر
فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي وكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض تتطاول على الناس ولا تنظر
العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه
ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة
لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب
سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له
ثلث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة
مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء لئلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان
قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاء
يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال والاكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى
ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي اي لاي شيء انزلت الي من خير قليل او كثير وحمله الاكثر على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما
انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما تمشي على استحياء اي مستحيية متخفرة قيل كانت
الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفراء وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا ليكافئك اجر سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك
برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من
ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احداهما
يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل شائع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما
وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه
قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث
باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا عملت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على اجرة معينة
وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك وما اريد ان اشق عليك

العشر والمناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رأيك في مزاولته
ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه
ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا تعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب على الثماني او فلا اكون معتديا
عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله تنظرت نصرا
والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان
والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم
على الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كان
في رأسه نار او لم يكن قال باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال القى على قبس من النار جذوة شديدا عليها جمرها والتهابها ولذلك بينه
بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة
المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف
ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة
ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في
جيبك تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما
في الجيب فيكون تكرير الغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة
من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس
برهانان من ربك حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم
برهن الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هارون هو افصح
مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء لما يتدفأ به وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة
اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني
بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة
العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا بآياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون
اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي
فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمته ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا
بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير
واو لانه قال ذلك جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد
بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء

انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده
اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى
كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل
على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية
فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم
الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور
وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الاخذ واستحقار للماخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم
في كف فطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك
عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار
الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون
ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط
بصائر للناس انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون
ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون
المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي لذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشأنا قرونا
فتطاول عليهم العمر اي لكنا اوحينا اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف
المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم تقرؤه عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة
وقرئ بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل
على ان دعوة موسى وعيسى مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيب بها بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء
المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة
بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فلما جاءهم
الحق يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى
من قبل يعني ابناء جنسهم في الراي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون موسى وهرون او موسى ومحمد تظاهرا تعاونا باظهار تلك
الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام
وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل على موسى وعلى اضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين

موسى ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلفان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك
دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء
غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه
استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون
فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام
والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في به واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله انه الحق من ربنا استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استئناف للدلالة
على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته
في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده
او على ما اوذوا من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية كقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك
لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب
فانه لما احتضر جاءه رسول الله عليه السلام وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي عليه السلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف
ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي يتناحر
العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة
الاصنام فكيف يعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه
متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات
لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم
كحالكم في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى الا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم
او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض
او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليها او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى
حتى يبعث في امها في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكونون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون
بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه
خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة
افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية
كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب

في الزمان والرتبة وقرأ نافع في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم

عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين

حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء الذين

اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا

ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه

من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية

متصلة بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا

يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول

فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة

ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت

الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون

لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين

عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترجي من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير

كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل

المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصول

مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار

وتعالى عما يشركون عن اشراكهم ومشاركة ما يشركونه وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة

لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله

الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالنشور قل ارأيتم

ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله

غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارأيتم ان جعل الله عليكم

النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله

لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون

لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون

ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به

او الاول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه

فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون فعلموا حينئذ ان الحق في الالهية لله لا يشركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون

من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان

يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة

وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياسه

المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعتصبوا

واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا

لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في سرور

تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتيكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف

الدنيا وابتغ فيما آتيك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا

وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام

ولا تبغ الفساد في الارض بامر يكون علة للظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي فضلت به على الناس

واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة

وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك

من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ

التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم

المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك

بان بين انه لم يكن مطلعا بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان

وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة فيها يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون

تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى

ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى

المثوبة او للجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض

روي انه كان يؤذي موسى كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل

ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنا غير محصن جلدناه ومن زنا محصنا رجمناه فقال قارون

ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك

بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى كعبيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه

الى عنقه ثم قال خذيه فخسف به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي وجلالي

لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة اعوان ينتقمون له

من الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه

بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب
القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما أشبه الامر أن الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وأن وتقديره ويك اعلم أنه
لولا أن منّ الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله
او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كأنه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما أراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله تعالى من جاء بالحسنة
فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون
اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه
لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة ردّه اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بان العاقبة للمتقين
وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه نزلت قل ربي اعلم
من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير
للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معاد كما القي اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه
ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم
ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصد وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم
ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته
معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي عليه السلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك
في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام
بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك يقتضي مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه
للتأديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس
والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود
في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله
فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى
وليميزن وليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات
الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيه
لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله في الجنة
المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله

فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء
كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على
مشاق الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم
ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائهما فعلا ذا حسن او كأنه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي قلنا له احسن بوالديه
حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو يوافق ما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا
وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بالاهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما
في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام
كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى
انبياء الله والمرسلين او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم
في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فأشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف
ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين
فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا
انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم
بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال
انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيمة سؤال
تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد البعث اذ روي انه
بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه
ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله وتثبيته على ما كان يكابد من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة
فأخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف باحاطة كثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه
من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون بها
وابرهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله
وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير
مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها
عند الله وتعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف
وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه

لا يجدي بطائل وهو رزق فاحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يرزقوا شيئا وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه
واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا
فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ
الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شأن النبي
وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول عليه السلام والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان
ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة وغيرها وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان
الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر
من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما السلام فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس
والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح
باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس عكسه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له
بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة كالرآفة في الرأفة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته
لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون
تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء
او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم مما
يطرق من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها
يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او يئسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم
وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار
في النار فانجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير
لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا
لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا
المودة بينكم وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف
او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئ مرفوعة منونة ومضافة
بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرأ ابن مسعود انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم
الا وثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط وهو ابن اخته واول من آمن به
آمن حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي
من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين

عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه
اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه آخر الدهر
وانه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة
في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف
لمفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون
للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم في مجالسكم الجامعة
ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح وعدم مبالاة بها وقيل الخذف والرمي بالبنادق فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم
المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى
بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم
باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم
عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم جاءته المساءة والغم بسببهم
مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه
بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما رأوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امرأتك
كانت من الغابرين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار
فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا
اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها آية بينة هي حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة
الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او بينة
والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف
ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم
ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب
وثمود غير مصروف على تأويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم
الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا
ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى
بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم

كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم إذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك أوهن فإن لهذا حقيقة وانتفاعا ما ومثلهم بالإضافة إلى الموحد كمثله بالإضافة إلى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعكاب وعكبة وأعكب وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت أوهن وأقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون إلى علم لعلموا أن هذا مثلهم وأن دينهم أوهن من ذلك ويجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى أن أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على إضمار القول أي قل للكفرة إن الله يعلم وقرأ عاصم وأبو عمرو ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين أو نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون أو مصدرية وشيء مصدر أو موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الأولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فإن من فرط الغباوة إشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه وإن الجماد بالإضافة إلى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية كالمعدوم وإن من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الأمثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من أفهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها إلا العالمون الذين يتدبرون الأشياء على ما ينبغي وعنه عليه السلام أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والأرض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فإن المقصود بالذات من خلقها إفاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار إليه بقوله إن في ذلك لآية للمؤمنين لأنهم المنتفعون بها اتل ما أوحي إليك من الكتاب تقربا إلى الله بقراءته وتحفظا لألفاظه واستكشافا لمعانيه فإن القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بأن تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روي أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله عليه السلام الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب ولذكر الله أكبر والصلاة أكبر من سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف إذ لا مجادلة أشد منه وجوابه أنه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة أو بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم هو من المجادلة التي هي أحسن وعن النبي عليه السلام لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فإن قالوا باطلا لم تصدقوهم وإن قالوا حقا لم تكذبوهم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الإلهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام وأضرابه أو من تقدم عهد الرسول عليه السلام من أهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب أو أهل مكة أو ممن في عهد الرسول من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها إلا الكافرون إلا المتوغلون في الكفر فإن جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالإضافة إلى الرسول كما أشار إليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم الشريفة على أمي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي التجوز في الإسناد إذا لارتاب المبطلون أي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الأقدمين وإنما سماهم مبطلين لكفرهم أو لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الإعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون إبطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم يحفظونه لا يقدر أحد تحريفه وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون إلا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل إعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا أنزل عليه

آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل إنما الآيات عند الله ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه وإنما أنا نذير مبين ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات أولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات أو يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك إن في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الإيمان دون التعنت وقيل إن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات أو بتبليغي ما أرسلت به إليكم ونصحي ومقابلتكم إياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والأرض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم أولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء ولولا أجل مسمى لكل عذاب وقوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة بدر والآخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون بإتيانه يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أو هي كالمحيطة بهم الآن لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الإحاطة أو للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة أو مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت أرجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله أو بعض الملائكة بأمره وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون أي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون أي إذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد والفاء جواب شرط محذوف والمعنى إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم إلينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد له وقرأ أبو بكر بالياء والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم أي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لإجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على أذية المشركين والهجرة للدين إلى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون إلا على الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها وإياكم ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فإنهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم أهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود فأنى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على أن البسط والقبض على التعاقب وأن لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وإبهامه لأن من يشاء مبهم إن الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة أو على تصديقك وإظهار حجتك بل أكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بأنه المبدئ لكل ما عداه ثم إنهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحياة الدنيا إشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة إلا لهو ولعب إلا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لهي الحياة

الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او جعلت في انها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا
وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم
الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين
له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجيهم الى البر اذا هم
يشركون فاجؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام
وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون
اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا
اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل بعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله يؤمنون بالصنم او الشيطان وبنعمة الله يكفرون
حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق
يعني الرسول والكتاب لما جاءه في لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم
كقوله الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان
في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا
سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وان الله لمع المحسنين بالنصر والاعانة قال عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية الا فسبحان الله

سورة الروم

وهي ستون او تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في
ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون في بضع سنين
روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهو ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا
انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس
بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله
فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله بعد قفوله من احد وظهرت الروم
على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله عليه السلام فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب
واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمين
سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين
وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير
تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل
وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا
ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان

ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصود منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية
تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون
تقرير لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها
وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعار بانه لا فرق
بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او ولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها
ومرآة يتجلى فيها للمستبصر ما يتجلى له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق
متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام واجل مسمى تنتهي عنده ولا تبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى
او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج
المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم
من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع
العمارة وهم ضعفاء ملجؤون الى واد لا نفع له وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما تفعل الظلمة فيدمرهم
من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى
او الخصلة فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تأنيث الاسوأ كالحسنى او مصدر كالبشرى
نعت بها ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى وخبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان
عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام
والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب
على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة
في المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت
وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم
من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين ييأسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف
شفعؤا وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون
والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين
كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها
فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة

اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا
معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب والعشاء
وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت
اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه السلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية
وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ
حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة
او يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت
وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا
منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا
اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج
حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظاما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد كقوله ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم لغاتكم بان علم كل صنف
لغته والهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيأتها
والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في
ذلك لآيات للعالمين لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم
من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين
والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون
سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل
منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى
ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان ارائتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير المضاف
نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف بالاخافة والطمع بالاطماع كقوله فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد
فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته
ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة
والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره
ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج
الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما لتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي
لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له قانتون

منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى
قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل
الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه
او يدانيه في السموات والارض يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على
مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال
فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة
لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم ان تستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات
نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم
شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها
فأقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة على الدين والاهتمام به فطرة الله خلقته نصب على الاغراء
او المصدر بما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها
وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة
ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة
بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه
واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه
على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اصل دينها كل حزب بما لديهم
فرحون مسرور ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره
ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه
للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا
عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر
الذي بسببه يشركون في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم
اذا هم يقنطون فاجأوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا
في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج
الحنفية به على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي ولمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء
ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا
بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربوا في
اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم

من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة
واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به
الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع فيه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به
او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها
عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء
فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان
شيوع الحكم في جنسي الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي فكل منها مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة
الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى الجزائر بما كسبت ايدي الناس
بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل الفساد في البر قتل قابيل اخاه وفي البحر ان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه
فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او العاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم
او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد
وقوله من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون
فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف
في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون وليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار
بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك
ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح
الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي مع هبوبها
والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة
البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا
علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه السلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا
على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء
في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرا ابن عامر بالسكون على انه مخفف
او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء
الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال
لمبلسين لآيسين فانظر الى اثر رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها

وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان
في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت
وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا فراوا الاثر
او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون
جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر
السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم يياسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم
برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زرعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سد عن الحق
مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات
شيئا وقرا ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمي قلوبهم
وقرا حمزة وحده تهدي العمي ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تامرهم
الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف
قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى
لقول ابن عمر قراتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتاخر ليس عين المتقدم
يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وشبيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيمة سميت بها
لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث
وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة
او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله
في علمه وقضائه او فيما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه
ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرا
الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه
في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة
المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم
باية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار
دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك
وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ لا يستحقنك اي لا يزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية وقيل الا آية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان

وجوبها بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتها بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وانها اربع وثلثون آية

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر
بعد الخبر او الخبر المحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها
وتكرير الضمير للتأكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري
لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اريد بالحديث المنكر
وتبعيضية ان اريد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم
بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويشتري المغنيات ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه منه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة
كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ
السبيل نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها
كأن لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها
او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وذكر البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان
الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته
خلق السموات بغير عمد ترونها سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها
لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة
وكأنه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه
ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب
عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعوراء من اولاد
آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش الف سنة حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء
استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها
وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره
مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا
ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها
ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه
يا بني تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني باسكان الياء وقرأ حفص يا بني هنا وفي يا بني اقم الصلوة بفتح الياء والبزي في الآخر لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه
ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانه لا يزال يتضاعف ضعفها

في

في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة
وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال
في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك
على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا
معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم
بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصيناه
بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما
في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب الي ابو بكر فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة
كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه
كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف
يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من المحن سيما
في ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل
من قوله فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه
وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال
او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق الفواصل
واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق التماوت
وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه
ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير
دون الآحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير وسط
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالابدال وهو جار في كل
سين اجتمع مع الغين والخاء والقاف كصلخ وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم
مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب منير انزل الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وهو منع
صريح من التقليد في الاصول او لو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام
للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلم المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وعدي باللام
فقد تضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك
باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض

البار مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان زواله
بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم
لله ما في السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون
الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة
وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف والواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ
ويمده بالتاء والياء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم
لا يخرج عن علمه وحكمته امر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله عليه السلام او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد نزل التورية وفيها علم كل
شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امره اذا اراد
ان يقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى
ان الاجل ههنا منتهى الجري وثم غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة
وعجائب الصنع واختصاص الباري بها بان الله هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون من دونه الباطل المعدوم
ولا يوجد ولا يتصرف او الباطل الالهية وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع على كل شيء متسلط عليه الم تر ان الفلك
تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين
وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله ان في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الآفاق والانفس شكور يعرف النعم
ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل وسحاب وغيرهما وقرئ
جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم
على الطريق القصد الذي هو التوحيد او المتوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر
والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف
اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين
ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة
فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله عليه السلام فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي
في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه المقدر له
والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى تام ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم
على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه
فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك

واما

وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلته وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو لاحق
به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير
يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة

سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره
تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه فيكون من رب العلمين حالا من الضمير في فيه
لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتريه
فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك
بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود
من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضا الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي
يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء
الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ثم يعرج اليه يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان
هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف
لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب
والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه
خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته
مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل
نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سويه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى
نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه
او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد
خلقنا وقرأ نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده
كافرون جاحدون قل يتوفيكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته
ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم من الحياء والخزي
ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف
تقديره لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية

في هذا الوقت أو يقدر ما دل عليه صلته إذ والخطاب للرسول أو لكل واحد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح بالتوفيق
ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وذلك تصريح بعدم إيمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بأنهم
من أهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فإنه من الوسائط والأسباب
المقتضية له إنا نسيناكم تركناكم من الرحمة أو في العذاب ترك المنسي وفي استئنافه وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد
بما كنتم تعملون كرر الأمر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بأفعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر العاقبة والتفكر فيها دلالة على أن كلا
منهما يقتضي ذلك إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم
حامدين له شكرا على ما وفقهم للإسلام وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الإيمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش
ومواضع النوم يدعون ربهم داعين إياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي عليه السلام في تفسيرها قيام العبد في الليل وعنه عليه السلام إذا جمع الله الأولين
والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم
قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان أناس من الصحابة
يصلون من المغرب إلى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما أخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة أعين مما تقر به عيونهم
وعنه عليه السلام يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين وقرأ حمزة ويعقوب أخفي على أنه مضارع أخفيت وقرئ نخفي وأخفى والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة
وما موصولة أو استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون أي جزوا جزاء أو أخفي للجزاء فإن إخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم
أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الإيمان لا يستوون في الشرف والمثوبة لا يستوون تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى
فإنها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو على أعمالهم وأما الذين فسقوا فمأواهم
النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون إهانة لهم وزيادة
في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والأسر دون العذاب الأكبر عذاب الآخرة لعلهم يرجعون لعل من بقي منهم
يتوبون عن الكفر روي أن الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط
وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها إنا من المجرمين منتقمون فكيف
ممن كان أظلم من كل ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية في شك من لقائه من لقائك الكتاب كقوله وإنك لتلقى القرآن فإنا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه
فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه أو من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى عنه عليه السلام رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة
وجعلناه المنزل على موسى هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس إلى ما فيه من الحكم والأحكام بأمرنا إياهم به أو بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي
ورويس لما صبروا أي لصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا وكانوا بآياتنا يوقنون لإمعانهم فيها النظر إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيقضي فيميز الحق من
المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين أولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم أهلكنا من قبلهم من القرون أي كثرة
من أهلكناهم من القرون الماضية أو ضمير الله بدليل القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد إن في ذلك لآيات
أفلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز التي جرز نباتها أي قطع وأزيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن

تأكل منه من الزرع أنعامهم كالتبن والورق وأنفسهم كالحب والثمر أفلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر أو الفصل
بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا إن كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيامة فإنه يوم نصر المسلمين على الكفرة
والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فإنه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم
من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فإنهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال فأعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف
وانتظر النصرة عليهم إنهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم وأن الملائكة ينتظرونه وعن النبي عليه السلام من قرأ الم
تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

سورة الأحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به
الأمر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين أي فيما يعود بوهن في الدين روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي
قدموا عليه في الموادعة التي بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وندعك وربك
فنزلت إن الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى إليك من ربك كالنهي عن طاعتهم إن الله كان بما تعملون خبيرا
فموح إليك ما يصلحه ومغن عن الاستماع إلى الكفرة وقرأ أبو عمرو بالياء على أن الواو ضمير الكفرة والمنافقين أي إن الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله
وكل أمرك إلى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا إليه الأمور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أي ما جمع قلبين في جوف لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق
للنفس الإنساني أولا ومنبع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم وما جمع الزوجية والأمومة
في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر جميل بن أسد الفهري ذو القلبين
والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله ابن محمد أو المراد نفي الأمومة والبنوة عن المظاهر
عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد أصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لأدائه إلى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى
لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ أبو عمرو اللاي بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة فخففت
وعن الحجازيين مثله وعنهما ويعقوب بالهمزة وحده وأصل تظهرون تتظهرون فأدغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالإدغام وحمزة والكسائي
بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار أن يقول للزوجة أنت علي
كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لأنه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الإسلام يقتضي الطلاق
أو الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فإن ذكره يقارب ذكر الفرج أو للتغليظ في التحريم فإنهم
كانوا يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السماء والأدعياء جمع دعي على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم إشارة إلى كل ما ذكر أو إلى
الأخير قولكم بأفواهكم لا حقيقة له في الأعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم
انسبوهم إليهم وهو إفراد للمقصود من أقواله الحقة وقوله هو أقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط
بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فإن لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم إليهم فإخوانكم في الدين فهم إخوانكم في الدين ومواليكم وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي
ومولاي بهذا التأويل وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده على النسيان أو سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم
ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم أو ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم أن التبني لا عبرة به عندنا وعند أبي حنيفة يوجب

عتق مملوكه وينبت النسب لمجهوله الذي يمكن لحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم
بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ فيهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة
تبوك فامر الناس بالخروج فقال اناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية
ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات
النساء واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله
في اللوح او فيما انزل وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى
بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما تقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية
او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم
بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له
واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشأن او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة
الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا
عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين
او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة
والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا الصبا وجنودا لم تروها الملائكة روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة آلاف
والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب
في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء
فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم
من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب
الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن
فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة
تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون
فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد
ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا
الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم
ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم
بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار
اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا اي وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها

من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة
ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤوها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا
بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا
لمثله وكان عهد الله مسؤولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت
معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل
من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول
لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون
والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم
يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا كقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد
حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين
او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة اعينهم باعينه من الموت
من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان
اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها
اذ لم تثبت لهم اعمال فيبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي
لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو
حاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء
وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد وهو في نفسه قدوة يحسن التأسي به
كقولك في البيضة عشرون منا حديد اي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاءه
ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر يوم الله بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان
صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي
بالرسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله
عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله
ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسمين للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما
لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده
فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة
كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله عليه السلام يوم احد حتى اصيبت
يده فقال عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم

للنطق والتعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم أو المراد
التوفيق للتوبة إن الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الأحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان لا تداخل أو تعاقب
وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على إحداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وأنزل الذين ظاهروهم ظاهروا الأحزاب من أهل
الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لأنه
يتحصن بها وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روي أن جبريل أتى رسول الله صبيحة الليلة
التي انهزم فيها الأحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني
قريظة فحاصرهم إحدى وعشرين أو خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بن معاذ بقتل مقاتليهم
وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عليه السلام وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر منهم سبعمائة وأورثكم أرضهم مزارعهم وديارهم
حصونهم وأموالهم نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روي أنه عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال إنكم في منازلكم وقال عمر أما تخمس كما خمست
يوم بدر فقال لا إنما جعلت هذه لي طعمة وأرضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر
على ذلك يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين أمتعكن أعطكن المتعة وأسرحكن سراحا
جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بإرادتهن الدنيا وجعلها قسيما لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا اختارت زوجها
لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك وإحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه
من الكرم وحسن الخلق وقيل لأن الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة نفسها فإنه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها
وليس فيما نحن فيه ما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يستحقر
دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لأنهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة بكبيرة ظاهرة قبحها يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب
غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به
غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن
نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين مرة
على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله وأعتدنا لها رزقا كريما
في الجنة زيادة على أجرها يا نساء النبي لستن كأحد من النساء أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى
لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل إن اتقيتن مخالفة حكم الله ورضا رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات
فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على أنه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا
عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الأولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها إلى القاف فاستغني به عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم
بالفتح من قررت أقر وهو لغة فيه ويحتمل أن يكون من قار يقار إذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الأولى تبرجا مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية
القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه إبراهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية

الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق في الإسلام ويعضده قوله عليه السلام لأبي الدرداء
إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر أو إسلام قال جاهلية كفر وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله في سائر ما أمركن ونهاكن عنه إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم أهل البيت نصب على النداء أو المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس
للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي أنه عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط
مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حجة ضعيف لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضي أنهم أهل البيت لا أنه ليس غيرهم
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الأمرين وهو تذكير بما أنعم عليهن من حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي
وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به إن الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح
في الدين ولذلك خيركن ووعظكن أو يعلم من يصلح للنبوة ومن يصلح أن يكون أهل بيته إن المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله
والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب أن يصدق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل
والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين
والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم وألسنتهم أعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر
لأنهن مكفرات وأجرا عظيما على طاعتهم والآية وعد لهن ولأمثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي أن أزواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال
في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الإناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو
ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن إعداد المعد لهم للجمع بين
هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له إذا قضى الله ورسوله أمرا أي قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم أمره والإشعار بأن قضاءه قضاء الله لأنه نزل
في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله وقيل في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها
للنبي فزوجها من زيد أن يكون لهم الخيرة من أمرهم أن يختاروا من أمرهم شيئا بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير
الأول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث إنهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا
بين الانحراف عن الصواب وإذ تقول للذي أنعم الله عليه بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وأنعمت عليه بما وفقك الله وهو زيد بن حارثة
أمسك عليك زوجك زينب وذلك أنه عليه السلام أبصرها بعدما أنكحها إياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت
لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي عليه السلام وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال ما لك أرابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها
إلا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه
أن طلقها أو إرادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم إياك به والله أحق أن تخشاه إن كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الإخفاء وحده فإنه حسن
مخافة قالة الناس وإظهار ما ينافي إضماره فإن الأولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر إلى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له
حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى أنه أمر بتزويجها منه أو جعلها زوجته
بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي إن الله تولى إنكاحي وأنتن زوجكن أولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد

بين على فوائد ما كان لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد إلا ما خصه
الدليل وكان أمر الله أمره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له
في الديوان ومنه فروض العسكر لأرزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الأنبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم وكان أمر الله قدرا مقدورا
قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا أو مدح لهم منصوب أو مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله
تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف أو محاسبا فينبغي أن لا يخشى إلا منه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين
الوالد والولد من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه أبا للطاهر والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم
ولكن رسول الله وكل رسول أبو أمته لا مطلقا بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ
رسول الله بالرفع على أنه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر أي ولكن رسول الله من عرفتم أنه لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم
أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه أن يكون نبيا كما قال عليه السلام في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى
بعده لأنه إذا نزل كان على دينه مع أن المراد أنه آخر من نبي وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه يا أيها الذين آمنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الأوقات ويعم أنواع ما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة وأصيلا أول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما
بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين كإفراد التسبيح من جملة الأذكار لأنه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان إليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة
هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة
وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم
وهو سبب الرحمة من حيث إنهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حتى اعتنى بصلاح
أمرهم وإنافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبر
أو دخول الجنة سلام إخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وأعد لهم أجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم يا أيها النبي
إنا أرسلناك شاهدا على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله إلى الإقرار به وبتوحيده وما يجب
الإيمان به من صفاته بإذنه بتيسيره وأطلق له من حيث إنه من أسبابه وقيد به الدعوة إيذانا بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به
عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الأمم وعلى أجر أعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب
أحوال أمتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع أذاهم إيذاءهم إياك ولا تحتفل به أو إيذاءك إياهم مجازاة أو مؤاخذة على كفرهم
ولذلك قيل إنه منسوخ بآية السيف وتوكل على الله فإنه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا إليه الأمر في الأحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا
منها خطابا يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الأمر بالمراقبة لأن ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة
بأذاهم والداعي إلى الله تعالى بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فإن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بأن يكتفي به عن غيره يا أيها الذين آمنوا
إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي بالألف وضم التاء فما لكم عليهن من عدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن تعتدونها
تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله أو تعدونها والإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الأزواج كما أشعر به فمالكم
وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على إبدال إحدى الدالين بالتاء أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات

والحكم

والحكم عام للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيرا للنطفة وفائدة ثم إزاحة ما عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما يمكن الإصابة كما يؤثر في النسب
يؤثر في العدة فمتعوهن أي إن لم يكن مفروضا لها فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز أن يأول التمتيع بما يعمهما أو الأمر بالمشترك بين الوجوب
والندب فإن المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن أخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق
السني لأنه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن مهورهن لأن المهر أجر على البضع
وتقييد الإحلال له بإعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لإيثار الأفضل له كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك فإن المشتراة
لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل
تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت
من الطلقاء وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله أو عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بأن التي للاستقبال فإن المعنى بالإحلال
الإعلام بالحل أي أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا إن اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعا ميمونة بنت
الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح أي لأن وهبت أو مدة أن وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا إن أراد
النبي أن يستنكحها شرط للشرط الأول في استيجاب الحل فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها فإنها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب إلى الغيبة
بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع إليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين إيذان بأنه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لأجله واحتج به أصحابنا على أن النكاح
لا ينعقد بلفظ الهبة لأن اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد أي خلص إحلالها
أو إحلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك أو حال من الضمير في وهبت أو صفة لمصدر محذوف أي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم من شرائط
العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت أيمانهم من توسيع الأمر فيها أنه كيف ينبغي أن يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه
وهو خالصة للدلالة على أن الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى وكان الله
غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي إليك من تشاء وتضم إليك وتضاجعها أو تطلق
من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك أدنى أن تقر
أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنه حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت بينهن
وجدن ذلك تفضلا منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء وأعينهن بالنصب وتقر أعينهن على البناء للمفعول وكلهن تأكيد لنون
يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في إحسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى لا يحل لك النساء
بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالأربع في حقنا أو من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى ولا أن
تبدل بهن من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق ولو أعجبك حسنهن حسن الأزواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من أزواج
لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء على المعنى الثاني فإنه وإن تقدمها
قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة اللاتي نص على إحلالهن لك ولا أن تبدل بهن أزواجا من أجناس أخر إلا ما ملكت يمينك استثناء
من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا أمركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم
إلا وقت أن يؤذن لكم أو إلا مأذونا لكم إلى طعام متعلق بيؤذن لأنه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وإن أذن كما أشعر به قوله

غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو
غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا
خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام
ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا
مستأنسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق
فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن
المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه
بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي عليه السلام ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله
ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه
فهم برجمها فاخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب حرمته
حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم
مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب
عنهم لما روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك
سمى العم ابا في قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما ولا نسائهن يعني النساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء
وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار
شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا
لاوامره والآية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله
فابعده الله من رحمته ويجوز على غيره تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسول ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا ان الذين يؤذون
الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين
فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت في المنافقين يؤذون عليا كرم الله وجهه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة يتبعون النساء وهن
كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض
جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي
مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة
يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم
او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا
نصب على المصدر والحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما

سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا
ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه
ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد
واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الاتقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في
النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول
فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرا ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيل
بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرا عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك انه قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله
في القصص او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه
ببرص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد يصلح لكم اعمالكم
يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي
فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير
للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك
لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فان الراعي لها والقائم بحقوقها فائز بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها
ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب
الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومتحملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا
بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها
ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها
جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة
والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل
ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجة كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم
عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة

سورة سبا مكية وقيل الا ويرى الذين اوتوا العلم الآية وهي اربع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة
فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لان ما في الآخرة ايضا كذلك وليس من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم
بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم الذي احكم امور

الخبير ببواطن الأشياء يعلم ما يلج في الأرض كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والأموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات
والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والأنداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة
وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها أو في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة إنكار لمجيئها أو
استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم وإثبات لما نفوه وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لإيجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه و
استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده
القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لأن الاستثناء يمنعه اللهم إلا إذا جعل الضمير في عنه
للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله
لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها أولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالإبطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا
وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين أوتوا العلم ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الأمة أو من مسلمي أهل الكتاب الذي أنزل إليك من ربك القرآن هو الحق
ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي
أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي إلى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا
يعني منكري البعث قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام ينبئكم يحدثكم بأعجب الأعاجيب إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد
بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فإن ما قبله لم يقارنه وما بعده
مضاف إليه أو محجوب بينه وبينه بأن وممزق يحتمل أن يكون مكانا بمعنى إذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو
وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه أفترى على الله كذبا أم به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم إياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه
على أن بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لأن الافتراء أخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد رد من الله عليهم ترديدهم وإثبات لهم ما هو أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رديفا له في الوقوع
ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الأصل صفة الضال ووصف الضلال به على الإسناد المجازي أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء
والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم الإحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا
وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي إنا إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا
لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله وحفص كسفا بالتحريك إن في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية
لكل عبد منيب راجع إلى ربه فإنه يكون كثير التأمل في أمره ولقد آتينا داود منا فضلا أي على سائر الأنبياء وهو ما ذكر بعد أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك
والصوت الحسن يا جبال أوبي معه رجعي معه التسبيح أو النوحة على الذنب وذلك إما بخلق صوت مثل صوته فيها أو بحملها إياه على التسبيح إذا تأمل ما فيها أو سيري معه حيث سار
وقرئ أوبي من الأوب أي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا أو من آتينا بإضمار قولنا أو قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها
تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الإعرابية أو على فضلا أو مفعول معه لأوبي وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الأصل ولقد آتينا داود منا
فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لأمره في نفاذ

وألنا له الحديد وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بآلاته أو بقوته أن اعمل أمرناه أن اعمل وأن مفسرة أو مصدرية سابغات دروعا
واسعات وقرئ صابغات وهو أول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق
بها ورد لم يكن مسخرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود وأهله إني بما تعملون بصير فأجازيكم عليه ولسليمان الريح أي سخرنا له الريح
وقرأ أبو بكر الريح بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وأسلنا له عين القطر
النحاس المذاب أسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة
أو جملة من مبتدأ وخبر بإذن ربه بأمره ومن يزغ منهم ومن يعدل منهم عن أمرنا عما أمرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة
يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لأنها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والأنبياء على ما اعتادوه من العبادات
ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما
وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الأثافي
لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة أي اعملوا له واعبدوه شكرا أو المصدر لأن العمل له شكر أو الوصف له أو الحال أو المفعول به
وقليل من عبادي الشكور المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه في أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا إلى نهاية ولذلك قيل
من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت أي على سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله إلا دابة الأرض أي الأرضة أضيفت إلى فعلها وقرئ بفتح الراء
وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا تأكل منسأته عصاه من نسأت البعير إذا طردته لأنها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة
وقلبها ألفا وحذفها على غير قياس إذ القياس إخراجها بين بين ومنسأته على مفعالة كميضأة ومن سأته أي من طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة وقرأ نافع وأبو عمرو
منساته بألف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة إذا وقف جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم أن لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره إلى أن خر أو ظهرت الجن وأن
بدل منه أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فمات قبل تمامه فوصى به إلى سليمان فاستعمل الجن فيه
فلم يتم بعد إذ دنا أجله وأعلم به فأراد أن يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها
فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضة فخر ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات
منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن
قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته ألفا ولعله أخرجها بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مساكنهم في مواضع
سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة
على وجود الصانع المختار وأنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل من آية أو خبر
محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها
كأنها جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم أو لسان الحال أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم
ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف للدلالة على موجب الشكر أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره
وقرئ الكل بالنصب على المدح وقيل كان أخصب البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فأعرضوا عن الشكر فأرسلنا عليهم سيل العرم سيل الأمر العرم أي الصعب

فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه وصعب، أو المطر الشديد، أو الجرذ أضاف إليه السيل لأنه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار
ما يحتاجون إليه، أو المسناة التي عقدت سكرا على أنه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة، وقيل اسم واد جاء السيل من قبله، وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتي أكل خمط مر بشع فإن الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة، وقيل الأراك أو كل شجر لا شوك له، والتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
في كونه بدلا أو عطف بيان وأثل وشيء من سدر قليل معطوفان على أكل لا على خمط فإن الأثل هو الطرفاء ولا ثمر له، وقرئ بالنصب عطفا على جنتين، ووصف السدر بالقلة
فإن جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين، وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم، وقرأ أبو عمرو ذواتي أكل بغير تنوين اللام، وقرأ الحرميان بتخفيف أكل
ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالرسل، إذ روي أنه بعث إليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم، وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي إلا الكفور
وهل نجازي بمثل ما فعلنا بهم إلا البليغ في الكفران أو الكفر، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها
بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض، أو راكبة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية
ويبيت الرائح في قرية إلى أن يبلغ الشام سيروا فيها على إرادة القول بلسان المقال أو الحال ليالي وأياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا يختلف الأمن فيها باختلاف
الأوقات، أو سيروا آمنين وإن طالت مدة سفركم فيها، أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا أشروا النعمة وملوا العافية
كبني إسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الأزواد فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة، وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو وهشام بعّد، ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه، ومثله قراءة من قرأ
ربنا بعّد أو بعد على النداء وإسناد الفعل إلى بين وظلموا أنفسهم حيث بطروا النعمة أو لم يعتدوا بها فجعلناهم أحاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل
فيقولون تفرقوا أيادي سبا ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان إن في ذلك لآيات
لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم إبليس ظنه أي صدق في ظنه أو صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك، ويجوز أن يعدى الفعل إليه بنفسه كما في صدق وعده
لأنه نوع من القول، وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه أو وجده صادقا، وقرئ بنصب إبليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا، والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق
حين خيله إغواءهم، وبرفعهما والتخفيف على الإبدال، وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات، أو ببني آدم حين رأى أباهم النبي ضعيف العزم، أو ما ركب فيهم من الشهوة
والغضب، أو سمع من الملائكة أتجعل فيها فقال لأضلنهم ولأغوينهم فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين إلا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه، وتقليلهم بالإضافة إلى الكفار
أو إلا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك
إلا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء، أو ليتميز المؤمن من الشاك، أو ليؤمن من قدر إيمانه ويشك من قدر ضلاله، والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة
ونظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ، والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم أي زعمتموهم آلهة، وهما مفعولا زعم حذف الأول
لطول الموصول بصلته، والثاني لقيام صفته وهي من دون الله مقامه، ولا يجوز أن يكون هو مفعوله الثاني لأنه لا يلتئم مع الضمير كلاما، ولا لا يملكون لأنهم لا يزعمونه، والمعنى ادعوهم
فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم، ثم أجاب عنهم إشعارا بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة
من خير أو شر في السموات ولا في الأرض في أمر ما، وذكرهما للعموم العرفي أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام، أو لأن الأسباب
القريبة للخير والشر سماوية وأرضية، والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير أمرهما ولا تنفع الشفاعة عنده
فلا ينفعهم شفاعتهم أيضا كما يزعمون إذ لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له أذن له أن يشفع، أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك، واللام على الأول كاللام
في قولك الكرم لزيد، وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي أذن بالضم حتى إذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من أن ثم توقفا وانتظارا

للإذن، أي يتربصون فزعين حتى إذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالإذن، وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا، وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع
على البناء للفاعل، وقرئ فرغ أي نفي الوجل من فرغ الزاد إذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الإذن
بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون، وقرئ بالرفع أي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه قل من يرزقكم
من السموات والأرض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله إذ لا جواب سواه، وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام فهم مقرون
بقلوبهم وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أي وإن أحد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في
أدنى المراتب الإمكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين، وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح
لأنه في صورة الإنصاف المسكت للخصم المشاغب، ونظيره قول حسان: أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء، وقيل إنه على اللف، وفيه نظر، واختلاف الحرفين
لأن الهادي كمن صعد منارا ينظر الأشياء ويتطلع عليها، أو ركب جوادا يركضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا أو محبوس في مطمورة
لا يستطيع أن يتفصى منها قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ في الإخبات حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين
قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفاصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي أن يقضي
قل أروني الذين ألحقتم به شركاء لأرى بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة، وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة
بعد إبطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة، وهؤلاء الملحقون متسمون بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا
والضمير لله أو للشأن وما أرسلناك إلا كافة للناس إلا رسالة عامة لهم من الكف فإنها إذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم، أو إلا جامعا لهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف
والتاء للمبالغة، ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد
يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا إن كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم أو زمان وعد، وإضافته
إلى اليوم للتبيين، ويؤيده أنه قرئ يوم على البدل، وقرئ يوما بإضمار أعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون إذا فاجأكم، وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه
بسؤالهم من التعنت والإنكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث، قيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب
عن الرسول فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك، وقيل الذي بين يديه يوم القيامة ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم في موضع المحاسبة
يرجع بعضهم إلى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الأتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا أنتم لولا إضلالكم وصدكم
إيانا عن الإيمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين أنكروا أنهم كانوا
صادين لهم عن الإيمان وأثبتوا أنهم هم الذين صدوا أنفسهم حيث أعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه، ولذلك بنوا الإنكار على الاسم وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إضراب عن إضرابهم أي لم يكن إجرامنا الصاد، بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى أغرتم علينا رأينا إذ تأمروننا أن نكفر بالله
ونجعل له أندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الأول، وإضافة المكر إلى الظرف على الاتساع، وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر، ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف
ومكر الليل من الكرور وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والإضلال وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير، أو أظهروها فإنه من الأضداد
إذ الهمزة تصلح للإثبات وللسلب كما في أشكيته وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا أي في أعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم وإشعارا بموجب أغلالهم هل يجزون
إلا ما كانوا يعملون أي لا يفعل بهم ما يفعل إلا جزاء على أعمالهم، وتعديته إما لتضمين معنى يقضى أو لنزع الخافض وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها تسلية
لرسول الله عليه السلام مما مني به من قومه، وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لأن الداعي المعظم إلى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والتهاون بما...

ولذلک سمّوا التفاخر الی التکذیب فقالوا انّا بما ارسلتم به کافرون علی مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اکثر اموالاً واولاداً فنحن اولی بما تدعون ان امکن وما نحن بمعذبین
اما لان العذاب لا یکون او لانه اکرمنا بذلک فلا یهیننا بالعذاب قل ان ربی یبسط الرزق لمن یشاء ویقدر ولذلک یختلف فیه الاشخاص المتماثلة فی الخصائص
والصفات ولو کان ذلک لکرامة وهوان یوجبانه لم یکن بمشیئته بضیق ولکن اکثر الناس لا یعلمون فیظنون ان کثرة الاموال والاولاد للشرف والکرامة وکثیرا ما یکون
للاستدراج کما قال وما اموالکم ولا اولادکم بالتی تقربکم عندنا زلفی قربة والتی اما لان المراد وما جماعة اموالکم واولادکم لانها صفة محذوفة کالتقوی والخصلة
وقری باللذی ای بالشیء الذی یقربکم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربکم ای الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذی ینفق ماله فی سبیل الله ویعلم
ولده الخیر ویربیه علی الصلاح او من اموالکم واولادکم علی حذف المضاف فاولئک لهم جزاء الضعف بما عملوا ای یجازوا الضعف الی عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر
الی المفعول وقری بالاعمال علی الاصل وعن یعقوب رفعهما علی ابدال الضعف نصب جزاء علی التمییز او المصدر لفعله الذی دل علیه لهم وهم فی الغرفات آمنون من المکاره
وقری بفتح الراء وسکونها وقرأ حمزة فی الغرفة علی ارادة الجنس والذین یسعون فی آیاتنا بالرد والطعن فیها معاجزین مسابقین لانبیائنا او ظانین انهم یفوتونا
اولئک فی العذاب محضرون قل ان ربی یبسط الرزق لمن یشاء من عباده ویقدر له یوسع علیه تارة ویضیق علیه اخری فهذا فی شخص واحد باعتبار وقتین وما سبق فی شخصین
فلا تکریر وما انفقتم من شیء فهو یخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خیر الرازقین فان غیره وسط فی ایصال رزقه لا حقیقة لرازقیته ویوم یحشرهم جمیعا المستکبرین
والمستضعفین ثم یقول للملائکة اهؤلاء ایاکم کانوا یعبدون تقریعا للمشرکین وتبکیتا لهم واقناطا لهم عما یتوقعون من شفاعتهم وتخصیص الملائکة لانهم اشرف شرکائهم
والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرک واصله وقرئ الفعلان بالیاء فیهما قالوا سبحانک انت ولینا من دونهم انت الذی نوالیه من دونهم لا موالاة بیننا وبینهم
کانهم بینوا بذلک براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلک ونفوا انهم عبدوهم علی الحقیقة بقولهم بل کانوا یعبدون الجن ای الشیاطین حیث اطاعوهم فی عبادة
غیر الله وقیل کانوا یتمثلون لهم ویخیلون الیهم انهم الملائکة فیعبدونهم اکثرهم بهم مؤمنون الضمیر الاول للانس او للمشرکین والاکثر بمعنی الکل والثانی للجن فالیوم لا یملک
بعضکم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فیه کله له لان الدار دار جزاء وهو المجازی وحده ونقول للذین ظلموا ذوقوا عذاب النار التی کنتم بها تکذبون عطف علی لا یملک
مبین للمقصود من تمهیده واذا تتلی علیهم آیاتنا بینات قالوا ما هذا یعنون القرآن الا افک لعدم مطابقة ما فیه الواقع مفتری باضافته الی الله سبحانه وقال الذین کفروا
للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبین ظاهر سحریته وفی تکریر الفعل والتصریح بذکر الکفرة
وفی اللامین من الاشارة الی القائلین والمقول فیه وما فی لما من المبادهة الی البت بهذا القول انکار عظیم له وتعجیب بلیغ منه وما آتیناهم من کتب یدرسونها فیها دلیل
علی صحة الاشراک وما ارسلنا الیهم قبلک من نذیر یدعوهم الیه وینذرهم علی ترکه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن این وقع لهم هذه الشبهة وهذا فی غایة التجهیل لهم
والتسفیه لرایهم ثم هددهم فقال وکذب الذین من قبلهم کما کذبوا وما بلغوا معشار ما آتیناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتینا اولئک من القوة وطول العمر وکثرة المال او ما
بلغ اولئک عشر ما آتینا هؤلاء من البینات والهدی فکذبوا رسلی فکیف کان نکیر فحین کذبوا رسلی جاءهم انکاری بالتدمیر فکیف کان نکیری لهم فلیحذر هؤلاء من مثله ولا تکریر
فی کذبوا لان الاول للتکثیر والثانی للتکذیب او الاول مطلق والثانی مقید ولذلک عطف علیه بالفاء قل انما اعظکم بواحدة ارشدکم وانصح لکم بخصلة واحدة هی ما دل علیه
ان تقوموا لله وهو القیام من مجلس رسول الله او الانتصاب فی الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقلید مثنی وفرادی متفرقین اثنین اثنین وواحدا واحدا فان
الازدحام یشوش الخاطر ویخلط القول ثم تتفکروا فی امر محمد وما جاء به لتعلموا حقیقته ومحله الجر علی البدل او البیان او الرفع او النصب باضمار هو او اعنی ما بصاحبکم من جنة
فتعلموا ما به جنون یحمله علی ذلک والاستئناف منبه لهم علی ان ما عرفوا من رجاحة عقله کاف فی ترجیح صدقه فانه لا یدعه ان یتصدی لادعاء امر خطیر وخطب عظیم من غیر
تحقق ووثوق ببرهان فیفتضح علی رؤس الاشهاد ویسلم ویلقی نفسه الی الهلاک فکیف وقد انضم الیه معجزات کثیرة وقیل ما استفهامیة والمعنی ثم تتفکروا ای شیء به
من آثار الجنون ان هو الا نذیر لکم بین یدی عذاب شدید قدامه لانه مبعوث فی نسم الساعة قل ما سألتکم من اجر ای شیء سألتکم من اجر علی الرسالة فهو لکم والمراد نفی السؤال

فانه جعل التنبی مستلزما لاحد الامرین اما الجنون واما توقع نفع دنیوی علیه لانه اما ان یکون لغرض او غیره وایا ما کان یلزم احدهما ثم نفی کلا منهما وقیل ما موصولة
مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألکم علیه من اجر الا من شاء ان یتخذ الی ربه سبیلا ولا اسألکم علیه اجرا الا المودة فی القربی واتخاذ السبیل ینفعهم وقرباه قرباهم ان اجری
الا علی الله وهو علی کل شیء شهید مطلع یعلم صدقی وخلوص نیتی قل ان ربی یقذف بالحق یلقیه وینزله علی من یجتبیه من عباده او یرمی به الباطل فیدمغه او یرمی به
الی اقطار الآفاق فیکون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغیوب صفة محمولة علی محل ان واسمها او بدل من المستکن فی یقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ
بالنصب صفة لربی او مقدرا باعنی وقرأ حمزة وابو بکر الغیوب بالکسر کالبیوت والباقون بالضم کالعشور وبالفتح کالصبور علی انه مبالغة غائب قل جاء الحق ای الاسلام
وما یبدئ الباطل وما یعید وزهق الباطل ای الشرک بحیث لم یبق له اثر ماخوذ من هلاک الحی فانه اذا هلک لم یبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبید
فالیوم لا یبدی ولا یعید وقیل الباطل ابلیس او الصنم والمعنی لا ینشئ خلقا ولا یعیده او لا یبدئ خیرا لاهله ولا یعیده وقیل ما استفهامیة منتصبة بما بعدها
قل ان ضللت عن الحق فانما اضل علی نفسی فان وبال ضلالی علیها فانه بسببها اذ هی الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطیة بقوله
وان اهتدیت فبما یوحی الیّ ربی فان الاهتداء بهدایته وتوفیقه انه سمیع قریب یدرک قول کل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو تری اذ فزعوا عند الموت
او البعث او یوم بدر وجواب محذوف مثل لرأیت امرا فظیعا فلا فوت فلا یفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مکان قریب من ظهر الارض الی بطنها
او من الموقف الی النار او من صحراء بدر الی القلیب والعطف علی فزعوا او لا فوت ویؤیده انه قرئ واخذ عطفا علی محله ای فلا فوت هناک وهناک اخذ وقالوا آمنا به
بمحمد وقد مر ذکره فی قوله ما بصاحبکم وانی لهم التناوش ومن این لهم ان یتناولوا الایمان تناولا سهلا من مکان بعید فانه فی حیز التکلیف وقد بعد عنهم وهو تمثیل حالهم
فی الاستخلاص بالایمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من یرید ان یتناول الشیء من غلوة تناوله من ذراع فی الاستحالة وقرأ ابو عمرو والکوفیون غیر حفص
بالهمزة علی قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشیء اذا طلبته قال رؤبة اقحمنی جار ابی الجاموش الیک ناش القدر النؤوش او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله
تمنی بئسا ان یکون اطاعنی وقد حدثت بعد الامور امور ویکون بمعنی التناول من بعد وقد کفروا به بمحمد او بالعذاب من قبل من قبل ذلک اوان التکلیف ویقذفون بالغیب
ویرجمون بالظن ویتکلمون بما لم یظهر لهم فی الرسول من المطاعن او فی العذاب من البت علی نفیه من مکان بعید من جانب بعید من امره وهو الشبهة التی تمحلوها فی
امر الرسول او حال الآخرة کما حکاه من قبل ولعله تمثیل لحالهم فی ذلک بحال من یرمی شیئا لا یراه من مکان بعید لا مجال للظن فی لحوقه وقرئ ویقذفون علی ان الشیطان
یلقی الیهم ویلقنهم ذلک والعطف علی وقد کفروا علی حکایة الحال الماضیة او علی قالوا فیکون تمثیلا لحالهم بحال القاذف فی تحصیل ما ضیعوه من الایمان فی الدنیا
وحیل بینهم وبین ما یشتهون من نفع الایمان والنجاة من النار وقرأ ابن عامر والکسائی باشمام الضم للحاء کما فعل باشیاعهم من قبل باشباههم من کفرة الامم الدارجة
انهم کانوا فی شک مریب موقع فی الریبة او ذی ریبة منقول من المشکک او الشاک نعت به الشک للمبالغة عن رسول الله علیه السلام من قرأ سورة سبا لم یبق نبی

سورة

ولا رسول الا کان له یوم القیمة رفیقا ومصافحا سورة الملائکة مکیة وهی خمس واربعون آیة بسم الله الرحمن الرحیم الحمد لله فاطر السموات والارض
مبدعهما من الفطر بمعنی الشق کانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنی الماضی جاعل الملائکة رسلا وسائط بین الله تعالی وبین انبیائه والصالحین من عباده
یبلغون الیهم رسالاته بالوحی والالهام والرؤیا الصادقة او بینه وبین خلقه یوصلون الیهم آثار صنعه اولی اجنحة مثنی وثلاث ورباع ذوی اجنحة متعددة
متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ینزلون بها ویعرجون او یسرعون بها نحو ما وکلهم الله علیه فیتصرفون فیه علی ما امرهم به ولعله لم یرد خصوصیة الاعداد ونفی ما زاد علیها
لما روی انه علیه السلام رأی جبرئیل لیلة المعراج وله ستمائة جناح یزید فی الخلق ما یشاء استئناف للدلالة علی ان تفاوتهم فی ذلک مقتضی مشیئته ومؤدی حکمته لا امر
تستدعیه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان کان لذواتهم المشترکة لزم تنافی لوازم الامور المتفقة وهو محال والآیة متناولة زیادات الصور
والمعانی کملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله علی کل شیء قدیر وتخصیص بعض الاشیاء بالتحصیل دون بعض انما هو من جهة الارادة

ما يفتح الله للناس أي ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه
واختلاف الضميرين لأن الموصول الأول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك إشعار بأن رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد إمساكه وهو العزيز
الغالب على ما يشاء ليس لأحد أن ينازعه فيه الحكيم لا يفعل إلا بعلم وإتقان ثم لما بين أنه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الإطلاق أمر الناس بشكر نعمه فقال
يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم أنكر أن يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به بقوله هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بأنه وصف أو بدل فإن الاستفهام
بمعنى النفي أو لأنه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق أو استئناف مفسر له أو كلام مبتدأ وعلى الأخير يكون إطلاق هل من خالق
بالنعام لطلاقه على غير الله وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل
للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة وإلى الله ترجع الأمور فيجازيك وإياهم على الصبر والتكذيب يا أيها الناس إن وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه
فلا تغرنكم الحياة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية فإنها وإن أمكنت لكن الذنب
بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر أو جمع كقعود إن الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وأفعالكم
وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى الدنيا الذين كفروا
لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للأماني الفارغة وبناء للأمر كله على الإيمان والعمل الصالح
وقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له أي أفمن زين له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق
حتى عرف الحق واستحسن الأعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك
عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك للحسرات على غيهم وإصرارهم على التكذيب والفاءات الثلاث للسببية
غير أن الأوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو كثرة مساوي أفعالهم المقتضية للتأسف وعليهم
ليس صلة لها لأن صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب أو بيان للمتحسر عليه إن الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي أرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولأن المراد بيان إحداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده إليها
ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار الأمر فسقناه إلى بلد ميت وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بتشديد الياء فأحيينا به الأرض بالمطر النازل منه وذكر السحاب
كذكره أو بالسحاب فإنه سبب السبب أو الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور
أي مثل إحياء الموات نشور الأموات في صحة المقدورية إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل في كيفية الإحياء فإنه تعالى يرسل ماء من تحت
العرش تنبت منه أجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا أي فليطلبها من عنده فإن كلها له فاستغنى بالدليل عن المدلول إليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم
فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد ويؤيده أنه نصب العمل أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه أو لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء
للمفعول والمصعد هو الله تعالى أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه السلام هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها
العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي عليه السلام في دار الندوة
وتداورهم الرأي في إحدى ثلاث حبسه وقتله وإجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون ومكر أولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لأن الأمور مقدرة لا تتغير به

بقوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم أزواجا ذكرانا وإناثا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه إلا معلومة له وما يعمر من معمر
وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره أو لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وإن لم يذكر لدلالة
مقابله عليه أو للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت
في اللوح مثل أن يكون فيه إن حج زيد فعمره ستون سنة وإلا فأربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فإنه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب
ولا ينقص على البناء للفاعل إلا في كتاب هو علم الله أو اللوح أو الصحيفة إن ذلك على الله يسير إشارة إلى الحفظ أو الزيادة والنقص وما يستوي البحران هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والأجاج الذي يحرق بملوحته
وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم أو تمام التمثيل والمعنى
كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى
المؤمن والكافر وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر أو تفضيل
للأجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلئ واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها
واللام متعلقة بمواخر ويجوز أن يتعلق بما دل عليه الأفعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى هي مدة دوره أو منتهاه أو يوم القيامة ذلكم الله ربكم له الملك الإشارة إلى الفاعل لهذه الأشياء وفيها
إشعار بأن فاعليته لها موجبة لثبوت الأخبار المترادفة ويحتمل أن يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالألوهية
والربوبية والقطمير لفافة النواة إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لأنهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانتفاع أو لتبرئهم
منكم مما تدعون لهم ويوم القيامة يكفرون بشرككم بإشراككم لهم يقرون ببطلانه أو يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير
أخبرك به وهو الله سبحانه فإنه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله
في أنفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وأن افتقار سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به
ولذلك قال وخلق الإنسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
بقوم آخرين أطوع منكم أو بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر أو متعسر ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى وأما قوله
وليحملن أثقالهم ففي الضالين المضلين فإنهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم وإن تدع مثقلة نفس أثقلها
الأوزار إلى حملها تحمل بعض أوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه نفي أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو
ذا قرابتها فأضمر المدعو لدلالة إن تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو أولى من جعل كان التامة فإنها لا تلائم نظم الكلام إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه
أو عن الناس في خلواتهم أو غائبا عنهم عذابه وأقاموا الصلاة فإنهم المنتفعون بالإنذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر من دنس المعاصي فإنما يتزكى لنفسه
إذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فإنما يزكي وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة التزكي وإلى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي الأعمى والبصير الكافر
والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء
وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما تهب نهارا والحرور ما تهب ليلا وما يستوي الأحياء ولا الأموات تمثيل آخر
للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء إن الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما أنت بمسمع من في القبور

ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في
المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد
الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل
ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر
كصحف ابرهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت
الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها
مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم
جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه
قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة الالوان ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره سود فان الغرابيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك
في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذا
قال عليه السلام اني اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ
برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية استعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه
غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله
فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة
والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله
اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل
اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني
القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيقته تستلزم موافقته اياه في العقائد
واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب
وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه او ورثناه من الامم السالفة والعطف على
ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم
على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم
الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة
وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك
يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى
الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة

او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرا ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها
خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب
مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار
المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه
باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك
الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرا ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون
من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه يتناول كل عمر يتمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين
العشرين الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم
النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات
والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم
بغيره هو الذي جعلكم خلائف في الارض ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره
جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد
من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل ارايتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال
لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات
فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز
ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرا نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه
من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف
او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه
لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة
سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا
لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال فيها
احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني محمدا عليه السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا

سورة يس

تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنت الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وعنه عليه السلام ان يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة وهي ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر والفتح على البناء كاين على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم كحيث وامال الياء حمزة والكسائي وحفص وروح وادغم النون في الواو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش ويعقوب وهي واو القسم والعطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفايدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم يعني الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين على الوجه الآخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطاطئون فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ومن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصر قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشي وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي عليه السلام فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اي القرآن بالتامل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب خاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم

الحسنة كعلم علموه وحبس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم مثلا ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى المفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما الكما اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال قوما حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فقال هل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء ليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام اني دخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة شمعون وهذين فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد الف بين الهمزتين وفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه السلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل جاء واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع ويعقوب وابو عمرو بفتح الياء اني آمنت بربكم الذي

الذي خلقكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء فاسمعون فاسمعوا إيماني وقيل الخطاب للرسل فإنه لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم
قبل أن يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بأنه من أهل الجنة أو إكراما وإذنا في دخولها كسائر الشهداء أو لما هموا بقتله رفعه الله
إلى الجنة على ما قاله الحسن وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول دون المقول له فإنه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه
بعد تصلبه في نصر دينه وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فإنه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وإنما تمنى
علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطاعة على دأب الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء أو ليعلموا أنهم
كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية جاءت على الأصل والباء صلة غفر
أي بأي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم وما أنزلنا على قومه من بعده من بعد إهلاكه أو رفعه من جند من السماء لإهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر
والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لإهلاكهم وإيماء بتعظيم الرسول عليه السلام وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا أن ننزل جندا لإهلاك قومه
إذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند أي ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة
إن كانت ما كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئت بالرفع على كان التامة فإذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا
إلى أن الحي كالنار الساطع والميت كرمادها كما قال لبيد: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الأحوال
التي من حقها أن تحضري فيها ما دل عليها وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسر عليهم وقد
تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز أن يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها
بالجار المتعلق بها وقيل بإضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالإضافة إلى الفاعل أو المفعول ويا حسرة على العباد بإجراء الوصل مجرى الوقف
ألم يروا ألم يعلموا وهو معلق عن قوله كم أهلكنا قبلهم من القرون لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية لأن أصلها الاستفهام أنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم
على المعنى لا على اللفظ أي ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وإن كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيامة للجزاء وإن مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى إلا فيكون إن نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له
أو لمحضرون وآية لهم الأرض الميتة وقرأ نافع بالتشديد أحييناها خبر للأرض والجملة خبر آية أو صفة لها إذ لم يرد بها معينة وهي الخبر أو المبتدأ والآية خبرها
أو استئناف لبيان كونها آية وأخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب
من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والأعناب
لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون أي شيئا من العيون فحذف الموصوف
وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة عند الأخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والإضافة إليه لأن الثمر بخلقه وقرأ
حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه أو جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته أيديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد
أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الأول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فإن حذفه من الصلة أحسن من غيرها أفلا يشكرون أمر بالشكر من حيث إنه إنكار لتركه سبحان الذي
خلق الأزواج كلها الأنواع والأصناف مما تنبت الأرض من النبات والشجر ومن أنفسهم الذكر والأنثى ومما لا يعلمون وأزواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا
إلى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في إعرابه ما سبق فإذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها
لحد معين ينتهي إليه دورها فشبه بمستقر المسافر إذا قطع سيره أو لكبد السماء فإن حركتها فيه توجد إبطاء بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم

أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب
ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها أي لا سكون لها فإنها متحركة دائما ولا مستقر على أن لا بمعنى ليس ذلك الجري
على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن إحصائها تقدير العزيز الغالب على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه منازل قدرنا مسيره منازل
أو سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء
السماك الغفر الزبانى الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر
الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فإذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ
الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون القديم كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان
كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل أن تدرك القمر في سرعة سيره فإن ذلك يخل بتكون
النبات وتعيش الحيوان أو في آثاره ومنافعه أو مكانه بالنزول إلى محله أو سلطانه فتطمس نوره وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها
إلا ما أريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكسا للأول
وتبديل الإدراك بالسبق لأنه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض عن المضاف إليه والضمير للشموس والأقمار فإن اختلاف الأحوال يوجب تعدد
ما في الذات أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم أنا حملنا ذريتهم أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم
ونساءهم الذين يستصحبونهم فإن الذرية تقع عليهن لأنهن مزارعها وتخصيصهم لأن استقرارهم في السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم
في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لأنه
أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجب مع الإيجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الإبل فإنها سفائن البر أو من السفن والزوارق وإن نشأ
نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق أو فلا استغاثة كقولهم أتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت إلا رحمة منا ومتاعا إلا لرحمة
ولتمتيع بالحياة إلى حين زمان قدر لآجالهم وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة أو نوازل السماء
ونوائب الأرض كقوله أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض أو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو عكسه أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون
لتكونوا راجين رحمة الله وجواب إذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين كأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا لأنهم
اعتادوه وتمرنوا عليه وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من إقرارهم به وتعليقهم
الأمور بمشيئته أنطعم من لو يشاء الله أطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين إيهاما بأن الله لما كان قادرا أن يطعمهم ولم يطعمهم فنحن أحق
بذلك وهذا من فرط جهالتهم فإن الله يطعم بأسباب منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له إن أنتم إلا في ضلال مبين حيث أمرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز
أن يكون جوابا من الله لهم أو حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون ما ينتظرون إلا صيحة واحدة هي النفخة الأولى
تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم أمرها كقوله وما تأتيهم الساعة إلا بغتة وهم لا يشعرون وأصله يختصمون فسكنت التاء وأدغمت
ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر بكسر الياء للإتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على إلقاء حركة التاء إليه وأبو عمرو وقالون به مع اختلاس
الفتح فيه وبالإسكان والتشديد وكأنه جوز الجمع بين الساكنين إذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه إذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من أمورهم ولا إلى
أهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ونفخ في الصور أي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فإذا هم من الأجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء

الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار
بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة
محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب الملائكة او المؤمنين
عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث
وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة
واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب
التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام
ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفكهون
وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون هم وازواجهم في ظلال
جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون هم مبتدأ وخبره في ظلال وعلى الارائك جملة
مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجار صلة له او تأكيد للضمير في شغل او في فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة
وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه
او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة
مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال
اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقوله الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم
ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل
اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة
وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف
المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة
الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق
وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع تخفيف اللام والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة
وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم
على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا
سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك

فضلا

فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا
ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل لا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء
كالعتي والعتي ومضيا كالصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم
ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس
وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان ويعقوب بالتاء
لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخييلات
المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد
المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اي ما يصح للقرآن ان يكون شعرا
ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول ويؤيده
قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به
ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص
والتفرد بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا
اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب
والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اي ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب
من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة
واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان
ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون
اثرهم في النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم
عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو
خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة
على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن خلف اتى النبي
عليه السلام بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيي هذا بعدما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا
مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه
خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث
او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذي انشأها اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه

والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها **وهو بكل خلق عليم** يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها
وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها **الذي جعل لكم من الشجر الاخضر**
كالمرخ والعفار **نارا** بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار **فاذا انتم منه توقدون** لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر
على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى
كقوله فمالئون منها البطون **اوليس الذي خلق السموات والارض** مع كبر جرمهما وعظم شانهما **بقادر على ان يخلق مثلهم** في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم
في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر **بلى** جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه **وهو الخلاق العليم** كثير المخلوقات والمعلومات **انما امره**
انما شانه **اذا اراد شيئا ان يقول له كن** اي تكون **فيكون** فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف
وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء**
هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا
بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء **واليه ترجعون** وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل يس
كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عليه السلام ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين
وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون
غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من شراب الجنة
فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان **سورة الصافات**
مكية وهي مائة واحدى او اثنتان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم **والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا** اقسم بالملائكة الصافين
في مقام العبودية على مراتبها باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها او الناس عن المعاصي
بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها
والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين
آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات
والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة فانها
او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها
في طرف اللسان واصول الثنايا **ان الهكم لواحد** جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم واما تحقيقه فيقوله
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر
ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون
تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون
لو لم يختلف اوقات الانتقال **انا زينا السماء الدنيا** القربى منكم **بزينة الكواكب** بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة
وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا

ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينها الكواكب على اضافته الى الفاعل وكون الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر
من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق
باشكال مختلفة **وحفظا** منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا **من كل شيطان مارد** خارج من الطاعة
برمي الشهب **لا يسمعون الى الملأ الاعلى** كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة كل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين
لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل
باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب
السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم **ويقذفون** ويرمون **من كل جانب** من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده **دحورا** علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر
لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول
او صفة له اي قذفا دحورا **ولهم عذاب** اي عذاب آخر **واصب** دائم او شديد وهو عذاب الآخرة **الا من خطف الخطفة** استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه
فاتبعه شهاب والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف
واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك
ولا في قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه
على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه السلام ان صح فلعل المراد
كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه
راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها
ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه **فاستفتهم** فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم **اهم اشد خلقا ام من خلقنا** يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما
والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله **انا خلقناهم من طين لازب**
فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة
ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا
ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك
واما لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما من ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير **بل عجبت** من قدرة الله
وانكارهم للبعث **ويسخرون** من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي الى ان تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها
او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان
عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت **واذا ذكروا لا يذكرون** واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به
لبلادتهم وقلة فكرهم **واذا راوا آية** معجزة تدل على صدق القائل به **يستسخرون** يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها **وقالوا**
ان هذا يعنون ما يرونه **الا سحر مبين** ظاهر سحريته **ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون** اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا
الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية

أو آباؤنا الأولون عطف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون فإنه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكّن نافع وابن عامر
الواو على معنى الترديد قل نعم وأنتم داخرون صاغرون وإنما اكتفي به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عنه وقرئ قال أي الله أو الرسول
وحمزة والكسائي نعم بالكسر وهو لغة فيه فإنما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر أي إذا كان ذلك فإنما البعثة زجرة أي صيحة واحدة وهي النفخة الثانية من زجر الراعي
غنمه إذا صاح عليها وأمرها في الإعادة كأمر كن في الإبداء ولذلك رتب عليها فإذا هم ينظرون فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينتظرون ما يفعل بهم
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى بأعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو أيضا من كلام بعضهم
لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا أمر الله للملائكة أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف وقيل منه إلى الجحيم وأزواجهم
أشباههم عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته لقوله وكنتم أزواجا ثلاثة أو نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام
وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على أن الذين ظلموا المشركون فاهدوهم إلى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها
ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف إنهم مسئولون عن عقائدهم وأعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز أن موقفهم بعد الهدى التعريف للسؤال ما لكم لا تناصرون
لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم وأصل الاستسلام طلب السلامة أو متسالمون كأنه يسلم
بعضهم بعضا ويخذله وأقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والأتباع أو الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا إنكم
كنتم تأتوننا عن اليمين عن أقوى الوجوه وأيمنها أو عن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح أو عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال أو عن الحلف فإنهم كانوا يحلفون لهم
أنهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين أجابهم الرؤساء أولا بمنع إضلالهم بأنهم كانوا ضالين في أنفسهم وثانيا بأنهم
ما أجبروهم على الكفر إذ لم يكن لهم عليهم تسلط وإنما جنحوا إليه لأنهم كانوا مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين ثم بينوا أن ضلال
الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمرا مقتضيا لا محيص لهم عنه وأن غاية ما فعلوا بهم أنهم دعوهم إلى الغي لأنهم كانوا على الغي فأحبوا أن يكونوا مثلهم وفيه إيماء بأن غوايتهم
في الحقيقة ليست من قبلهم إذ لو كان كل غواية لإغواء غاو فمن أغواهم فإنهم فإن الأتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية إنا كذلك
مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أي عن كلمة التوحيد أو على من يدعوهم إليه ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه السلام بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون إنكم لذائقوا العذاب الأليم بالإشراك
وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الأصل وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا مثل ما
عملتم إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع إلا أن يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فإن ثوابهم مضاعف والمنقطع أيضا
بهذا الاعتبار أولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام ومحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فإن الفاكهة ما يقصد به التلذذ دون التغذي والقوت بالعكس
وأهل الجنة لما أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت أرزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل إليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم
في جنات ليس فيها إلا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن في مكرمون أن تعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس بإناء فيه خمر أو خمر كقوله وكأس شربت
على لذة من معين من شراب معين أو نهر معين أي ظاهر للعيون أو خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء إذا نبع وصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماء أو للإشعار بأنها
لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من أنواع الأشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما أيضا صفتان لكأس ووصفها بلذة إما للمبالغة أو لأنها
تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله
إذا أفسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله وأفرده بالنفي وعطفه على ما يعمه لأنه من عظم فساده

كأنه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي وتابعهما عاصم في الواقعة من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه وأصله للنفاد يقال نزف المطعون إذا خرج
دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كأنهن بيض مكنون
شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإنه أحسن ألوان الأبدان فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف
على يطاف عليهم أي يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه فإنه الذي
تلك اللذات إلى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم إني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أئنك
لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء
قال أي ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم
ذلك القرين وقيل فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم وعن أبي عمرو مطلعون فأطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الألف على أنه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث أن أدب
المجالسة يمنع الاستبداد به أو خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم
فرآه أي قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله إن كدت لتردين لتهلكني بالإغواء وقرئ لتغوين وإن هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة
لكنت من المحضرين معك فيها أفما نحن بميتين عطف على محذوف أي أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين إلا موتتنا الأولى
التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الإحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار
وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له أو معاودة إلى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ إن هذا لهو الفوز العظيم يحتمل
أن يكون من كلامهم وأن يكون كلام الله لتقرير قوله والإشارة إلى ما هم عليه من النعمة والخلود والأمن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون أي لنيل مثل هذا يجب
أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو أيضا يحتمل الأمرين أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل أهل النار
وانتصاب نزلا على التمييز أو الحال وفي ذكره دلالة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الأفهام وكذلك الزقوم
لأهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة إنا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء
في الدنيا فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في
النار وحفظه من الإحراق إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها طلعها حملها استعار من طلع التمر لمشاركته إياه في الشكل أو الطلوع
من الشجر كأنه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف ولعلها
سميت بها لذلك فإنهم لآكلون منها من الشجرة أو من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع أو الجبر على أكلها ثم إن لهم عليها أي بعد ما شبعوا منها وغلبهم
العطش وطال استسقاؤهم ويجوز أن يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق أو صديد مشوبا بماء حميم يقطع
أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والأول مصدر سمي به ثم إن مرجعهم مصيرهم لإلى الجحيم إلى دركاتها أو إلى نفسها فإن الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم
قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون إليه كما يورد الإبل إلى الماء ثم يردون
إلى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم إن منقلبهم إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والإهراع الإسراع
الشديد كأنهم يزعجون على الإسراع على آثارهم وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم
منذرين أنبياء أنذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة إلا عباد الله المخلصين إلا الذين تنبهوا بإنذارهم فأخلصوا دينهم لله

وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول المقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا آثارهم ولقد نادانا نوح شرع
في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين آيس من قومه فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه
ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روي انه مات كل من كان معه
في السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول
تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل
بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه
وان من شيعته ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة لابرهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان
هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم
بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم أئفكا آلهة دون الله تريدون
اي تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه
على انها افك في نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم
عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام
وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها او في علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم فقال
اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم
القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد • فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا
السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تأكلون
يعني الطعام الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم
لانه في معنى ضربهم او بمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو
قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابرهيم بعد ما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسره فظنوا انه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون
يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اي يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع
ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها
وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى
الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا الاولين لما فيهما من حذف
او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانهم لما
قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما
وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط
توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني

على

على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي
لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده
غير ابرهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به
لان صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه
قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل
انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله في الليلة
الثالثة فهم بنحره فقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق
بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله
له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل لذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة
حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه
قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما
فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب
المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون
قال يا ابت وقرأ ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه
انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال
ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء
فلما اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه
فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده
او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب
لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق بما لم يوفق غيرهما لمثله
واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه
فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره والمحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها
وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي الله به نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا
اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم وانما قال فديناه لانه المعطي له والآمر به على التجوز
في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي
المحسنين اطرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار
وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا

فيهما نسل وبشرناه بوجود إسحاق أي بأن يوجد إسحاق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فإن الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول
وإسحاق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الغلام بإسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وإيماء بأنه الغاية
لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الإطلاق وباركنا عليه على إبراهيم في أولاده وعلى إسحاق بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بني إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب
عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ بركنا ومن ذريتهما محسن في عمله أو على نفسه بالإيمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على أن النسب
لا أثر له في الهداية والضلال وأن الظلم في أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهارون أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية
ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون أو الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ
في بيانه وهو التوراة وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل إلى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين
سبق مثل ذلك وإن إلياس لمن المرسلين هو إلياس بن ياسين سبط هارون أخي موسى بعث بعده وقيل إدريس لأنه قرئ إدريس وإدراس مكانه وفي حرف أبي
وإن إبليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة إلياس إذ قال لقومه ألا تتقون عذاب الله أتدعون بعلا أتعبدونه أو أتطلبون الخير منه وهو اسم صنم
كان لأهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتدعون بعض البعول وتذرون أحسن الخالقين وتتركون عبادة
وقد أشار فيه إلى المقتضي للإنكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الأولين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل
فكذبوه فإنهم لمحضرون أي في العذاب وإنما أطلقه اكتفاء بالقرينة أو لأن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا إلا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين
لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على إلياسين لغة في إلياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو وأتباعه كالمهلبين لكن فيه أن العلم إذا جمع
باللام وللمنسوب إليه بحذف ياء النسب كالأعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على إضافة آل إلى ياسين لأنهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا إلياس
إلياس وقيل محمد عليه السلام أو القرآن أو غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين إذ الظاهر أن الضمير
لإلياس وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وإنكم يا أهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم
إلى الشام فإن سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل أي ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء
أفلا تعقلون أفليس فيكم عقل تعتبرون به وإن يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون إذ أبق هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه
حسن إطلاقه عليه إلى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع أهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روي أنه لما وعد قومه بالعذاب
خرج من بينهم قبل أن يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا هاهنا عبد أبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى نفسه في الماء فالتقمه الحوت
فابتلعه الحوت من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا أنه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا
بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه
حث على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء فنبذناه بأن حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت
روي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا إلى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين وقيل
أربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وأنبتنا عليه أي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الأرض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن
بالمكان إذا أقام به والأكثر على أنها كانت الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله عليه السلام إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة
أخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وأرسلناه إلى مائة ألف هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد

به ما سبق من إرساله أو إرسال ثان إليهم أو إلى غيرهم أو يزيدون في مرأى الناظر أي إذا نظر إليهم قال هم مائة ألف أو أكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو
فآمنوا فصدقوه أو فجددوا الإيمان بحضرته فمتعناهم إلى حين إلى أجلهم المسمى ولعله إنما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين أرباب
الشرائع الكبر وأولي العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في أول السورة
أمر رسوله أولا باستفتاء قريش عن وجه إنكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة
حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فإن الولادة مخصوصة بالأجسام
الكائنة الفاسدة وتفضيل أنفسهم عليه حيث جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث أنثوهم ولذلك كرر الله تعالى إنكار ذلك وإبطاله في كتابه مرارا
وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا والإنكار هاهنا مقصور على الأخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما أو لأن فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم
حيث جعل المعلول للاستفهام عن التقسيم أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون وإنما خص علم المشاهدة لأن أمثال ذلك لا يعلم إلا به فإن الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته
بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والإشعار بأنهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه
وإنهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله أي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث أصطفى البنات على البنين استفهام إنكار واستبعاد والاصطفاء
أخذ صفوة الشيء وعن نافع بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة أم بعدها عليها أو على الإثبات بإضمار القول أي لكاذبون في قولهم اصطفى أو إبداله من ولد الله
ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل أفلا تذكرون أنه منزه عن ذلك أم لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذي أنزل عليكم
إن كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم أن يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة
وقيل قالوا الله والشيطان إخوان ولقد علمت الجنة إنهم إن الكفرة أو الإنس والجن إن فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب
إلا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع أو متصل إن فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض أو من واو يصفون فإنكم وما تعبدون عود إلى خطابهم ما أنتم عليه
على الله بفاتنين مفسدين الناس بالإغواء إلا من هو صال الجحيم إلا من سبق في علمه أنه من أهل النار يصليها لا محالة وأنتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز
أن يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر أي إنكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما أنتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة إلا ضالا
مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على أنه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين وتخفيف صائل على القلب كشاك في شائك أو المحذوف منه كالمنسي كما
في قولهم ما باليت بالة فإن أصلها بالية كعافية وما منا إلا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة
والعبادة والانتهاء إلى أمر الله في تدبير العالم ويحتمل أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علم الملائكة أن المشركين
معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بأن الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا
بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وإنا لنحن الصافون في أداء الطاعة ومنازل الخدمة وإنا لنحن المسبحون
المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في إن واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لأنهم المواظبون
على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين والمعنى وما منا إلا له مقام معلوم في الجنة أو بين يدي الله في القيامة وإنا لنحن الصافون له
في الصلاة والمنزهون له عن السوء وإن كانوا ليقولون أي مشركو قريش لو أن عندنا ذكرا من الأولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لأخلصنا
العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به أي لما جاءهم الذكر الذي هو أشرف الأذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
أي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهي قوله إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وإنما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها

ومعنى الأمر فتول عنهم فأعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالأمر الدلالة على أن ذلك كائن
قريب كأنه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد أفبعذابنا يستعجلون روي أنه لما نزل فسوف يبصرون
قالوا متى هذا فنزل فإذا نزل بساحتهم فإذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على إسناده إلى الجار والمجرور ونزل أي
العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم
والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون تأكيد إلى تأكيد وإطلاق بعد تقييد للإشعار بأنه
يبصر وأنهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من أصناف المسرة وأنواع المساءة أو الأول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون
عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة وإضافة الرب إلى العزة لاختصاصها به إذ لا عزة إلا له أو لمن أعزه وقد أدرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية
بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما أفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك أخره
عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه
إذا قام من مجلسه سبحان ربك إلى آخر السورة وعن النبي عليه السلام من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني والشيطان وتباعدت عنه مردة الجن
والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين سورة ص مكية وهي ست وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لأنه أمر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فإنه يعارض الصوت الأول أي عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك
أو لحذف حرف القسم وإيصال فعله إليه أو إضماره والفتح في موضع الجر فإنها غير مصروفة لأنها علم السورة وبالجر والتنوين على تأويل الكتاب والقرآن ذي الذكر
الواو للقسم إن جعل ص اسما للحرف أو مذكورا للتحدي أو للرمز بكلام مثل صدق محمد أو للسورة خبرا لمحذوف أو لفظ الأمر وللعطف إن جعل مقسما به والجواب محذوف
دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي أو الأمر بالمعادلة أي إنه لمعجز أو لواجب العمل به أو إن محمدا لصادق أو قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق أي ما كفر به من كفر لخلل
وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة أي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الأولين الإضراب أيضا من الجواب المقدر ولكن من حيث إشعاره بذلك
والمراد بالذكر العظة أو الشرف والشهرة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة
أي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم أهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة أو توبة واستغفارا ولات حين مناص أي ليس الحين حين مناص
ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الأحيان وحذف أحد المعمولين وقيل هي النافية للجنس أي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل
والنصب بإضماره أي ولا أرى حين مناص وقرئ بالرفع على أنه اسم لا أو مبتدأ محذوف الخبر أي ليس حين مناص حاصلا لهم ولا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا
ولات أوان فأجبنا أن لات حين بقاء إما لأن لات تجر الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم أحجج أو لأن أوان شبه بإذ لأنه مقطوع عن الإضافة
إذ أصله أوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما أضيف إليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد إذ أصله حين مناصهم ثم بني الحين لإضافته إلى غير متمكن ولات بالكسر
وتقف الكوفية عليها بالهاء كالأسماء والبصرية بالتاء كالأفعال وقيل إن التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الإمام ولا يرد عليه أن خط المصحف خارج عن القياس إذ مثله
لم يعهد فيه والأصل اعتباره إلا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه إذا فاته وعجبوا أن جاءهم
منذر منهم بشر مثلهم أو أمي من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم وإشعارا بأن كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره
معجزة كذاب فيما يقول على الله أجعل الآلهة إلها واحدا بأن جعل الألوهية التي كانت لهم لواحد إن هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فإنه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا وما نشاهده
من أن الواحد لا يفي علمه وقدرته بالأشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو أبلغ ككرام وكرام روي أنه لما أسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فأتوا أبا طالب وقالوا

انت

أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله وقال هؤلاء قومك يسألونك السؤال
فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه السلام ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة
تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق أشراف قريش من مجلس أبي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله أن امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وأن هي المفسرة لأن الانطلاق عن مجلس
التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية أي اجتمعوا وقرئ بغير أن وقرئ يمشون أن اصبروا
إن هذا لشيء يراد إن هذا الأمر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له أو إن هذا الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى أو يريده
كل أحد أو إن دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الآخرة في الملة التي أدركنا عليها آباءنا أو في ملة عيسى التي هي آخر الملل فإن النصارى
يثلثون ويجوز أن يكون حالا من هذا أي ما سمعنا من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة إن هذا إلا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر
من بيننا إنكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وأمثال ذلك دليل على أن مبدأ
تكذيبهم لم يكن إلا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري من القرآن أو الوحي لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم
ما يبتون عليه من قولهم هذا ساحر كذاب إن هذا إلا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فإذا ذاقوا زال شكهم والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب
فيلجئهم إلى تصديقه أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل أعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة
بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فإنه العزيز أي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء
لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما كأنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته بأن ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها أردف ذلك بأنه
ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها فليرتقوا في الأسباب جواب شرط محذوف أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا
في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحي إلى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الأصل هو الوصلة وقيل المراد
بالأسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن أين لهم
التدابير الإلهية والتصرف في الأمور الربانية أي فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك
إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ذو الملك الثابت بالأوتاد كقوله
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاده أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد
البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويضرب عليها أوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أصحاب الغيضة
وهم قوم شعيب أولئك الأحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم إن كل إلا كذب الرسل بيان لما أسند إليهم من التكذيب على الإبهام
مشتمل على أنواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو مقابلة الجمع بالجمع أو جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم
وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك أو الأحزاب فإنهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر أو حضورهم في علم الله إلا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف
مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين أو رجوع وترداد فإن فيه يرجع اللبن إلى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب
الذي توعدنا به أو الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه إذا قطعه ويقال للصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها
قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في أعينهم فإنه مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم

والمكروهات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان واذكر قصته وصن نفسك
ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد وايادٍ بمعنى انه اواب رجاع الى مرضات الله
وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع
موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو
شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس
ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة
بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منهما
ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان
فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل
وفصل الخطاب فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف
والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه
اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول عليه السلام فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤ الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم
في الاصل مصدر ولذلك اطلق على الجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبؤ تحاكم الخصم
اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتيك لان اتيانه الرسول
لم يكن حينئذ واذ الثانية في اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل
عليه فانه كان عليه السلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه الملائكة على صورة الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن
فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر
في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا
اخي بالدين والصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تَسع
وتَسعون بفتح التاء ونِعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح الياء من ولي فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني
في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني قال
وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال
ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين
خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدي وقرئ بفتح الياء على تقدير نون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها
فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدأه او خر للسجود راكعا اي مصليا كأنه احرم بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة
واقصى ما في هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امرأة فعشقها

فسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى
وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوج بها هزء وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته
مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم
فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع
الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار
كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية
من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون
لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة
والمعاني المستنبطة وقرئ لتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز
في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول
والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي نعم العبد سليمان وما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له
اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات
المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد روي انه عليه السلام
غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له
فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انيب عدي بعن
وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا
لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس
شبه غروبها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق
اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو
لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر
ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت
بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر

انه القى على كرسيه متنافتنته على خطايه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على
ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المراة
الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر
الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته
يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها
فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ
كان جايزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي
لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى
فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن
فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب
اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى
عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها
والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده
اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك
وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض
عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له
في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني وقرا حمزة باسكان الياء
في الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته
كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة
او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على
وقرا يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل
بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب
ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي
وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجا الى الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث
روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطات فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة
في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك
ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب وقرا ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع

على

على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي
الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى
انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم الدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح
نظرهم فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام
الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر
وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في
رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته و
فقيل فر اليه مائة من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم
ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن مآب
من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على
والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون
استيناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثم وعندهم قاصرات الطرف
لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في وقت
هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا
او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم
وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوه او هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدا خبره حميم وغساق وهو على الاولين
اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرا حفص وحمزة والكسائي وغساق بتشديد السين وآخر اي مذوق او عذاب آخر وقرا
البصريان واخر اي مذوقات او انواع عذاب اخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق
وقرئ بالكسر وهي لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلثة او مرتفع بالجار والخبر مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار
معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا بهم
وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا
انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتموه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع
ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين من العذاب كقوله ربنا آتهم ضعفين
وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا
الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في
ام زاغت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم
على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم او تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة

والاستسخار منهم كأن لم يقع ابصارهم عليهم وقصور انظارهم على ان خالهم ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل
من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة
والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء
وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو هو الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من اني نذير
من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الوهيته وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف
وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة الاعلى
وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما كأنه لما جوز ان الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه
وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت عليها اذ مشتملة على تقاول الملائكة
وابليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود ههنا وهو انذار المشركين على استكبارهم على
النبي عليه السلام بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله والملائكة فاذا سويته
عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان صار من الكافرين باستكباره امر الله واستكباره عن المطاوعة او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كأب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي
للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص قال انا خير منه ابدا للمانع وهو خلقتني من نار
وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي
الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القرائتين قال فالحق والحق اقول اي فاحق الحق واقوله وقيل الحق
الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف
والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني او قسمي او الخبر اي انا الحق وقرئا مجرورين على حذف حرف القسم كقوله كلمة ما اصنع
على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في
منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تأكيد له او للضميرين قل ما اسألكم عليه من اجر اي على القرآن او تبليغ الوحي
وما انا من المتكلفين المتصنعين بما ليس من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد
والوعيد او صدقه باتيانه بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل
سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الآية وآيها خمس وسبعون او ثنتان وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة تنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة
او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق متلبسا بالحق او بسبب اثبات

الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص
المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له
الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى
والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول
او ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم
الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل
لهم وللمعبودين فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله
ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه
ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم
للوحدة الذاتية وهي تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة
وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال آخر بما اوجده في العالم السفلي مبتدأ به من خلق
الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعب الخلق الفائت للحصر منهما
وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين
فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حواء وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول
من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضأن والمعز
يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم بالخطاب لانهم
المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلاث ظلمة البطن
والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره
فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم
لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة
فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه نسي
ما كان يدعو اليه اي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله
اندادا ليضل عن سبيله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا
تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستئناف للمبالغة امن هو قانت

بوظائف الطاعات آناء الليل ساعاته وأم متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير أم من هو قانت أو منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة
بتخفيف الميم بمعنى أمن هو قانت لله كمن جعل له أندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة ويرجو
رحمة ربه في موقع الحال أو الاستئناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة
العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للأول على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون إنما يتذكر أولو الألباب
بأمثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالإدغام قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أي للذين أحسنوا بالطاعات في الدنيا
مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان الحسنة وأرض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه فليهاجر
إلى حيث يتمكن منه إنما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الأوطان لها أجرهم بغير حساب أجرا لا يهتدي إليه حساب الحساب وفي الحديث إنه تنصب الموازين
يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به أهل البلاء من الفضل قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وأمرت لأن أكون أول المسلمين وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا
والآخرة لأن قصب السبق في الدين بالإخلاص أو لأنه أول من أسلم وجهه من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الأول بتقييده بالعلة والإشعار بأن العبادة
المقرونة بالإخلاص وإن اقتضت لذاتها أن يؤمر بها فهي أيضا تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أفعل فيكون أمرا بالتقدم
في الإخلاص والبدء بنفسه في الدعاء إليه بعد الأمر به قل إني أخاف إن عصيت ربي بترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله
أعبد مخلصا له ديني أمر بالإخبار عن إخلاصه وأن يكون مخلصا له دينه بعد الأمر بالإخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والإخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لأطماعهم
ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل إن الخاسرين الكاملين في الخسران الذين خسروا أنفسهم بالضلال وأهليهم بالإضلال يوم القيامة
حين يدخلون النار بدل الجنة لأنهم جمعوا وجوه الخسران وقيل خسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا
عنهم ذهابا لا رجوع بعده ألا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بألا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم
من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل أطباق من النار هي ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا
عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به
للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان أن يعبدوها بدل اشتمال منه وأنابوا إلى الله وأقبلوا إليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة
عند حضور الموت فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وأنهم نقاد في الدين
يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل أولئك الذين هداهم الله لدينه وأولئك هم أولو الألباب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة
وفي ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام
تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة
على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وأن اجتهاد الرسول في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار ويجوز أن يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة
للدلالة على ذلك والإشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل على الأرض تجري من تحتها الأنهار
أي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لأن الخلف نقص وهو على الله محال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
هو المطر فسلكه فأدخله ينابيع في الأرض هي عيون ومجار كائنة فيها أو مياه نابعات فيها إذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر أو الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه

أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما
فتاتا إن في ذلك لذكرى لتذكيرا بأنه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبأنه مثل الحياة الدنيا فلا يغتر بها لأولي الألباب إذ لا يتذكر به غيرهم أفمن شرح الله صدره
للإسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث إن الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابل للإسلام
فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء إلى الحق وعنه عليه السلام إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبره محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من أجل ذكره وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من لأن القاسي
من أجل الشيء أشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه لسبب آخر وللمبالغة في وصف أولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر وأسنده إلى الله وقابله بقساوة القلب
وأسنده إليه أولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بأدنى نظر والآية نزلت في حمزة وعلي وأبي لهب وولده الله نزل أحسن الحديث يعني القرآن روي أن أصحاب رسول الله عليه السلام
ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للإسناد إليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من أحسن أو حال منه وتشابهه
تشابه أبعاضه في الإعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى أو مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن
سور وآيات والإنسان عظام وعروق وأعصاب أو جعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد
وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين
جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والإطلاق للإشعار بأن أصل أمره الرحمة وأن رحمته سبقت غضبه والتعدية بإلى لتضمين معنى السكون والاطمئنان
وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك أي الكتاب أو الكائن من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد
يخرجه من الضلال أفمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي به نفسه لأنه يكون مغلولة يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن منه فحذف
الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين أي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم وإشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون أي وباله والواو
للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها فأذاقهم الله الخزي الذل في الحياة الدنيا
كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم أكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج إليه الناظر في أمر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد
رجلا صالحا أو مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل المراد به الشك واستشهد بقوله وقد أتاك يقين غير ذي عوج من الإله وقول غير مكذوب
تخصيص لعله بعض مدلوله لعلهم يتقون علة أخرى مرتبة على الأولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه
من أن يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد
ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون
اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها أو حذف منها ذو ورجل سالم أي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لأنه أفطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه
على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للإشعار باختلاف النوع أو لأن المراد هل يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثلين فإن التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله
كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لأنه المنعم بالذات والمالك على الإطلاق بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم إنك ميت وإنهم ميتون فإن الكل
بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لأنه مما سيحدث ثم إنكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بأنك كنت على الحق
في التوحيد وكانوا على الباطل في الشرك واجتهدت في الإرشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالأباطيل مثل أطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد

بالاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن أظلم ممن كذب على الله بإضافة الولد والشريك إليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه السلام
إذ جاءه من غير توقف وتفكر في أمره أليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لأعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فإنهم يكذبون
بما علم صدقه وهو ضعيف لأنه مخصوص بمن فاجأ بما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله أولئك هم المتقون
وقيل هو النبي عليه السلام والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق أبو بكر وذلك يقتضي إضمار الذي وهو غير جائز
وقرئ وصدق بالتخفيف أي صدق به الناس فأداه إليهم كما نزل من غير تحريف أو صار صادقا بسببه لأنه معجز يدل على صدقه وصدق على البناء للمفعول لهم ما يشاؤون عند ربهم أي في الجنة
ذلك جزاء المحسنين على إحسانهم ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا خص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا كفر كان غيره أولى بذلك أو للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم مقصرون
مذنبون وأن ما يفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان وقرئ أسواء جمع سوء ويجزيهم أجرهم ويعطيهم ثوابهم
بأحسن الذي كانوا يعملون فتعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها أليس الله بكاف عبده استفهام إنكار للنفي مبالغة في الإثبات والعبد رسول الله ويحتمل
الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالأنبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فإنهم قالوا له إنا نخاف أن يخبلك آلهتنا لعيبك إياها وقيل إنه بعث خالدا ليكسر العزى
فقال له سادنها أحذركها فإن لها لشدة فعمد إليها خالد فهشم أنفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لأنه الآمر له بما خوف به عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه
بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه إلى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل إذ لا راد لفعله كما قال أليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من أعدائه ولئن سألتهم من
خلق السموات والأرض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أي أرأيتم بعد ما تحققتم أن خالق
العالم هو الله أن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني بضر هل يكشفنه أو أرادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني وقرأ أبو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته
بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في إصابة الخير ودفع الضر إذ تقرر بهذا التقرير أنه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير أو شر روي أن النبي عليه السلام
سألهم فسكتوا فنزل ذلك وإنما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الأنوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم أن الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم
اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم إني عامل أي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والإشعار بأن حاله لا تقف فإنه تعالى
يزيده على مر الأيام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فإن خزي أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم الله يوم بدر
ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق متلبسا به فمن اهتدى فلنفسه إذ نفع به نفسه
ومن ضل فإنما يضل عليها فإن وباله لا يتخطاها وما أنت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت أو ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها
إلى البدن وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الأخرى أي النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى أجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية
جنس الإرسال وما روي عن ابن عباس أن في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت
ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه إن في ذلك من التوفي والإمساك والإرسال لآيات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها
بالأبدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وإمساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وإرسالها حينا بعد حين إلى توفي آجالها
أم اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم
جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى أنه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة
إلا بإذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والأرض فإنه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه ثم إليه ترجعون

يوم القيامة فيكون الملك له أيضا حينئذ وإذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت وإذا
ذكر الذين من دونه يعني الأوثان إذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الأمرين حتى بلغ الغاية فيهما فإن الاستبشار أن يمتلئ قلبه
سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غما حتى ينقبض أديم وجهه والعامل في إذا المفاجأة قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة
التجئ إلى الله بالدعاء لما تحيرت في كفرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فإنه القادر على الأشياء والعالم بالأحوال كلها أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
أنت وحدك تقدر أن تحكم بيني وبينهم ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وعيد شديد وإقناط كلي لهم من الخلاص
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض
صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وأحاط بهم جزاؤه فإذا مس الإنسان ضر دعانا إخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله وإذا ذكر الله
وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره
دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم ثم إذا خولناه نعمة منا أعطيناه إياها تفضلا فإن التخويل مختص به قال إنما أوتيته
على علم على علم مني بوجوه كسبه أو بأني سأعطاه لما لي من استحقاقه أو من الله بي واستحقاقي والهاء لما إن جعلت موصولة وإلا فللنعمة والتذكير لأن المراد شيء منها
بل هي فتنة امتحان له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على
أن الإنسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله إنما أوتيته على علم عندي لأنها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فإنه قاله
ورضي به قومه فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فأصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات أعمالهم أو جزاء أعمالهم وسماه سيئة لأنه في مقابلة أعمالهم السيئة
رمزا إلى أن جميع أعمالهم كذلك والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان أو للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما أصاب أولئك وقد أصابهم فإنهم قحطوا
سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بأن الحوادث كلها من الله بوسط أو غيره قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي
وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا إن الله يغفر الذنوب جميعا
عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على إطلاقه فيما عدا الشرك قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية والتعليل بقوله إنه هو الغفور الرحيم
على المبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم
وتخصيص ضرر الإسراف بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة وإطلاقها وتعليله بأن الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته
على أنه المستغني المنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع وما روي أنه عليه السلام قال ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال
ألا ومن أشرك ثلاث مرات وما روي أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل
في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا وعذبوا فافتتنوا [illegible] لا ينفي عمومها وكذا قوله وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون
فإنها لا تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والإخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم
القرآن أو المأمور به دون المنهي عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة من قبل أن يأتيكم العذاب
بغتة وأنتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون أن تقول نفس كراهة أن تقول وتنكير نفس لأن القائل بعض الأنفس أو للتكثير كقول الأعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه أتاني
كريم ينفض الرأس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء على الأصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه أي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري أما تتقين الله

في جنب الله لكي حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف
كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر
او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل
للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله
هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة
تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه
بما لا يجوز عليه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو
اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ ينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة
تخصيص لها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال واخفى لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات
والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها
وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا لزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان انه سال النبي عليه السلام عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى
على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا
وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين ان خسروا انفسهم
وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم
لان غيرهم ذو حظ من الرحمة قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا
استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كقوله
الا ايها الزاجري احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تامرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى
الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة فرد
الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به
في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه ولولا دلالة التقديم
على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث
جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التي
تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريق التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت
لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت
بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها

سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى فصعق من في السموات ومن في
الارض خر ميتا او مغشيا عليه الا من شاء الله قيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول
ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون
وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر
الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع
الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ تقابل به الصحائف
وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على
ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة
بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة وهي جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر
ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا
الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم
عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع
الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال
لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم لان كلمة العذاب حقت عليهم
وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار
استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين
زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة
تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود
والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا
الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء
اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش
اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم متلبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه
اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم
على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضي بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه عليه السلام انه كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر سورة المؤمن مكية وهي خمس
وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك
لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص

ما في القرآن من الإعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات أخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والإضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب شديده أو الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أو أبدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا إله إلا هو فيجب الإقبال الكلي على عبادته إليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا لما حقق أمر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وإدحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث أهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام إن جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع أنه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك إمهالهم وإقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فإنهم مأخوذون عما قريب بكفرهم أخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود من بعدهم وهمت كل أمة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل من الأخذ بمعنى الأسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فأخذتهم بالإهلاك جزاء لهمهم فكيف كان عقاب فإنكم تمرون على ديارهم وترون أثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده أو قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم أنهم أصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل أو الاشتمال على إرادة اللفظ أو المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وحملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ أمره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والإكرام وجعل التسبيح أصلا والحمد حالا لأن الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به أخبر عنهم بالإيمان إظهارا لفضله وتعظيما لأهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا وإشعارا بأن حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة وإلهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على أن المشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة وإن تخالفت الأجناس لأنها أقوى المناسبات كما قال إنما المؤمنون إخوة ربنا أي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون أو حال وسعت كل شيء رحمة وعلما أي وسعت رحمته وعلمه فأزيل عن أصله للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم إياها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم عطف على هم الأول أي أدخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم أو الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد إنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات أو جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بمن صلح أو المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته أي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة والوقاية أو مجموعهما إن الذين كفروا ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم أي لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنفسكم الأمارة بالسوء إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الأول لا له لأنه أخبر عنه ولا للثاني لأن مقتهم أنفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء أعمالهم الخبيثة إلا أن يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن أو تعليل للحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا أمتنا اثنتين إماتتين بأن خلقتنا أمواتا أولا ثم صيرتنا أمواتا عند انقضاء آجالنا فإن الإماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء أو بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وإن خص بالتصيير فاختيار الفاعل المختار أحد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر وأحييتنا اثنتين الإحياءة الأولى وإحياءة البعث وقيل الإماتة الأولى عند انخرام الأجل والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال والإحياءان في القبر والبعث إذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فإن اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وإنكارهم للبعث فهل إلى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك إنما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا

وتحيرا ولذلك أجيبوا بقوله ذلكم أي الذي أنتم فيه بأنه بسبب أنه إذا دعي الله وحده متوحدا أو توحد وحده فحذف الفعل وأقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وإن يشرك به تؤمنوا بالإشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير من أن يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم على من أشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة بالعذاب هو الذي يريكم آياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب أن يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا أسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى إلا من ينيب يرجع عن الإنكار بالإقبال عليها والتفكر فيها فإن الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون إخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الألوهية فإن من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو أصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح أن يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات أو مصاعد الملائكة إلى العرش أو السموات أو درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده خبر رابع للدلالة على أن الروحانيات أيضا مسخرات لأمره بإظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن أمره بيانه لأنه أمر بالخير أو مبدؤه والأمر هو الملك المبلغ أي مختاره للنبوة وفيه دليل على أنها عطائية لينذر غاية الإلقاء والمستكن فيه لله أو لمن أو للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيامة فإن فيه تتلاقى الأرواح والأجسام وأهل السماء والأرض والمعبود والعابد والأعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شيء أو ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الأبدان أو أعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم وتقرير لقوله هم بارزون وإزاحة لنحو ما يتوهمونه في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس تكتسب بالعقائد والأعمال هيئات توجب لذتها وألمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فإذا قامت قيامتها زالت العوائق وأدركت لذتها وألمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب إن الله سريع الحساب إذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل إليهم ما يستحقونه سريعا وأنذرهم يوم الآزفة أي القيامة سميت بها لأزوفها أي قربها أو الخطة الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت إذ القلوب لدى الحناجر فإنها ترتفع عن أماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى لأنه على الإضافة أو منها أو من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لأن الكظم من أفعال العقلاء كقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم على أنه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع يشفع والضمائر إن كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وأنه لظلمهم يعلم خائنة الأعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى غير المحرم واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على أنه ما من خفي إلا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لأنه المالك الحاكم على الإطلاق فلا يقضي بشيء إلا وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لأن الجماد لا يقال فيه إنه يقضي أو لا يقضي وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات أو إضمار قل إن الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الأعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم أشد منهم قوة قدرة وتمكنا وإنما جيء بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر أشد منكم بالكاف وآثارا في الأرض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الأخذ بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات أو الأحكام الواضحة فكفروا فأخذهم الله إنه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة والعطف لتغاير الوصفين أو لإفراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنها إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى فيه تسلية لرسول الله عليه السلام وبيان لعاقبة من هو أشد الذين كانوا من قبلهم بطشا وأقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين إلا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة

وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا
في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل
دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع كلامه
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ
والتربية واضافته اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة
على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله
يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتأمل في امره ربي الله وحده وهو
في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم
الى الاعتراف ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه
خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله
اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين عالين
في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم
في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني
متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشّد كعبّاد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة
الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى
عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب
ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي فيه
بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في سورة الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر
المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف
يوسف بن يعقوب من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته
رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال
يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع
بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ والخبر كبر على حذف مضاف
اي جدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم

دوار

وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال
فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق
للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي
هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه
وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين
زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي
وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون
وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع
تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر
او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء جملة
اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم
ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء
الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان
فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقاده
لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة
والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق عدم دعوة آلهتكم
الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له
بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام
اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء
هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد
فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه
اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق او القتل او النار النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره
يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار
بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم
ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار
واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي

بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه
عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها
من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تاتيكم
رسلكم بالبينات اراد به الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم
وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحيوة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم
من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة ولانها لا يؤذن لهم
فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع
واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين
ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى
كافيك بالنصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا
ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتيهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر
والبحر وتسير معه الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكونان الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات او
المراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق
الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى
والبصير الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود
نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل
قليلا ما تتذكرون اي تذكرا ما قليلا تتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة ان الساعة لآتية
لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به
وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا
منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانها من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما
ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل
على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال
المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا
كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق

كل

كل من جحد بآيات الله ولم يتاملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال بان من فعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة
بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه
مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او الآيات
فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد او اخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا
لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا
وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى
هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراد فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم
كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون
عن التصديق وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي والشرائع
فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون
في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر
على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال واضمار الباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير للصديق
كانه سجر بالحب اي ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وانهم ينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان
تقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا
فلم يكن كذلك يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون
في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب
السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين لكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء
عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم
وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى
ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك وقيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته
حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر
هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل
ويركب كالابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال
على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة او لان المقصود التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون لاغراض دينية
واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك الآيات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل

الانكار وهو ناصب لاي اذ لو قدرته متعلقا بضمير كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم
واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقايدهم الزايغة وشبههم الداحضة لقوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها
وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبايع والتنجيم والصنايع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا
شدة عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم
والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى عنهم والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل
وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون
اي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة

السجدة مكية وآيها ثلث او اربع وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته مبتدأ فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ
لتخصيصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة
في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها
من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان لسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون لقوم يعلمون العربية او لاهل
العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة تنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر
لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر
ومن بيننا وبينك حجاب يمنع من التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك
ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام فاعمل على دينك او في ابطال امرنا انا عاملون على ديننا او في ابطال امرك
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة
في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه
من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم
الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة
لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم الآخرة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من منت الحبل اذا قطعته
نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في
كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به
الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق ما سواه رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها
رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها

بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر
من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين
للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير
في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف وتقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها
ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى المكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض
بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت
فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار
او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد تولده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة
اي ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران
وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع
لقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن سبع سموات
فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة
واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها
وحفظا وحفظناها من الآفات ومن المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة
والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة
عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم
من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة
وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة
كقوله يأتيها رزقها رغدا من كل مكان الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به
كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم
قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على
ما لا يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد
الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت
على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي
وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف العذاب به على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع
العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا
العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة

بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر أعداء الله إلى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى
عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب أعداء فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهي عبارة عن كثرة أهل النار حتى إذا ما جاءوها
إذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بأن ينطقها الله أو يظهر عليها آثارا تدل على ما
اقترف بها فينطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ أو تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أي ما نطقنا
بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أو ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي أنطق كل حي ولو أول الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة
وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود وأن يكون استئنافا وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أي
الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال إلا وهو عليه
ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم إشارة إلى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم خبران ويجوز
ظنكم بدلا وأرداكم خبرا فأصبحتم من الخاسرين إذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وإن يستعتبوا
يسألوا العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين إليها ونظيره قوله تعالى حكاية أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي
إن يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض
البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر الآخرة وإنكاره وحق عليهم القول أي كلمة العذاب في أمم في
كقوله أولئك [illegible] الصنيعة وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والإنس وقد عملوا مثل أعمالهم إنهم كانوا خاسرين تعليل
العذاب والضمير لهم وللأمم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات وارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم
الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو إذا هذى لعلكم تغلبون أي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا يراد بهم هؤلاء القائلون أو عامة الكفار ولنجزينهم
أسوأ الذي كانوا يعملون سيئات أعمالهم وقد سبق مثله ذلك إشارة إلى الأسوأ جزاء أعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء أو خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد
دار إقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على أن المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون الحق أو يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو
وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما إبليس وقابيل فإنهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والسوسي أرنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت أقدامنا ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الأسفل
ليكونا من الأسفلين مكانا أو ذلا إن الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته وإقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الإقرار في الرتبة من حيث أنه
الاستقامة أو لأنها عسر قلما يتبع الإقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة
فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن أو عند الموت أو الخروج من القبر ألا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وأن مصدرية أو مخففة
أو مفسرة وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة
وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب
نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون للإشعار بأن ما يتمنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله إلى عبادته وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه وقال إنني من المسلمين تفاخرا به واتخاذا للإسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي
وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي ادفع بالتي هي أحسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي

وهي الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقا أو بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وإنما أخرجه مخرج الاستئناف على أنه جواب من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع
أحسن موضع الحسنة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم أي إذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة
بالإحسان إلا الذين صبروا فإنها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وإما ينزغنك من الشيطان نزغ
نخس شبه به وسوسته لأنها تبعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو أسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده أو أريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره
ولا تطعه إنه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك أو بصلاحك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا
لله الذي خلقهن الضمير للأربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بها إشعارا بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار إن كنتم إياه تعبدون فإن السجود أخص العبادات وهو موضع
السجود عندنا لاقتران الأمر به وعند أبي حنيفة آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى فإن استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار
لقوله وهم لا يسأمون أي لا يملون ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت
وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت أي زادت إن الذي أحياها بعد موتها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير من الإحياء والإماتة إن الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة
في آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والإلغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على إلحادهم أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة قابل الإلقاء
بالإتيان آمنا مبالغة في إحماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد إنه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله إن الذين
يلحدون في آياتنا أو مستأنف وخبر إن محذوف مثل معاندون أو هالكون أو أولئك ينادون والذكر القرآن وإنه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير أو منيع لا يتأتى
وتحريفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات أو مما فيه من الأخبار الماضية والأمور الآتية تنزيل من حكيم أي حكيم حميد
كل خلق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك أي ما يقول لك كفار قومك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم أو ما يقول الله لك إلا مثل ما قال
إن ربك لذو مغفرة لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدائهم وهو على الثاني يحتمل أن يكون المقول بمعنى أن حاصل ما أوحي إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة
بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا أعجميا جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي الكلام
عربي إنكار مقرر للتخصيص والأعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه والكلام وقرئ أعجمي وهو منسوب إلى العجم وقرأ هشام أعجمي على الإخبار وعلى هذا يجوز أن يكون المراد
فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لإفهام العجم وبعضها عربيا لإفهام العرب والمقصود إبطال مقترحهم باستلزامه المحذور والدلالة على أنهم لا ينفكون عن
في الآيات كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير هو
في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى أولئك ينادون من مكان
بعيد هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصاح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة
من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ أو تقدير الآجال لقضي بينهم باستئصال المكذبين وإنهم وإن اليهود أو الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التوراة
مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن أساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس لهم أن يفعله إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل
إلا هو وما تخرج من ثمرة من أكمامها من أوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الأنواع وقرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى
ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قرينتها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه إلا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم أين شركائي بزعمكم
قالوا آذناك أعلمناك ما منا من شهيد من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأوا منهم لما عاينوا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ أو من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنا وقيل هو قول
أي ما منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم أو لا يرونه وظنوا وأيقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي

لا يسأم الإنسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وإن مسه الشر الضيقة فيؤوس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله
إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقد بولغ في بنائه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور أثر اليأس ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء
مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحققته لما لي من الفضل والعمل أو لي دائما لا يزول وما أظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى أي ولئن قامت
على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة أعمالهم
ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه أو ذهب بنفسه
بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل
إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل أرأيتم أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من أضل
ممن هو في شقاق بعيد أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما أخبرهم النبي عليه السلام به
من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسره الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي أنفسهم ما ظهر فيما بين أهل مكة
وما حل بهم أو فيما بدن لأن من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم أنه الحق الضمير للقرآن أو الرسول أو التوحيد أو الله أولم يكف بربك
أي أولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل أولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل إلا مع كفى أنه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى أولم يكفك أنه تعالى
على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة أو مطلع فيعلم حالك وحالهم أو لم يكف الإنسان رادعا عن المعاصي أنه تعالى
مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية ألا إنهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء ألا إنه بكل شيء محيط عالم بجمل الأشياء
وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي عليه السلام من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات سورة حم عسق مكية وهي ثلاث وخمسون آية

وتسمى سورة الشورى بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسما للسورة ولذلك فصل بينهما وعد آيتين وإن كان اسما فالفصل ليطابق سائر الحواميم
وقرئ حم سق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم أي مثل ما في هذه السورة من المعاني أوحى الله إليك في سائر السور وإلى من قبلك من الرسل
في كتبهم وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وأن إيحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره
والمسند إلى ضميره أو مصدر ويوحى مسند إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحي كما مر في السورة السابقة أو بالابتداء
كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الأخر استئناف مقرر
لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وأبو بكر ينفطرن والأول أبلغ لأنه مطاوع
فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الأول لأن أعظم الآيات وأدلها على علو شأنه
من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الأولى وقيل الضمير للأرض فإن المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض بالسعي فيما
يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع
عم الحيوان بل الجماد وحيث خص المؤمنين فالمراد به الشفاعة ألا إن الله هو الغفور الرحيم إذ ما من مخلوق إلا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته وعلى
الثاني دلالة على تقدسه عما نسب إليه وأن عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه أولياء شركاء وأندادا
الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها وما أنت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم أو بموكول إليه أمرهم وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا ذلك إشارة
إلى مصدر يوحي أو إلى معنى الآية المتقدمة فإنه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حالا منه لتنذر أم القرى أهل أم القرى وهي مكة ومن حولها من العرب

وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع فيه الخلائق أو الأرواح والأشباح أو العمال والأعمال وحذف ثاني مفعولي الأول وأول مفعولي الثاني للتهويل وإيهام التعميم
وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير أي بعد جمعهم في الموقف يجمعون أولا ثم يفترقون والتقدير منهم فريق والضمير
للمجموع لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم أي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق أو متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم أمة
واحدة مهتدين أو ضالين ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير أي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل
تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد إذ الكلام في الإنذار أم اتخذوا بل اتخذوا من دونه أولياء كالأصنام فالله هو الولي جواب شرط محذوف مثل إن أرادوا أولياء
فالله هو الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم أنتم والكفار فيه من شيء من أمور الدين أو الدنيا فحكمه إلى الله
مفوض إليه يميز المحق من المبطل بالنصر أو الإثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع
الأمور وإليه أنيب أرجع في المعضلات فاطر السموات والأرض خبر آخر لذلكم أو مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير أو الوصف لإلى الله من أنفسكم
أزواجا من جنسكم نساء ومن الأنعام أزواجا أي وخلق للأنعام من جنسها أزواجا أو خلق لكم من الأنعام أصنافا أو ذكورا وإناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه
الذرو والذر فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والأنعام أزواجا يكون بينهم توالد فإنه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء أي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد
من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فإذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب
ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى أنه يعطي معنى ليس مثله غير أنه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته أي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير
لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والأرض خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته إنه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما السلام ومن بينهما من أرباب الشرائع وهو الأصل المشترك فيما
بينهم المفسر بقوله أن أقيموا الدين وهو الإيمان بما يجب تصديقه والطاعة في أحكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع أو الرفع على الاستئناف كأنه جواب وما ذاك
أو الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الأصل أما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم
ما تدعوهم إليه من التوحيد الله يجتبي إليه من يشاء يجتلب إليه والضمير لما تدعوهم أو للدين ويهدي إليه بالإرشاد والتوفيق من ينيب يقبل إليه وما تفرقوا يعني الأمم
السالفة وقيل أهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم العلم بأن التفرق ضلال متوعد عليه أو العلم بمبعث الرسول أو أسباب العلم من الرسل
والكتب وغيرها فلم يلتفتوا إليها بغيا بينهم عداوة أو طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالإمهال إلى أجل مسمى هو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقدرة لقضي بينهم
باستئصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم يعني أهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول والمشركين الذين أورثوا القرآن من بعد
أهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو أو لا يؤمنون حق الإيمان أو القرآن مريب مقلق أو مدخل في الريبة فلذلك فلأجل ذلك التفرق
أو الكتاب أو العلم الذي أوتيته فادع إلى الاتفاق على الملة الحنيفية أو الاتباع لما أوتيت وعلى هذا يجوز أن تكون اللام في موضع إلى لإفادة الصلة والتعليل
كما أمرت واستقم على الدعوة كما أمرك الله ولا تتبع أهواءهم الباطلة وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا
وأمرت لأعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومة والأول إشارة إلى كمال القوة النظرية وهذا إشارة إلى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي أمره
لنا أعمالنا ولكم أعمالكم فكل مجازى بعمله لا حجة بيننا يوم القيمة وإليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة
والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه أو من بعد ما استجاب الله لرسوله فأظهر دينه بنصره يوم بدر أو من بعد ما استجاب
أهل الكتاب بأن أقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي أنزل الكتاب

بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن
اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل
تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب
ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مرية الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند
صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءها الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف
من البر لا يبلغها الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان
يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع
الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات
ولكل امرء ما نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل
للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سن لهم ولولا كلمة الفصل
اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح
عطفا على كلمة الفصل اي لولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيمة
مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها
لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر
من بشره وقرئ يبشر من ابشره قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي
وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها
كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله وروي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وقيل
القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول
وقيل نزلت في ابي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل
عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن فان يشا الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه
انما يجتري عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشا الله خذلانك يختم على قلبك لتجتري بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن
والوحي عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استيناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه
اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحق باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع
اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت
حقيقة التوبة وعن علي هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية
واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة

وقرا حمزة وحفص والكسائي ما يفعلون بالياء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة
الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم
من فضله على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير
ما يشاء ما اقتضته مشيته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلاياها فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا
تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرا نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا
منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته
خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما
يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما يدخل على الماضي يدخل على المضارع وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب
فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب
وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به
كانه علم في راسه نار ان يشا يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته
وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة
والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا
بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع
جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرا نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين
ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير وابقى لخلوص نفعه
ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاءها سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر رضي الله عنه
بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون وما بعده عطف على للذين آمنوا او مدح منصوب
او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار
دعاهم رسول الله الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهو مصدر
كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم
بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء
على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه
فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك
ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق

اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان
بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا
يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليه العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل
ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيمة بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم
او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله
لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة مرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم
تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان
الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين
جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية
واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية
كيف يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض
والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها
اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء
او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه
الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك
بسرعة لانه تمثيل ليس بذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الروية
والمهتف به كما اتفق لموسى عليه السلام في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الروية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع
او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ الوحي كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك
الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب
ظرفا وقعت احوالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام فيوحي بسكان الياء انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا
واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه اي الروح او الكتاب او الايمان
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي بالتوفيق للقبول والنظر فيه الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له
ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي عليه السلام من قرا حم عسق كان
ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض

بالانبياء استشهادا بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب ما يدل على انه تعالى صيره كذلك
لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرا حمزة والكسائي ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا
عن التغيير لعلي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه او حال منه
او بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف
قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله
ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون
الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على
ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون تسلية لرسول الله عليه السلام
عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد
للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا
لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكي عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استيناف الذي جعل لكم الارض مهدا
فتستقرون فيها وقرا غير الكوفيين مهادا بالالف وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل
من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا مال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون
من قبوركم وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه
على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال
لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى انه عليه السلام كان
اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك
لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم
اي قد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد
الحق في ذاته وقرا ابو بكر جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات
واصفيكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم
بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمهم به كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا
صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكابة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان
في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا او من ينشؤ في الحلية اي او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه
من نقصان العقل وضعف الراي ويجوز ان يكون من مبتدا محذوف الخبر اي ومن هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرا حمزة
والكسائي وحفص ينشؤ اي يربى وقرئ ينشؤ وينا شا بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وغالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم

وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع
أشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا
بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان قالوا ان لله جزءا وانه بنات
وهن الملائكة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل
لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون
الاشارة الى اصل الدعوى كأنه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال
ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة
اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم
اي القاصد ومنها الدين وانا على آثارهم مهتدون خبر ان او الظرف صلة لمهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله عليه السلام ودلالة على
ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم
باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اي اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب لرسول الله عليه السلام ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر
وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث
بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون
برئ من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل
على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين سيثبتني على الهداية
او سيهدين الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها كلمة وجعل ابراهيم او الله كلمة التوحيد باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة
وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه السلام من قريش
وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم
الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون
زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستحقار به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى
القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي
عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمت ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة
يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم
فيحصل بينهم تألف وتضام وينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه
ورحمت ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر
اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج

عليها

عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال وعلله كقولك وهبت له ثوبا قميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا
اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة
عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام
بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والآخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة
لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل به في الاكثر لما فيه
من الآفات قل من يتخلص عنها كما اشار بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم
يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما
وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفع نقيض وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين
للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر
وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس
القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم
في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسيمهم لمكابدة
عنائه اذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله عليه السلام يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا
ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل
نصرك عليهم وتعذيبهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعدك في الدنيا والآخرة او نرينك الذي وعدناهم او اردنا
ان نريك ما وعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس او نرينك بسكون النون وكذا نذهبن فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات
والشرائع وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد
باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه
فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى الى التوحيد
فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون فاجأوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى
درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل
لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد
لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا وقرأ
ابن عامر بضم الهاء ادع لنا ربك اي يكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى
او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة انا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجأوا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون

في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون
ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه على الملك فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها
وتجري خبرها أفلا تبصرون ذلك أم أنا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام
لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وأم اما منقطعة والهمزة للتقرير اذ قدم من اسباب فضله ومتصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون فتعلمون اني
خير منه فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب اي فهلا ألقي اليه مقاليد الملك ان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأساورة جمع اسوار
بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وألقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل
أو جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته فاقترن او متقارنين بمعنى تقارنوا فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم
فأطاعوه فيما امرهم به إنهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من أسف اذا اشتد غضبه انتقمنا
منهم فأغرقناهم أجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي
بضم السين واللام جمع سليف كرغيف او سالف كصبر او سلف ككتب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم
او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم ونحوه بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او على قوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد
المسيح اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه
وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا أآلهتنا خير أم هو اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون
ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين والف بعدهما ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل
الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر
لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض
والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فانه تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق
الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياءه الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اي علامة
والذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح
الامام فيتقدم عيسى فيصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام
بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل
سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات
قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بالدنيا فان الانبياء لم يبعث لبيانها ولذلك قال عليه السلام
انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم
الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى
من بين قوم المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم أليم هو يوم القيامة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون

الا

الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الأخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ
لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابد الآباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به
المتقون المتحابون في الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين آمنوا مخلصين غير
ان هذه العبارة آكد وابلغ ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة
او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة
ما تشتهي الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون
فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه
يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة ووقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون
وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن
وهو حقير بالاضافة الى سائر نعيم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكي عنهم ما يخص بالكفار في عذاب
جهنم خالدون خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون
آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون
تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربك ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة
قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك
ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وآداب الجوارح أم أبرموا أمرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول
عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله أم يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك
ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله
وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد
نفيها على ابلغ الوجوه كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء
معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا
اول العابدين الموحدين لله او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد
بالضم وسكون اللام سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام
من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي يوم القيامة وهو دلالة على ان قولهم
هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن
معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبر اله لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة
وقدر لانه مبتدأ محذوف ويكون الجملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق
الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها واليه ترجعون

للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله إلا من شهد
بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل إن أريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل إن خص بالأصنام ولئن سألتهم من خلقهم
العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فأنى يؤفكون يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم
أو على محل الساعة أو لإضمار فعله أي قال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون أو معطوف على علم الساعة
بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار أو مجرور بإضماره أو مرفوع بتقدير قيله يا رب قسمي وإن هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فأعرض عن دعوتهم آيسا عن إيمانهم
وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على أنه من المأمور بقوله عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الزخرف
كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون سورة الدخان مكية إلا قوله إنا كاشفوا العذاب الآية وهي سبع أو تسع وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف إن كان حم مقسما بها وإلا فللقسم والجواب قوله إنا أنزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر أو البراءة
ابتدئ فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا من اللوح ثم أنزل على الرسول عليه السلام نجوما وبركتها لذلك فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية
أو لما فيها من نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الأقضية إنا كنا منذرين استئناف يبين المقتضي للإنزال وكذلك قوله فيها يفرق كل أمر
حكيم فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز أن يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض
وهو يدل على أن الليلة ليلة القدر لأنه صفتها لقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق أي يفرقه الله ونفرق بالنون
أمرا من عندنا أي أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للأمر ويجوز أن يكون حالا من كل أو أمر أو ضميره المستكن في حكيم لأنه موصوف
وأن يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق أو لفعله مضمرا من حيث إن الفرق به أو حالا من أحد ضميري أنزلناه بمعنى آمرين أو مأمورا إنا كنا مرسلين رحمة
من ربك بدل من إنا كنا منذرين أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للإشعار بأن الربوبية
اقتضت ذلك فإنه أعظم أنواع التربية أو علة ليفرق أو أمرا ورحمة مفعول به أي يفصل فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من شأننا أن نرسل رحمتنا فإن فصل
كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها وصدور الأوامر الإلهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة إنه هو السميع العليم يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم وهو بما بعده
تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق إلا لمن هذه صفاته رب السموات والأرض وما بينهما خبر آخر أو استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك إن كنتم موقنين أي إن كنتم
من أهل الإيقان في العلوم أو إن كنتم موقنين في إقراركم إذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا إله إلا هو
يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الأولين وقرئ بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان مبين
يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار أو لأن العرب تسمي
الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلاب وعظامها وإسناد الإتيان إلى السماء لأن ذلك يكفه عن الأمطار أو يوم ظهور الدخان المعدود في أشراط الساعة لما روي
أنه عليه السلام لما قال أول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله عليه السلام الآية وقال يملأ
ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره أو يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين
يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وإنا مؤمنون وعد بالإيمان إن كشف العذاب عنهم
أنى لهم الذكرى من أين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو أعظم منها في إيجاب الإذكار من الآيات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم
مجنون قال بعضهم يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون إنه مجنون إنا كاشفوا العذاب بدعاء النبي عليه السلام فإنه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا أو زمانا قليلا

وهو ما بقي من أعمارهم إنكم عائدون إلى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الأشراط قال إذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الأربعين
فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيمة أوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة أو يوم بدر ظرف لفعل دل عليه إنا منتقمون
لا لمنتقمون فإن إن تحجزه عنه أو بدل من يوم تأتي وقرئ نبطش أي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم أو نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بالصولة ولقد فتنا قبلهم قوم
فرعون امتحناهم بإرسال موسى إليهم أو أوقعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد أو لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم
على الله أو على المؤمنين أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه أن أدوا إلي عباد الله بأن أدوهم إلي وأرسلوهم معي أو بأن أدوا إلي حق الله من الإيمان وقبول الدعوة
يا عباد الله ويجوز أن تكون أن مخففة ومفسرة لأن مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة إني لكم رسول أمين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه أو لائتمان الله إياه
على وحيه وهو علة الأمر وأن لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وأن كالأولى في وجهيها إني آتيكم بسلطان مبين علة للنهي والذكر الأمين
مع الأداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى وإني عذت بربي وربكم التجأت إليه وتوكلت عليه أن ترجمون أن تؤذوني ضربا أو شتما أو أن تقتلوني وقرئ
عت بالإدغام وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا إلي بسوء فإنه ليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعدما كذبوه أن هؤلاء
بأن هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على إضمار القول فأسر بعبادي ليلا أي فقال أسر أو قال إن
كان الأمر كذلك فأسر وقرأ أبو عمرو بوصل الهمزة من سرى إنكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكنا
على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط إنهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها والأمر كذلك وأورثناها
عطف على الفعل المقدر أو على تركوا قوما آخرين ليسوا منهم في شيء وهم بنو إسرائيل وقيل غيرهم لأنهم لم يعودوا إلى مصر فما بكت عليهم السماء والأرض مجاز عن عدم الاكتراث
بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي في الأخبار أن المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله
ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم أهل السماء والأرض وما كانوا منظرين ممهلين إلى وقت آخر ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون
وقتله أبناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف أو جعله عذابا لإفراطه في التعذيب أو حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام
تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة إنه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر ثان أي كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير في عاليا أي كان رفيع الطبقة
من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني إسرائيل على علم عالمين بأنهم أحقاء بذلك أو مع علم منا بأنهم يزيغون في بعض الأحوال على العالمين لكثرة الأنبياء فيهم أو على عالمي زمانهم
وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية أو اختبار ظاهر إن هؤلاء يعني كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون
وقومه مسوقة للدلالة على أنهم مثلهم في الإصرار على الضلالة والإنذار عن مثل ما حل بهم ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى
المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه إلى إثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الأولى ومات وقيل لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك
قالوا إن هي إلا موتتنا الأولى أي ما الموتة التي من شأنها كذلك إلا الموتة الأولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين
إن كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه أهم خير في القوة والمنعة أم قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين
ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل لهم الأقيال لأنهم يتقيلون والذين من قبلهم
كعاد وثمود أهلكناهم استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش أو حال بإضمار قد أو خبر من الموصول إن استؤنف به إنهم كانوا مجرمين بيان للجامع
المقتضي للإهلاك وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الأنبياء وغيرها ما خلقناهما

إلا بالحق إلا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة أو البعث والجزاء ولكن أكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم إن يوم الفصل فصل الحق
عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه ميقاتهم وقت موعدهم أجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه الاسم أي إن ميعاد جزائهم
يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولى عن مولى من قرابة أو غيرها شيئاً أي شيئاً من الإغناء
ولا هم ينصرون الضمير لمولى الأول باعتبار المعنى لأنه عام إلا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء
إنه هو العزيز لا ينصر منه من أراد تعذيبه الرحيم لمن أراد أن يرحمه إن شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الأثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر
لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على أن الضمير للطعام أو الزقوم
لا المهل إذ الأظهر أن الجملة حال من أحدهما كغلي الحميم غلياً مثل غليه خذوه على إرادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر
وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان إلى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان أصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب
هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع ذق إنك أنت العزيز الكريم أي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعاً
على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي أنك بالفتح أي ذق لأنك إن هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه إن المتقين في مقام في موضع إقامة
وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم أمين يأمن صاحبه عن الآفات والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون
من سندس وإستبرق خبر ثان أو حال من الضمير في الجار أو استئناف والسندس ما رق من الحرير والإستبرق ما غلظ منه معرب استبر أو مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم
ببعض كذلك الأمر كذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحور البيضاء والعيناء العظيمة العينين واختلف في أنهن نساء
الدنيا أو غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت
إلا الموتة الأولى بل يحيون فيها دائماً والاستثناء منقطع أو متصل والضمير للآخرة والموت أول أحوالها أو الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها أو للمبالغة
في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقاهم على المبالغة فضلاً من ربك
أي أعطوا كل ذلك عطاء وتفضلاً منه وقرئ بالرفع أي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لأنه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فإنما يسرناه بلسانك سهلناه
حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم إنهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك
عن النبي عليه السلام من قرأ حم الدخان ليلة جمعة أصبح مغفوراً له

سورة الجاثية مكية وهي سبع أو ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
إن جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت إلى إضمار مثل تنزيل حم وإن جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به
وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يجوز
عطفه على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف إليه بأحد الاحتمالين فإن بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه إلى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون
محمول على محل إن واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملاً على الاسم واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقاً لأنه سببه
فأحيا به الأرض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان
والعطف على عاملين في والابتداء أو إن إلا أن يضمر في أو ينصب آيات على الاختصاص أو يرفع بإضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات في الدقة
تلك آيات الله أي تلك الآيات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الإشارة بالحق ملتبسين به أو ملتبسة به فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون أي بعد آيات الله
وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك أعجبني زيد وكرمه أو بعد حديث الله وهو القرآن لقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وآياته دلائله المتلو ولا يليه

والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وأبو عمرو وروح يؤمنون بالتاء ليوافق ما قبله ويل لكل أفاك كذاب أثيم كثير الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه
ثم يصر يقيم على كفره مستكبراً عن الإيمان بالآيات وثم لاستبعاد الإصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها أي كأنه فخففت وحذف ضمير الشأن
والجملة في موقع الحال أي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب أليم على إصراره والبشارة على الأصل أو التهكم وإذا علم من آياتنا شيئاً وإذا بلغه شيء وعلم أنه منها
اتخذها هزواً لذلك من غير أن يرى فيها ما يناسب الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الإشعار بأنه إذا سمع كلاماً وعلم أنه من الآيات بادر إلى الاستهزاء بالآيات كلها
ولم يقتصر على ما سمعه أو لشيء لأنه بمعنى الآية أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ومن قدامهم لأنهم متوجهون إليها أو من خلفهم لأنها بعد آجالهم ولا يغني عنهم
ولا يدفع ما كسبوا من الأموال والأولاد شيئاً من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء أي الأصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الإشارة إلى القرآن
ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع أليم والرجز أشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بأن جعله
أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بأمره بتسخيره وأنتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم
تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً بأن خلقها نافعة لكم منه حال من ما أي سخر هذه الأشياء كائنة منه أو خبر لمحذوف أي هي جميعاً منه أو لما في السموات
وسخر لكم تكرير للتأكيد أو لما في الأرض وقرئ منة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الإسناد المجازي أو خبر محذوف إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنائعه
قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا أي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون أيام الله لا يتوقعون وقائعه بأعدائه
من قولهم أيام العرب لوقائعهم أو لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم أن يبطش به
وقيل إنها منسوخة بآية القتال ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون علة للأمر والقوم هم المؤمنون أو الكافرون أو كلاهما فيكون التنكير للتعظيم أو التحقير والتنويع
أو الإساءة أو ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوماً أي ليجزى الخير أو الشر أو الجزاء أعني ما يجزى به لا المصدر فإنه
لا يسند إليه مع المفعول به صريحاً من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها إذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم إلى ربكم ترجعون فيجازيكم على أعمالكم ولقد آتينا بني إسرائيل
الكتاب التوراة والحكم والحكمة النظرية والعملية أو فصل الخصومات والنبوة إذ كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما أحل الله من اللذائذ
وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم وآتيناهم بينات من الأمر أدلة في أمر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من أمر النبي عليه السلام مبينة
لصدقه فما اختلفوا في ذلك الأمر إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغياً بينهم عداوة وحسداً إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة
والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الأمر أمر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات
وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع إلى دين آبائك إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً مما أراد بك وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض إذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم
باتباع أهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا أي القرآن واتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلال
ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين أم حسب الذين اجترحوا السيئات أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة
أن نجعلهم أن نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه إن كان الضمير للموصول الأول لأن المماثلة فيه
إذ المعنى إنكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل أو الحال من الضمير
أو المفعولية والكاف حال وإن كان للثاني فحال منه أو استئناف يبين المقتضي للإنكار وإن كان لهما فبدل أو حال من الثاني وضمير الأول والمعنى إنكار أن يستووا بعد الممات
في الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة أو استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على
أن محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا أو بئس شيئاً حكموا به ذلك وخلق الله السموات والأرض بالحق كأنه دليل على الحكم السابق من حيث

ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف
على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن
ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرأيت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن
حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات
وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا
ما هي الحيوة او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا
او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل
مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون
اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينا له ما كان حجتهم ما كان لهم
متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء
حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة
على ما قررنا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على المحسوس ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي يخسرون يوم تقوم ويومئذ
بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها
صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة
فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف
القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق
كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله
نظن ظنا فادخل حرفا النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه
ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم
اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها
فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوه له
عن النبي عليه السلام من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دليل على وجود الصانع الحكيم والبعث

للمجازاة

للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك
الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل أرأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها في انفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فيستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط
شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين
هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ
اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة
بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى
عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون
مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا
ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شأنه والمراد به الآيات ووضعه في موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير
المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين جاءهم من غير نظر وتأمل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر
تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها
فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق
والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت
بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه جمع
كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتأكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية
مرفوعة وقرئ يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين
وما انا الا نذير عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل أرأيتم ان كان من عند الله اي القرآن وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان تكون
الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام
وشهادته ما في التورية من نعت الرسول عليه السلام على مثله مثل القرآن وهو ما في التورية من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله
فآمن اي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل
على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما اتى به محمد خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة
وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل
ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة
على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها
الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر الذين
ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله

قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف
اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا
يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا
وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان
كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع
التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلاثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد
في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الا
ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة
قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد
ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب
رضاء الله عز وجل واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك واني من المسلمين
المخلصين لك اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما
في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال
لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت
في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرأ هشام اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان الله
يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله
حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول فانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه
من اهل ذلك وقد جب عنه ان كان لا سلامه في امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستئناف
ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وهاهنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل تعرض النار
عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ
بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان
وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا
اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن
وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء
انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك
ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم

ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا
سحابا عرض في افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي يأتينا بالمطر بل هو اي قال هود
بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم
بامر ربها اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا
اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون استئنافا فالهاء لله تعالى لانه على ان لكل ممكن فناء مقتضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون الهاء لكل شيء
فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة ويعقوب لا يرى
الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على
الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما هاهنا لانها توجب التكرير
لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء
ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك
النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بآيات الله صلة
لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة
من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم
الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول محذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان
وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم
وذلك اتخاذهم اياها آلهة اثر صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اي جعلهم آفكين وافكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي القرآن او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم
لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول عليه السلام ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين مخوفين داعين الى
ما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما
قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به
يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة باقتصارهم على المغفرة
والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه
اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة
لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الآباد بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه
بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا
على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم
والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها

وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه
كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر
قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم
في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به
السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلّغ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه
مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها
ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا سورة محمد عليه السلام وتسمى سورة القتال
وهي مدنية وقيل مكية وآيها سبع او ثمان وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه
او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضائعة محبطة
بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه
على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به
تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزّل
على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة
الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء
الحق وهذا التصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك سمي تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم
بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون
الرقبة حيث امكن وتصوير له بشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فأسروهم واحفظوهم والوثاق
بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء
فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند ابي حنيفة او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او
وقرئ فدى كعصا حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها
حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين
بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلام ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم باستئصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم
بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر
قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم
او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي
اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله تنصروا دينه ورسوله

ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها
من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا ومفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله من القرآن
من التوحيد والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم
الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم
وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك
بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين
غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء الاحكام على المضاف اليه والاخراج
باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي
والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها
العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف
استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف وتقديره امن هو خالد
في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من هو على بينة في الآخرة تقريرا لانكاره لمساواته فيها انهار من ماء غير آسن
استئناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار
وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة
بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هيئة العبارة ومغفرة من ربهم
عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبر محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة
من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله عليه السلام ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة
ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف
ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزؤا وتهاونوا بالكلام والذين اهتدوا زادهم
هدى اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة
غيرها ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى
ان الساعة تأتيهم بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث النبي عليه السلام وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله
واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار لفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم فانها جنس آخر
فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم

ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة أي هلا نزلت سورة في أمر الجهاد فإذا أنزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال أي الأمر به رأيت الذين
في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت جبناً ومخافة فأولى لهم فويل لهم أفعل من الولي وهو القرب أو فعلى من آل
ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أمرهم طاعة وقول معروف استئناف أي أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية قولهم لقراءة أبي
يقولون طاعة فإذا عزم الأمر أي جد وهو لأصحاب الأمر وإسناده إليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله أي فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان
لكان الصدق خيراً لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحراً
على الولاية وتجاذباً لها أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الأقارب والمعنى أنهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بأن يتوقع ذلك منهم
من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فإن بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره أن تفسدوا وإن توليتم اعتراض وعن يعقوب إن توليتم أي إن تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم
في الإفساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من التقطيع وقرئ تقطعوا من التقطع أولئك إشارة إلى المذكورين الذين لعنهم الله لإفسادهم وقطعهم الأرحام فأصمهم عن استماع
الحق وأعمى أبصارهم فلا يهتدون سبيله أفلا يتدبرون القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي أم على قلوب أقفالها لا يصل إليها ذكر
ولا ينكشف لها أمر وقيل أم منقطعة والهمزة فيها للتقرير وتنكير القلوب لأن المراد قلوب بعض منهم أو للإشعار بأنها لإبهام أمرها في القساوة أو لفرط جهالتها ونكرها
كأنها مبهمة منكورة وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الأقفال المعهودة وقرئ إقفالها على المصدر إن الذين ارتدوا على أدبارهم
إلى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات
من السول وهو التمني وفيه أن السول مهموز قلبت همزته واواً لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف أي كيد الشيطان سول لهم
وأملى لهم ومد لهم في الآمال والأماني أو أمهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب وأملي لهم أي وأنا أملي لهم فتكون الواو للحال أو الاستئناف وقرأ أبو عمرو وأملي على
البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان أو لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله أي قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعدما تبين لهم نعته للمنافقين أو المنافقون لهم أو أحد
الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الأمر في بعض أموركم أو في بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم إن أخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم إسرارهم
ومنها قولهم هذا الذي أفشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص إسرارهم على المصدر فكيف إذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو
يحتمل الماضي والمضارع المحذوف إحدى تائيه يضربون وجوههم وأدبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك إشارة إلى التوفي الموصوف بأنهم اتبعوا
ما أسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الأمر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الإيمان والجهاد وغيره من الطاعات فأحبط الله أعمالهم لذلك أم حسب الذين في
قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أن لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين أضغانهم أحقادهم ولو نشاء لأريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم
التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول أسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن
لأنه يعدل الكلام عن الصواب والله يعلم أعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم إذ الأعمال بالنيات ولنبلونكم بالأمر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
على مشاقها ونبلو أخباركم ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها أو أخبارهم عن إيمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ أبو بكر الأفعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها
وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر
لن يضروا الله شيئاً بكفرهم وصدهم أو لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط أعمالهم ثواب حسنات أعمالهم بذلك أو مكائدهم
التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها إلى مقاصدهم ولا تثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم بما أبطل به
هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى ونحوها وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم

عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القليب ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا
إلى السلم ولا تدعوا إلى الصلح خوراً وتذللاً ويجوز نصبه بإضمار أن وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر السين وأنتم الأعلون الأغلبون
والله معكم ناصركم ولن يتركم أعمالكم ولن يضيع أعمالكم من وترت الرجل إذا قتلت متعلقاً له من قريب أو حميم فأفردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وإفراده منه
إنما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم وتقواكم ولا يسألكم أموالكم جميع أموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر
والعشر وغيره إن يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والإحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه إذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج
أضغانكم ويضغنكم على رسول الله عليه السلام والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون أو البخل لأنه سبب الأضغان وقرئ يخرج بالياء والتاء ورفع أضغانكم
ها أنتم هؤلاء أي أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين وهو يعم نفقة
الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه فإن نفع الإنفاق وضرر البخل عائدان إليه والبخل
يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدي فإنه إمساك عن مستحق والله الغني وأنتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم
وإن تتولوا عطف على وإن تؤمنوا يستبدل قوماً غيركم يقم مقامكم قوماً آخرين ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي والزهد في الإيمان وهم الفرس لأنه سئل عليه السلام عنه
وكان سلمان إلى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه أو الأنصار أو اليمن أو الملائكة عن النبي عليه السلام من قرأ سورة محمد كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة

سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله عليه السلام من الحديبية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً
وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه أو بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك أو إخبار عن صلح الحديبية وإنما سماه فتحاً لأنه كان بعد ظهوره على
المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله عليه السلام لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وأدخل في الإسلام خلقاً عظيماً وظهر له في الحديبية
آية عظيمة وهي أنه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه أو فتح الروم فإنهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرفت كونه فتحاً
للرسول عليه السلام في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء أي قضينا لك أن تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث إنه مسبب عن جهاد الكفار والسعي
في إعلاء الدين وإزاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهراً ليصير ذلك بالتدريج اختيارياً وتخليص الضعفة عن أيدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك
مما يصح أن يعاتب عليه ويتم نعمته عليك بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة ويهديك صراطاً مستقيماً في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصراً عزيزاً
نصراً فيه عز ومنعة أو يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي أنزل السكينة الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض
الأقدام ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم يقيناً مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به الرسول ليزدادوا إيماناً بالشرائع
مع إيمانهم بالله واليوم الآخر ولله جنود السماوات والأرض يدبر أمرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم أخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليماً بالمصالح
حكيماً فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها علة لما بعده ولما دل عليه قوله ولله جنود السماوات والأرض من معنى التدبير أي دبر
ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك أو فتحنا أو أنزل أو جميع ما ذكر أو ليزدادوا
وقيل إنه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك أي الإدخال والتكفير عند الله فوزاً عظيماً لأنه منتهى ما يطلب من جلب نفع
أو دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل إلا إذا جعلته بدلاً فيكون عطفاً على المبدل الظانين بالله
ظن السوء ظن الأمر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء
بالضم وهما لغتان غير أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الأصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم

لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد
بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله
الخطاب للنبي والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له
بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه
وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث
نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى في مبايعته وقرئ عهد فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرأ حفص
عليهُ بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار
استنفرهم رسول الله عليه السلام عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم
شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار
والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل وهزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي
ضرا بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا
لظنكم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء
للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء وهو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا
هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان
بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي
سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها
واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله اي يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية
ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة
قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون
لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك
واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي بأس شديد بني حنيفة
او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله عليه السلام والمشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا
ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه ولم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة
وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل
عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين
استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل

التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب هاهنا انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه
فارجف بقتله فدعا رسول الله عليه السلام اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة
فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم من قبل مكة وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة
يأخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها وهي ما يفي على المؤمنين الى يوم القيامة فعجل لكم هذه
يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين امارة
يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف
هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتأخذوا او علة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى
معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها
من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم
الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه
سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال تعالى لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في
داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى
ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم
اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله وهو
يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد بكونه معكوفا
منعه من ان يبلغ مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول عليه السلام حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤوهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطأ على حنق
وطء المقيد نابت الهرم وقال عليه السلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة النبي عليه السلام بها واصله الدوس وهو بدل الاشتمال
من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير
في البحث عنهم من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤوهم اي تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا
مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فتصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين
اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي توفيقه لزيادة الخير او للاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية
التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روي انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو
وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله عليه السلام اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك

عن البيت وما قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله

السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة

الى التقوى لانها سببها او كلمة اهل التقوى وكانوا احق بها من غيرهم واهلها والمستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله

رسوله الرؤيا رأى عليه السلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين قد حلقوا وقصروا ولا رئيا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما رآه

كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان

والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاول جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة

تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي عليه السلام لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين

رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك فجعل من دون ذلك

من دون دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه او لاجله ودين الحق

وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم

المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون

رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم او انه جمع شديد ورحيم والمعنى انهم

يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلاة في اكثر اوقاتهم يبتغون

فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضى سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئ سيمياؤهم

ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التوراة صفتهم العجيبة الشأن

المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال

اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة

وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجر في آجر فاستغلظ

فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله

للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الفتح فكأنما

كان ممن شهد مع محمد عليه السلام فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وآيها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا

امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب

لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان

يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله عليه السلام وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم ومخالفة الحكم ان الله

سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم

لبعض اذا كلمتموه بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب مراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا

وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط

اعمالكم كراهة ان تحبط اعمالكم فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر

المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله عليه السلام

فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش

بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة

النهي قيل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد ذلك يسرانه حتى يستفهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة

للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى

فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم

والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن

لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلته دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما

على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادي

داخل الحجرات اذ لا بد وان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال

لحظيرة الابل حجرة فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عليه السلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة

حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله

في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به ولانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون

اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما

في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك

تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم الكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم

لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر

فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين للادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق

بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتصفحوا روي انه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال

لرسول الله عليه السلام قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع

وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وفي تعليق الامر بالتبيين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر

الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتبه على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى

ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلثة

دائرة مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما خبره سادت مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري

فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم

في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم
وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له
آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة بغض فعدي الى آخر بالى والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا
من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان
التحبيب والتكريه فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا
والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احديهما على الاخرى تعدت عليها فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع
الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله
وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت
في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله
وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل
وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في التقرير والتحضيض
وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهما الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم
ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض
اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع واما جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة
الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار
الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر
ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم
ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا
بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز
فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات
وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستأنف
للامر والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى
الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته
حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته

وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى
احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك
والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم
لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين
من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله عليه السلام يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار
فلما راحا الى النبي عليه السلام قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم
شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع
الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا
ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم فان التقوى بها تكمل النفوس
وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي
كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين
وكانوا يقولون لرسول الله عليه السلام اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان
تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد
ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم
احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا
ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ
البصريان لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان
ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات
المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض
والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزلت هذه يمنون عليك ان
اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن
قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء
وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا
ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية
له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لان ما قبله في الغيبة

سورة ق

عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن أي ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو لأن من علم معانيه وامتثل أحكامه مجد بل عجبوا

أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم أو من أبناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا إشارة

إلى اختيار الله محمدا للرسالة وإضمار ذكرهم ثم إظهاره للإشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم

من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما إن كانت الإشارة إلى مبهم يفسره ما بعده أو مجملا إن كانت الإشارة إلى محذوف

دل عليه منذر ثم تفسيره أو تفصيله لأنه أدخل في الإنكار إذ الأول استبعاد لأن يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو أهون مما يشاهدون من صنعه

أإذا متنا وكنا ترابا أي أنرجع إذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد أي بعيد عن الوهم أو العادة أو الإمكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع

قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ما تأكل من أجسادهم وهو رد لاستبعادهم بإزاحة ما هو الأصل فيه وقيل إنه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام

وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أو محفوظ عن التغيير والمراد إما تمثيل علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه أو تأكيد لعلمه

بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات أو النبي أو القرآن لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في أمر مريج مضطرب من مرج الخاتم

في أصبعه إذا خرج وذلك قولهم تارة إنه شاعر وتارة إنه ساحر وتارة إنه كاهن أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى السماء فوقهم إلى آثار قدرة الله في خلق العالم

كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق والأرض مددناها بسطناها وألقينا فيها رواسي

جبالا ثوابت وأنبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان للأفعال المذكورة

معنى وإن انتصبتا على الفعل الأخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فأنبتنا به جنات أشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد كالبر

والشعير والنخل باسقات طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وإفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات

لأجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لأنبتنا أو مصدر فإن الإنبات رزق

وأحيينا به بلدة ميتا أرضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح

وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون أراد بفرعون إياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده وإخوان لوط إخوانه لأنهم كانوا أصهاره وأصحاب الأيكة

وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل أي كل واحد أو قوم منهم أو جميعهم وإفراد الضمير لإفراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية

للرسول عليه السلام وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الأول أفعجزنا عن الإبداء حتى نعجز عن الإعادة من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للإنكار بل هم

في لبس من خلق جديد أي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والإشعار

بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس

الحلي والضمير لما إن جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا أو للإنسان إن جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أي نحن

أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت أدنى لي من الوريد والحبل العرق

وإضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريدا لأن الروح ترده إذ يتلقى

المتلقيان مقدر باذكر أو متعلق بأقرب أي هو أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى أي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه إيذان بأنه غني عن استحفاظ الملكين فإنه

أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد تثبيط العبد عن المعصية وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء وإلزام الحجة يوم يقوم الأشهاد

عن اليمين وعن الشمال قعيد أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أي مقاعد كالجليس فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كقوله فإني وقيار بها لغريب

وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه إلا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر

ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب أو عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين

لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم

بأنهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بأن عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية

كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر أو الموعود الحق أو الحق الذي ينبغي أن يكون من الموت أو الجزاء فإن الإنسان

خلق له أو مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على أنها لشدتها اقتضت الزهوق لاستعقابها له فكأنها جاءت به أو على أن الباء

بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله وإضافتها إليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك أي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتنفر عنه والخطاب للإنسان

ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد أي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وإنجازه والإشارة إلى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق

وشهيد ملكان أحدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله أو ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد

جوارحه وأعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على إضمار القول والخطاب لكل نفس إذ ما

من أحد إلا وله اشتغال ما عن الآخرة أو للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب لأمور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والإلف بها

وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للإبصار وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمعنى كنت في غفلة من أمر الديانة فكشفنا عنك غطاء

الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الأول قراءة من كسر التاء والكاف على خطاب النفس وقال قرينه

الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي أو الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته لها بإغوائي وإضلالي

وما إن جعلت موصوفة فعتيد صفتها وإن جعلت موصولة فبدلها أو خبر بعد خبر أو خبر محذوف ألقيا في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد

أو للملكين من خزنة النار أو لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا

أو الألف بدل من نون التأكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة

وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه منه معتد متعد على الحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله

إلها آخر مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وخبره فألقياه في العذاب الشديد أو بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه

قال قرينه أي الشيطان المقيض له وإنما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فإنه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما أطغيته كأن الكافر قال هو أطغاني

فقال قرينه ربنا ما أطغيته بخلاف الأولى فإنها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه

ولكن كان في ضلال بعيد فأعنته عليه فإن إغواء الشيطان إنما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا إلى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي

قال أي الله لا تختصموا لدي أي في موقف الحساب فإنه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الأول وقد قدمت إليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي

فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي أي لا تختصموا عالمين بأني أوعدتكم والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم ويجوز أن يكون بالوعيد حالا

والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي أي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا أن أبدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التبديل فإن دلائل العفو

تدل على تخصيص الوعيد وما أنا بظلام للعبيد فأعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير

والمعنى انها مع اتساعها يطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها بعد
زفيرها وحدتها وتشبيهها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع
واذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون
حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب
او الى مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب
بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال
من الفاعل او المفعول او صفة المصدر او خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن
للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون خشيته مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين
من زوال النعم او سلاما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا خطر ببالهم
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد
فخرقوا فيها وجالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه هل من محيص
اى هل لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اى ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه
قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى
لتذكرة لمن كان له قلب اى قلب واع يتفكر في حقائقه او القى السمع اى اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره
وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش
فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه
وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر
وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر من ادبرت الصلوة
اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل طلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات
وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادى المناد اسرافيل او جبرئيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم
المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء
ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج
من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيى ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الآخرة يوم تشقق تتشقق وقرأ عاصم وحمزة
وخلف ابو عمرو بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا
على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله عليه السلام وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار
بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ق هون الله عليه

سورة

تارات الموت وسكراته سورة والذاريات مكية وآيها ستون بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره
او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا
فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية
في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور
من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء
لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح تنشئ السحاب وتذرو الابخرة الى الجو حتى ينعقد سحابا فتحمله فتجري
باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى
الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق
المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي تسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي
جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول
مختلف في الرسول عليه السلام وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القرآن او القيمة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم
تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه الضمير للرسول او القرآن او الايمان
من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك
عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اى يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اى من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون
الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجرى مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون
عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اى فيقولون متى يوم الجزاء اى وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون جواب للسؤال اى يقع يوم هم
على النار يفتنون وهو يومهم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اى مقولا لهم هذا القول هذا الذي
كنتم به تستعجلون هذا العذاب الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما اتيهم ربهم
قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما اتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اى يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اى في قليل من الليل
هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات
والهجوع الذي هو الفرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم
وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس
للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اى فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو
والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم
اى في انفسكم آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان نظير له يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال
الغريبة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء

السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل
مستانف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون
اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم
وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي
وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابرهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد
وقيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او عند ابرهيم اذ خدمهم بنفسه
وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد
الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم
لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم للاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف
ان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف ويصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تأكلون اي منه وهو
حنيذ والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول وضعه وللانكار ان قاله حينما رأى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما رأى
اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله وقيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه
فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب
على الحال او المفعول ان أول اقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم حيض فلطمت وجهها من الحياء
وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما
قال فما خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة
من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها
في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان و
الاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة
وتركنا فيها آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او الصخر المنضود فيها او ماء اسود منتن خارج من الارض وفي موسى عطف على وفي الارض
او تركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان
كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كأنه جعل
ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم
آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن
منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا
حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة
من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه

منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة
والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون
لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها
لتستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات
لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عقابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه
منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتأكيد او الاول
مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى
الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اي كأن الاولين
والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول
مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما
بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانه يزداد بها بصيرة وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون لما خلقتهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر
قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفهم
في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس كشان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم
في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه
عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب
نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملو
فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر عن النبي عليه السلام من قرأ
سورة الذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا سورة والطور مكية وآيها تسع او ثمان واربعون بسم الله الرحمن الرحيم

سورة

والطور يريد طور سينا وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى
عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في قلوب اوليائه
من المعارف والحكم او ما تكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس
والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص
والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا تسجر بها نار جهنم
او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله
وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف
وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم

يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا
حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي
هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم
او سد ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم
عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين
بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات وحال باضمار قد من المستكن
في الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل
هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى
صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقران ولذلك عطف والذين آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره
الحقناهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ
ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم والاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل
الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او في الدرجة لما روي انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ
نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما ألتناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم
يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت
يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله تعالى فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا
فوقتا ما يشتهون من انواع النعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كأسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون
بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف
عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام
والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام
نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بالفتح الرحيم
الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم احلامهم عقولهم
بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام
مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم
وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن مهر واصحاب فصاحة وهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا يؤيد الاول
ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون

فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا
سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاءوا
او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمته ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاءوا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين
الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيههم
واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يكون ممن يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم
من غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم
في دار الندوة برسول الله عليه السلام فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور
هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم
من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب
تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر
وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله
وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين
ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة
بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلاة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن
الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه السلام
من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة

سورة والنجم مكية وآيها احدى او اثنتان وستون بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيامة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا
بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عليه السلام عن الطريق
المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ما القرآن او الذي
ينطق به الا وحي يوحى الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر
لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى
السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها قيل ما رآه احد
من الانبياء في صورته غير محمد عليه السلام مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبريل
ثم دنا من النبي عليه السلام فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله
وتقرير لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدلو الثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني
معقد الازار او المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي
البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به او الله وقيل الضمائر كلها

لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ما كذب الفؤاد
ما رأى ما رأى ببصره من صورة جبريل او الله تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده
لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه السلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته
بفؤادي وقرأ هشام ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فان كلا من المتجادلين
يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى
الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية
في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة
عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي تنتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم
يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير
لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما زال بصر رسول الله عليه السلام عما رآه
وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي
والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا
من آيات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا
يلوون عليها اي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة
لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة
من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء كانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى
صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات
او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء
كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء
تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا
يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم وآباؤكم بهواكم
هواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم
ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول او الكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة
الآلهة وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس
لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان يأذن الله في الشفاعة
لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة
اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموهم بنات الله وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق

الذي

الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده
الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ
وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة
لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم
او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة
الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة
او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين
ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم
علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة
عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم افرأيت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى
وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه السلام فعيره
بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي
اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه وامر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه
بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا
يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة
وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كأنه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك
قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى
يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب
بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى اي يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب
بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما
في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عقيبه بفعل الله
على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة الاخرى
الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها
لانها اشرف الاموال وافضلها او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه السلام
وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها

وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اول الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام
التعريف وقرا نافع وابو عمرو عاد لولى بضم اللام ايضا وادغام التنوين فيها وقالون كذلك مع جعل الواو همزة وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه
وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف عليه من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين
كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشيها
ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما في
ها من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القرآن نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من
الاولين ازفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله
او الآن بتاخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون
انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه
من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الآلهة عن النبي عليه السلام من قرا والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سالوا رسول الله عليه السلام آية فانشق القمر
معناه سينشق يوم القيمة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا
والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله آيات اخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر
استحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ
للاشعار بانهما من عاداتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غاية ثبت واستقر
وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون الخالية او
ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها
وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكاري اي فاي غناء تغني النذر
وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه
في قوله كن فيكون وحذف الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيمة
وقرا ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان
غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرا ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة
وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم
او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب
تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة
اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد ياسه منهم فقد روي
الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة

وشدة انصبابها وقرا ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض
فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله تعالى في الازل
من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل من السماء على قدر ما اخرج من الارض او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات
الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها تؤدي مؤداها
تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون
على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر فهل من مدكر معتبر
وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن
سهلناه او هياناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر
متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاري لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديدة الصوت
في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر
تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط
على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى
كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة
ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات او المواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا
لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم
انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة االقي الذكر الكتاب
عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر
الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح
الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم
وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته
غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي
ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي
الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا
والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم
فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر
الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن

للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة إشعاراً بأن تكذيب كل رسول مقتضٍ لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدعٍ للادكار والاتعاظ واستئنافاً للتنبيه
والإيقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره
للعلم بأنه أولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير من أولئكم الكفار
المعدودين قوة وعدة ومكانة أو ديناً عند الله أم لكم براءة في الزبر أم نزل لكم في الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمان من العذاب أم يقولون نحن
جميع جماعة أمرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام أو منتصر من الأعداء لا نغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضاً والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر أي الأدبار
والإفراد لإرادة الجنس أو لأن كل أحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه أنه لما نزلت قال لم أعلم ما هي فلما كان يوم بدر
رأيت رسول الله عليه السلام يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الأصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة أدهى
أشد والداهية أمر فظيع لا يهتدى لدوائه وأمر مذاقاً من عذاب الدنيا إن المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار
على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر أي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فإن مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته
إنا كل شيء خلقناه بقدر أي إنا خلقنا كل شيء مقدراً مرتباً على مقتضى الحكمة أو مقدراً مكتوباً في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع
على الابتداء وعلى هذا فالأولى أن يجعل خلقناه خبراً لا نعتاً ليطابق المشهورة في الدلالة على أن كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الإضمار لما فيه
من النصوصية على المقصود وما أمرنا إلا واحدة إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة أو إلا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة
وقيل معناه معنى قوله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ولقد أهلكنا أشياعكم أشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب
الحفظة وكل صغير وكبير من الأعمال مستطر مسطور في اللوح إن المتقين في جنات ونهر أنهار واكتفى باسم الجنس أو سعة أو ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم
النون والهاء جمع نهر كأسد وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى أمره في الملك والاقتدار
بحيث أبهمه ذوو الأفهام عن النبي عليه السلام من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة
وآيها ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والأخروية صدرها بالرحمن وقدم
ما هو أصل النعم الدينية وأجلها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فإنه أساس الدين ومنشأ الشرع وأعظم الوحي وأعز الكتب إذ هو بإعجازه واشتماله على خلاصتها
مصدق لنفسه ومصداق لها ثم أتبعه قوله خلق الإنسان علمه البيان إيماء بأن خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير
لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع وإخلاء الجمل الثلاث التي هي أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب
معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات ويعلم السنون والحساب والنجم النبات الذي ينجم أي يطلع من الأرض
ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد من المكلفين طوعاً وكان حق النظم في الجملتين أن يقال وأجرى الشمس والقمر
وأسجد النجم والشجر أو الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال إشعاراً
بأن وضوحه يغنيه عن البيان وإدخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على أن ما يحس به من تغيرات أحوال الأجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء
رفعها خلقها مرفوعة محلاً ومرتبة فإنها منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بأن وفر على كل مستعد مستحقه
ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والأرض أو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما
وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث إنها مصدر القضايا والأقدار أراد وصف الأرض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف المقدار ويسوى الحقوق والمواجب

ألا تطغوا في الميزان لأن لا تطغوا فيه أي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الإنصاف وقرئ لا تطغوا على إرادة القول وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا
تنقصوه فإن من حقه أن يسوى لأنه هو المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها
وفتحها على أن الأصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل والأرض وضعها خفضها مدحوة للأنام للخلق وقيل الأنام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب
مما يتفكه به والنخل ذات الأكمام أوعية التمر جمع كم أو كل ما يكم أي يغطى من ليف وسعف وكفرى فإنه ينتفع به كالمكموم كالجذع والحب والتمرة والحب ذو العصف كالحنطة
والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم أو الرزق من قولهم خرجت أطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف
والريحان أي وخلق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض والباقون بالرفع وهو فيعلان من الروح
فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للأنام وقوله أيها الثقلان
خلق الإنسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً
فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان الجن أو أبا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فإنه في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب
فبأي آلاء ربكما تكذبان مما أفاض عليكما في أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما
فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه إلى غير ذلك مرج البحرين أرسلهما من مرجت
الدابة إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما أو بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه
بينهما برزخ حاجز من قدرة الله أو من الأرض لا يبغيان لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الأحمر وإن صح أن الدر يخرج من الملح فعلى الأول إنما قال منهما لأنه يخرج من مجتمع الملح والعذب
أو لأنهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من أحدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان
فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا أربع حسان وأربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع
أو المصنوعات وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج أو السير في البحر كالأعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها من على الأرض
من الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية
في حد ذاتها إلا وجه الله أي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والإكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان أي مما ذكرنا قبل من بقاء
الرب وإبقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلاً أو مما رتب على فناء الكل من الإعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والأرض
فإنهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة إلى تحصيل الشيء نطقاً كان أو غيره كل يوم هو في شأن كل وقت
يحدث أشخاصاً ويجدد أحوالاً على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود إن الله لا يقضي
يوم السبت شيئاً فبأي آلاء ربكما تكذبان أي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حيناً فحيناً سنفرغ لكم أيه الثقلان أي سنتجرد لحسابكم
وجزائكم وذلك يوم القيامة فإنه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فإن المتجرد للشيء كان أقوى عليه وأجد فيه وقرأ حمزة
والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ إليكم أي سنقصد إليكم والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لثقلهما على الأرض أو لرزانة رأيهم وقدرهم أو لأنهما مثقلان بالتكليف
فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين من الله

هاربين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ إلا بسلطان إلا بقوة وقهر وأنى لكم ذلك أو إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما في السموات
والأرض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون إلا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بأفكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان أي من التنبيه والتحذير والمساهلة
والعفو مع كمال القدرة أو مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها إلى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان
قال تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا أو صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه
فيه أبو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فإن التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي
بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فإذا انشقت السماء فكانت وردة أي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله
فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن كالحزام أو جمع دهن وقيل هو الأديم الأحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان
أي مما يكون بعد ذلك فيومئذ أي فيوم تنشق السماء لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك حين يخرجون من قبورهم ويحشرون
إلى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للإنس باعتبار اللفظ فإنه وإن تأخر لفظا تقدم
رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان أي مما أنعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والأقدام
مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالأقدام أخرى فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار وبين
حميم حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم أو يسقون منه وقيل إذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه
الذي يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله من قام عليه إذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضاف إلى الرب تفخيما وتهويلا أو
ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الإنسي والأخرى للخائف الجني فإن الخطاب للفريقين
والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية
وكذا ما جاء مثنى بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان أنواع من الأشجار والثمار جمع فن أو أغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجر وتخصيصها
بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا في الأعالي والأسافل قيل إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من إستبرق من ديباج
ثخين وإذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد
والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فإن جنتان تدل على جنان هي للخائفين أو فيما فيهما من الأماكن والقصور
هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان للإنس
والجنيات جن وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان أي في حمرة الوجنة وبياض البشرة
وصفائهما فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك الجنتين
الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة
إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وعلى الأوليين الأشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي
آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو أيضا أقل مما وصف به الأوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة
ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات أي خيرات فخففت لأن خير الذي بمعنى أخير لا يجمع

وقد قرئ على الأصل حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة
ومقصورة أي مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان كحور الأوليين وهم لأصحاب
الجنتين فإنهما تدلان عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد أو نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط أو ذيل الخيمة
وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس
ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة
أو مقحم كما في قوله إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والإكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن أدى شكر
ما أنعم الله عليه سورة الواقعة مكية وآيها سبع وتسعون بسم الله الرحمن الرحيم إذا وقعت الواقعة إذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها
وانتصاب إذا بمحذوف مثل اذكر أو كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة أي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله أو تكذب في نفيها كما تكذب الآن
واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي أو ليس لأجل وقعتها كاذبة فإن من أخبر عنها صادق أو ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها بإطاقة شدتها واحتمالها وتغريه
عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم إذا شجعته عليه وسولت له أنه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فإن
الوقائع العظام كذلك أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله ورفع أوليائه أو إزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب
على الحال إذا رجت الأرض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة أو بدل من إذا وقعت وبست الجبال بسا
أي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق إذا لته أو سيقت وسيرت من بس الغنم إذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم أزواجا
أصنافا ثلاثة وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة فأصحاب المنزلة السنية
وأصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل أو أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم
أو أصحاب اليمن والشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما بإقامة
الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم
وتوان أو سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات أو الأنبياء فإنهم مقدموا أهل الأديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول أبي النجم وشعري شعري
أو الذين إلى الجنة أولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة وأعليت مراتبهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين أي هم كثير من الأولين
يعني الأمم السالفة من لدن آدم إلى محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين يعني أمة محمد عليه السلام ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام إن أمتي يكثرون سائر الأمم
لجواز أن يكون سابقوا سائر الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة وتابعوا هذه أكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين لأن كثرة الفريقين
لا ينافي أكثرية أحدهما وروي مرفوعا أنهما من هذه الأمة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة
المشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم ولدان مخلدون مبقون
أبدا على هيئة الولدان وطراوتهم بأكواب وأباريق حال الشرب وغيره والكوب إناء بلا عروة ولا خرطوم والإبريق إناء له ذلك وكأس من معين من خمر
لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم أو لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاي وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون أي لا يتفرقون
وفاكهة مما يتخيرون أي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أي فيها أو ولهم حور وقرأ حمزة
والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف أي هم في جنات ومصاحبة حور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون

بأكواب وقرئا بالنصب على ويؤتون حورا كأمثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون أي يفعل ذلك كله جزاء
بأعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة إلى الإثم أي لا يقال لهم أثمتم إلا قيلا إلا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها
لغوا إلا سلاما أو صفته أو مفعوله بمعنى إلا أن يقولوا سلاما أو مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية وأصحاب اليمين
ما أصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك إذا قطعه أو مثني أغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز أو أم غيلان
وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من أسفله إلى أعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم أين شاؤوا وكيف
شاؤوا بلا تعب أو مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم بأعلى ما يتصور لأهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادي إشعارا بالتفاوت
بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الأجناس لا مقطوعة لا ينقطع في وقت ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء
وارتفاعها أنها على الأرائك ويدل عليه قوله إنا أنشأناهن إنشاء أي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة إبداء أو إعادة وفي الحديث هن اللواتي
قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فجعلناهن أبكارا عربا متحببات إلى
أزواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله أترابا فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن لأصحاب اليمين متعلق بأنشأنا
أو جعلنا أو صفة لأبكارا أو خبر لمحذوف مثل هن أو لقوله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وهي على الوجه الأول خبر محذوف وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال
في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان أسود يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفى بذلك
ما أوهم الظل من الاسترواح إنهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام
الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث إذا تأثم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون
كررت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله أوآباؤنا الأولون للدلالة على أن ذلك أشد إنكارا
في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون
لا هو للفصل بإن والهمزة قل إن الأولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون إلى ميقات يوم معلوم إلى ما وقتت به الدنيا وحد من يوم معين عند الله معلوم له
ثم إنكم أيها الضالون المكذبون أي بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الأولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون
من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه حملا على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فإنه تفسيرها
فشاربون شرب الهيم الإبل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها
وقيل الرمال على أنه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر
من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله
فبشرهم بعذاب أليم لأن النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة
عليه أو بالبعث فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة أفرأيتم ما تمنون أي ما تقذفونه في الأرحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها
أأنتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين
لا يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته أو لا يغلبنا أحد من سبقته على كذا إذا غلبته عليه على أن نبدل أمثالكم على الأول حال أو علة لقدرنا وعلى معنى اللام لا تغلبنا
بمسبوقين وعلى الثاني صلة والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم أو نبدل صفاتكم على أن أمثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق أو صفات

ولقد

ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فإنها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على
صحة القياس أفرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه أأنتم تزرعونه تنبتونه أم نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون أو تندمون
على اجتهادكم فيه أو على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الأصل
إنا لمغرمون لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ أبو بكر أئنا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا أو محدودون
لا مجدودون أفرأيتم الماء الذي تشربون أي العذب الصالح للشرب أأنتم أنزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب
أم نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية إن كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه أجاجا ملحا أو من الأجيج فإنه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة
بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه أو الاكتفاء بسبق ذكره أو تخصيص ما يقصد لذاته ويكون أهم وفقده أصعب بمزيد التأكيد فلولا تشكرون
أمثال هذه النعم الضرورية أفرأيتم النار التي تورون تقدحون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد
تذكرة تبصرة في أمر البعث كما مر في سورة يس أو في الظلام أو تذكيرا وأنموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر أو للذين
خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فأحدث التسبيح بذكر اسمه أو بذكره فإن إطلاق اسم الشيء ذكره
والعظيم صفة للاسم أو الرب وتعقيب الأمر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وإنعامه إما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته أو للتعجب من أمرهم
في غمط نعمه أو للشكر على ما عدها من النعم فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أو فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في لئلا يعلم أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ
وأشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلأقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال
أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره أو بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع وإنه لقسم لو تعلمون
عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فإنه
اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة إنه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش والمعاد
أو حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه إلا المطهرون لا يطلع على اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة أو لا يمس
القرآن إلا المطهرون من الأحداث فيكون نفيا بمعنى النهي أو لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرين
أي أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والإلهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة أو رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب أي نزل تنزيلا
أفبهذا الحديث يعني القرآن أنتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم أي شكر رزقكم أنكم تكذبون بمانحه
حيث تنسبونه إلى الأنواء وقرئ شكركم أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وتكذبون أي بقولكم في القرآن إنه سحر وشعر أو في المطر إنه من الأنواء
فلولا إذا بلغت الحلقوم أي النفس وأنتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن أقرب إليه إلى المحتضر منكم علما أو قدرة بالقرب
الذي هو أقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا إن كنتم غير مدينين أي غير مجزيين يوم القيامة أو مملوكين مقهورين من دانه إذا
أذله واستعبده وأصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس إلى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها
دليل جواب الشرط والمعنى إن كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم أفعال الله وتكذيبكم بآياته إن كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الأرواح إلى الأبدان بعد بلوغها
الحلقوم فأما إن كان من المقربين أي إن كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان
ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين أي من إخوانك يسلمون عليك وأما إن كان من المكذبين

الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها
ان هذا الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبي عليه السلام
من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض
ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف
باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه
مثل نصحت له ونصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لهما والمتصرف
فيهما يحيي ويميت استئناف او خبر لمحذوف وحال من المجرور في له وهو على كل شيء من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات
من حيث انه موجدها ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذي تبتدئ منه الاسباب وينتهي اليه المسببات او الاول خارجا
والآخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة
للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم
ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير
فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله
خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين آمنوا منكم
وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله اي وما تصنعون
غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات
وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرا ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم
مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان
وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واي شيء لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله
فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب
كان اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات
حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز
الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله كلا
من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرا ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه
فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له
فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا له وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف

اضعا

اضعافا وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرا ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر
ويعقوب فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة
بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر جنات
او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول
المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم
استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرا حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم
الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثمة يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر
فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه
باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى
ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم
بالله الغرور الشيطان والدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرا ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم النار هي مولاكم
هي اولى بكم كقول لبيد • فغدت كلا الفرجين تحسب انه • مولى المخافة خلفها وامامها • وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة
الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها
في الدنيا وبئس المصير النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال انى الامر يأني انيا واناء واناء اذا جاء اناه وقرئ الم يئن
بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى الم يان روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل
من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرا نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف
وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرا رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم
الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون
خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او للاموات
ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون كي تكمل عقولكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما
وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين
اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر
غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله
بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيامة
وقيل والشهداء عند ربهم مبتدا وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم
مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا

لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل
بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما
يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته
ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم
اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي جف
فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله
ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة
من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء
عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود
يتفضل به على من يشاء من عباده من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة
ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او للانفس ان ذلك
على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها
ان الكل مقدر يهون عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتيكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها
فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور
اذ قل من يثبت نفسه حالتي الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه
بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء
الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط
وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد
فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف
دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر
الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا
اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول
عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى
والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة
لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وقرئ رآفة على فعالة ورهبانية ابتدعوها اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها
وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها

منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها
ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه
مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها
من تلقاء انفسهم فما رعوها اي فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها فآتينا الذين
آمنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد عليه السلام منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع
يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد عليه السلام يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد عليه السلام وايمانكم
بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور
في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم
ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله
ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصوها
بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر
النبي والمؤمنون على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون في اللام
ثم ابدلت ياء وقرئ لئلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله سورة المجادلة

سورة

مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وآيها اثنان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله
روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله عليه السلام فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت
لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول عليه السلام والمجادلة يتوقعان ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج
عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام دال قد في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال
والاحوال الذين يظهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء انثى محرم وفي منكم تهجين
لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من ظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن
امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم
وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور
لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه
وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة
استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون
في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بالحلف على ما قال ابو مسلم والى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها
فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل
من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه وان يجامعا وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم

بالكفارة او تعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويرتدع منه والله بما تعملون خبير لا تخفى عليه خافية فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله واجد
فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر لغير عذر لزمه الاستيناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عنده خلافا
لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا
وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام
اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله
اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله
ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا
اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين
يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اي على رؤوس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا
لعذابهم احصاه الله احاط به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلثة ما يقع من تناجي ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض
فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة
الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلثة اول الاوتار او لان
التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك
ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى بان جعلت لا لنفي الجنس
اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شيء عليم
لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون
باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عليه السلام ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص
بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه
يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها
يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر
والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان
من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله
الا بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني
اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله عليه السلام فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع
كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة او جهاد
او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الآخرة

والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدي
بالعالم في افعاله ولا يقتدي بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر
او استكرهه يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانفاع
الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم
وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم
وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك التصدق
خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق اول
على الوجوب أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات أخفتم الفقر من تقديم الصدقة او لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة
التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى
اذا او ان فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون
ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب
وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه
عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن ابي المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام له علام
تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على
سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس
في خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا
ويحسبون انهم على شيء لان تمكن الكذب والنفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا
الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الابل
واحوذتها اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل فانسيهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه
الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو
اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت
في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة
القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه
الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

سورة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه
فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا
ابا سفيان فامر رسول الله عليه السلام اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة
بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب
اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر اليه او في اول حشر الناس الى الشام وآخر
حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم
ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم
في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم
نصر الله وقرئ فآتاهم اي فآتاهم العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم
بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث
ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل
او ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا الا على الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر
بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم
لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله
ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم في الآخرة ما قطعتم من لينة اي شيء قطعتم من نخلة فعلة
من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناه النخلة الكريمة وجمعها اليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء
بالضمة عن الواو او على انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او وأذن لكم في القطع ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه عليه السلام
لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله
على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون
للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب وما يركب من الابل غلب فيه كما غلب
الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد في بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله عليه السلام فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر
مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد
تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول الى الامام
على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن
على الخلاف المذكور كي لا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة
بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة اي كي لا يقع دولة جاهلية وما آتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر

فخذوه

فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب لمن خالفه
للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده والفيء بفيء بني النضير
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم
وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوأوا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم
الانصار الذين ظهر صدقهم فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوأوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه
وعوض عنه اللام او تبوأوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين
وقيل تقدير الكلام والذين تبوأوا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب
والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان
نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم الذين بعد
الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل اي لاخواننا
في الدين في قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد
الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم او خذلانكم احدا ابدا اي من رسول الله والمسلمين
وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان
ابن أبي واصحابه ارسلوا الى بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما
ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم الله ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية
مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين متفقين الا في قرى
محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال بأسهم بينهم شديد اي ليس ذلك لضعفهم وجبنهم
فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى
متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل
اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة
كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء
الآمر للمأمور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها
وذلك جزاء الظالمين المراد بالانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد
وقرئ عاقبتهما على انهما الخبر لكان وخالدان على انه الخبر وان في النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان
الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله

تكرير للتأكيد والأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله إن الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا
كالذين نسوا الله نسوا حقه فأنساهم أنفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيمة من الهول ما أنساهم أنفسهم أولئك هم
الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به أصحابنا على
على أن المسلم لا يقتل بالكافر أصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر في قوله
إنا عرضنا الأمانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وقيل الإشارة إليه وإلى أمثاله والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوة
القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الإدغام هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ما غاب عن الحس من الجواهر
القدسية وأحوالها وما حضر له من الأجرام وأعراضها وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية هو الرحمن الرحيم
هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة
المؤمن واهب الأمن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على
ما أراد أو جبر حالهم بمعنى أصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا سبحان الله عما يشركون إذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للأشياء
على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء وأخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى
له الأسماء الحسنى لأنها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والأرض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال
في القدرة والعلم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فإنه لما علم أن رسول الله عليه السلام يغزو أهل مكة كتب إليهم أن رسول الله
يريدكم فخذوا حذركم وأرسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد رضي الله عنهم
وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثم جحدت فسل علي
السيف فأخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله عليه السلام حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرءا
ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله وعذره تلقون إليهم بالمودة
تفضون إليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة أو أخبار رسول الله عليه السلام بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لأولياء جرت على غير من هي له
فلا حاجة فيها إلى إبراز الضمير لأنه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل أحد الفعلين يخرجون الرسول وإياكم أي من مكة
وهو حال من كفروا أو استئناف لبيانه أن تؤمنوا بالله ربكم بأن تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم إلى الغيبة للدلالة على ما يوجب الإيمان إن كنتم
خرجتم عن أوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون إليهم بالمودة بدل من تلقون أو استئناف
معناه أي طائل لكم في إسرار المودة أو الإخبار بسبب المودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم أي منكم وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية
ومن يفعله منكم أي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل أخطأه إن يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم أعداء ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء
بما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للإشعار بأنهم ودوا ذلك قبل كل شيء وأن ودادهم حاصل وإن لم
يثقفوكم لن تنفعكم أرحامكم قراباتكم ولا أولادكم الذين توالون المشركين لأجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم
ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد

أو يفصل بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم أسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في إبراهيم والذين معه صفة ثانية أو خبر كان ولكم لغو
أو حال من المستكن في حسنة أو صلة لها لا لأسوة لأنها وصفت إذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان إنا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم أي بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة
والبغضاء ألفة ومحبة إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك استثناء من قوله أسوة حسنة فإن استغفاره لأبيه الكافر ليس مما ينبغي أن يأتسوا به فإنه كان قبل
النهي أو لموعدة وعدها إياه وما أملك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه ربنا عليك توكلنا وإليك
أنبنا وإليك المصير متصل بما قبل الاستثناء أو أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله واغفر لنا ما فرطنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم أسوة
حسنة تكرير لمزيد الحث على التأسي بإبراهيم ولذلك صدر بالقسم وأبدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم فإنه يدل على أنه لا ينبغي لمؤمن أن يترك
التأسي بهم وأن تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فإنه جدير بأن يوعد به الكفرة عسى الله أن يجعل بينكم وبين
الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون أقاربهم المشركين وتبرؤوا عنهم فوعدهم الله بذلك وأنجز إذ أسلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء والله قدير
على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
أي لا ينهيكم عن مبرة هؤلاء لأن قوله أن تبروهم بدل من الذين وتقسطوا إليهم وتفضوا إليهم بالقسط أي العدل إن الله يحب المقسطين العادلين روي أن قتيلة
بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت إنما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم
من دياركم وظاهروا على إخراجكم كمشركي مكة فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين أن تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم
فأولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة
قلوبهن لسانهن في الإيمان الله أعلم بإيمانهن فإنه المطلع على ما في قلوبهن فإن علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور
الأمارات وإنما سماه علما إيذانا بأنه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن إلى الكفار أي إلى أزواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير
للمطابقة والمبالغة أو الأولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستئناف وآتوهم ما أنفقوا ما دفعوا إليهن من المهور وذلك لأن صلح الحديبية جرى على أن
من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن إذ روي أنه عليه السلام كان بعد بالحديبية إذ جاءته سبيعة بنت الحارث الأسلمية
مسلمة فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فاستحلفها رسول الله فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم أن تنكحوهن فإن الإسلام حال
بينهن وبين أزواجهن الكفار إذا آتيتموهن أجورهن شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذانا بأن ما أعطي أزواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما يعتصم الكافرات
به من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد واسألوا ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاحقات
بالكفار وليسألوا ما أنفقوا من مهور أزواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استئناف أو حال من الحكم على حذف الضمير أو جعل الحكم حاكما
على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وإن فاتكم وإن سبقكم وانفلت منكم شيء من أزواجكم أحد منهن وقد قرئ به وإيقاع شيء موقعه للتحقير
أو للتعميم أو شيء من مهورهن إلى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر شبه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى
بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة
أبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه إن فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون فإن الإيمان به يقتضي

التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا
يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد واد البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف
مع ان الرسول لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله
غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود
ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم انه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور
ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون
والمؤمنات شفعاء يوم القيمة سورة الصف مدنية وقيل مكية وهي اربع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
سبق تفسيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية والاكثر على حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال
بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم
والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب
والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا اي حال تصديقي لما تقدمني من التورية وتبشيري برسول ياتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول
من معنى الارسال لا اليكم لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا عليه السلام والمعنى ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة
الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة
والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته
المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه
كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها
كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ
غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية
ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي
الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل
لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم
وبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة

الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل
وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على
البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال
آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام
لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن
انصار الله فالاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال
عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا من الحور
وهو البياض فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اي بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى فاصبحوا
ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه سورة الجمعة
مدنية وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع
بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا
مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول
ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم
ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين
فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله
ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين
حملوا التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال
والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بالآيات
الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا
تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية
الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم
قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمين الاسم معنى
الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة
وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قبا واقام بها
الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة
والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون

الخير والشر الحقيقيين ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به
من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا
واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه السلام كان يخطب للجمعة
فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون العير به
والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما
كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله
خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي عليه السلام من قرا سورة
الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين سورة المنافقون مدنية وآيها احدى عشر بسم الله الرحمن الرحيم
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في
قوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب وشهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف
في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى الكلام
المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او
اذا راوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم
تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله في جمع مثله
فيصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولون مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم
والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف
كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا
يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم
للمؤمنين ان يدعوا عليهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك
يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله يعني فقراء المهاجرين حتى ينفضوا
ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكا الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة
فليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله عليه السلام وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل
على هذه القرآءة مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن
المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة
وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون

لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للآخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت اي يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني
امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده حملا على المعنى كانه قيل ان
اخرتني اكن وقرا ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على فاصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء
اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي عليه السلام من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق سورة التغابن مختلف
فيها وآيها ثماني عشر بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض لدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص
الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره
موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة
وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات
واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم
كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان
والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه
الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اي المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله
عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين
وقد قام مقامهما ان مع ما في حيزه قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة
وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد عليه السلام والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير
فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرا يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه
بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها
ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الاشارة
الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ
يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدا بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول
فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه
يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا
عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما
اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه
جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر

ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف وتقديره انفاقا خيرا وكان مقدرا جوابا للامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله قرضا
المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم الواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم
ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعمم
الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن
وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتأقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق
بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح
ان ابن عمر رضي الله عنهما لما طلق امرأته حائضا امره عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في
تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال
لحق لا بعد وجها في الجمع بين النهيين ولانه على استحقاقها السكنى لزومها ملازمة مسكن الفراق الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان
على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله
الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس او انت ايها النبي والمطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا
وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف
بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة والفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو
ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجه الله ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة
او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع
جعل على اتقائها ان يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين
والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها
وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب
ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص
بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم
من تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم شككتم في عدتهن فعدتهن
ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال
اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك
لرسول الله عليه السلام فقال قد حللت فتزوجي ولانه متأخر النزول فتقديمه في العمل تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله

في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه
فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من مكان سكناكم من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه
وعطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجؤوهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن
على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اي لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا
الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله
اعرض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق
فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها في قوله
فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا
يعني بالذكر جبرئيل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمدا عليه السلام لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه
عبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا مصدر او رسولا مفعوله
او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين آمنوا بعد انزاله
اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجيب وتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات
مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي خلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه
فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه السلام
خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له
انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف لبيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم
ما احله الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها
بالمشيئة حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا
مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني حفصة
تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي على الحديث اي على افشائه
عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف
فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام
ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالفة الرسول

بحث ما يحبه وكراهة ما يكرهه وإن تظاهرا عليه وإن تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم هو
من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فإن الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون
تخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالإضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله عسى ربه إن طلقكن أن
يبدله أزواجا خيرا منكن على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه لم يطلق حفصة وأن في النساء خيرا منهن لأن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم
يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وأبو عمرو ويبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات قانتات مصليات أو مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب
عابدات متعبدات أو متذللات لأمر الرسول سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لأنه يسيح بالنهار بلا زاد أو مهاجرات ثيبات وأبكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنهما
في حكم صفة واحدة إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم بالنصح والتأديب وقرئ وأهلوكم عطفا
على واو قوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي أمرها وهم الزبانية
غلاظ شداد غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل
أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار
والنهي عن الاعتذار لأنه لا عذر لهم أو العذر لا ينفعهم يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به
على الإسناد المجازي مبالغة أو في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور أو النصاحة
كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا نصوحا لأنفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة
وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الأنهار ذكر بصيغة الإطماع جريا على عادة الملوك وإشعارا بأنه تفضل والتوبة غير موجب وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي
الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي إحمادا لهم وتعريضا لمن ناوأهم وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم أي على الصراط
يقولون إذا طفئ نور المنافقين ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلا يا أيها النبي جاهد
الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم إذا بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم أو مأواهم ضرب الله مثلا للذين
كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج إغناء ما وقيل ادخلا أي لهما عند موتهما أو يوم القيامة
النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في أن وصلة الكافرين
لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله إذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك أو في أعلى
درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفس فرعون الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة
تسلية للأرامل التي أحصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها أي في مريم أو الحملة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط أصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة
أو بما أوحى إلى أنبيائه وكتابه وما كتب في اللوح أو جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى والإنجيل وكانت
من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم فتكون من للابتداء
عن النبي عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة

على

على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة

سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لأنها
تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر وآيها ثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها وهو على كل شيء قدير
على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحياة قدرهما أو أوجد الحياة وأزالها حسبما قدره وقدم الموت عليها لقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ولأنه
أدعى إلى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف أيها المكلفون أيكم أحسن عملا أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا أحسنكم عقلا وأورعكم عن محارم الله وأسرعكم في طاعته
جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا تعلق عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين
وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سماوات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل إذا
خصفتها على طبق وصف به أو طوبقت طباقا أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال أو طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي
من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فإن كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع
وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والإشعار بأنه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وأنه من جلائل نعمه والخطاب فيها للرسول
أو لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب أي قد نظرت إليها مرارا فانظر إليها مرة أخرى متأملا فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها
واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره إذا شقه ثم ارجع البصر كرتين أي رجعتين أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك
ولذلك أجاب الأمر بقوله ينقلب إليك البصر خاسئا بعيدا عن إصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا
السماء الدنيا أقرب السماوات إلى الأرض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل إضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سماوات فوقها إذ التزيين بإظهارها
عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين
الإنس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به وأعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم
من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على أن للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير وبئس المصير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير
وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز أن يراد غيظ الزبانية كلما ألقي فيها فوج جماعة من الكفرة
سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير أي فكذبنا
الرسل وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا الإنزال والإرسال رأسا وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال فالنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف أي أهل إنذار
أو منعوت به للمبالغة أو الواحد والخطاب له ولأمثاله على التغليب أو إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل أو على أن المعنى قالت الأفواج قد جاء إلى كل فوج منا رسول
فكذبناهم وضللناهم ويجوز أن يكون الخطاب كلام الزبانية للكفار على إرادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا أو عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع
كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات أو نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في أصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم
فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف إقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لأنه في الأصل مصدر أو المراد به الكفر فسحقا لأصحاب السعير فأسحقهم الله سحقا أي أبعدهم من رحمته
والتغليب للإيجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل إن الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بالخفية
منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل أن يعبر عنها سرا أو جهرا
ألا يعلم من خلق ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة
والتقييد بهذه الحال يستدعي أن يكون ليعلم مفعول والتعميم روي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله به رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد

على جبلتهم هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا لينة ليسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب
ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم
أأمنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير قلب الهمزة
وآمنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وآمنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل
من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي يمطر عليكم حصبا فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا
شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير
فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به
الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصيل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن
للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى او لم ينظروا في امثال هذه الصنائع
فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج
الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم
امن هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور
شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب
وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا
قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك
للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا
هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة
لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا به من
الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبي عليه السلام والمؤمنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفي فيه
العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما رأوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اي قريبا منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب
وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارأيتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين
او رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيهم احد متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه
مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو
في ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر
سهل المأخذ عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الملك فكأنما احيا ليلة القدر سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء الحروف و
قيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه
وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل

سورة ن

فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن عاصم ونافع وقرئ بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم
بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة
ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها
مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال والابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم
اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ايكم الذي فتن بالجنون
والباء مزيدة او بأيكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او بأي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن
تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن
او للسببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف
كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب طعان مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير
من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه
زنيم دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق
اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره
لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ حمزة وابن عامر ويعقوب و
ابو بكر أان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي لأن كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى
في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكأنه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي
على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على
الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد البستان الذي كان دون صنعاء
وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما
مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في
الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لا
اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها طائف بلاء طائف من ربك
وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها
من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اي اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل
بعلى لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون
فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي
المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم

مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان ينكدوا على المساكين فنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد وغدوا حاصلين
على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة
قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما رأوها اول ما رأوها قالوا
انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن اي بعد ما تأملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رأيا او سنا
الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لولا تستثنون
فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من
استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي
انهم ابدلوا خيرا منها وقرأ نافع وابو عمرو يبدلنا بالتشديد انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب
مثل ذلك الذي بلوناهم به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم
اي في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث
كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي
ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت
ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على
الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم
ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول
فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل
يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كانه
لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير
المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا
مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود
توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا او في زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا
الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم
لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما سماه كيدا لانه في صورته ام تسألهم اجرا
على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر
لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه
نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تداركه نعمة

لنبذ

لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه
بان رد الوحي اليه واستنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على
خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله عليه السلام ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من
قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق
كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه
وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا عن النبي عليه السلام من قرأ
سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اي الساعة او الحالة التي
يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدأ خبره ما الحاقة واصله ما هي
اي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما ادراك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها
دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير
الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم
وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت
على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات
فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير
واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة
بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعها
الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متآكلة
الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه
ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم
اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم اي آباءكم
وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته
وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه
باذاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ
في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على مكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره
للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال رفعت عن اماكنها بمجرد القدرة

سورة

الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة **فدكتا دكة واحدة** فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا
ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية **فيومئذ وقعت الواقعة** قامت القيمة
وانشقت السماء لنزول الملائكة **فهي يومئذ واهية** ضعيفة مسترخية **والملك** والجنس المتعارف بالملك **على ارجائها** جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء
بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك **ويحمل عرش ربك فوقهم** فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق
الثمانية لانها في نية التقديم **يومئذ ثمانية** ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة
لا يعلم عددهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال **يومئذ تعرضون** تشبيها للمحاسبة
بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة
واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل **لا تخفى منكم خافية** سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على
الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرا حمزة والكسائي بالياء للفصل **فاما من اوتي كتابه بيمينه** تفصيل للعرض **فيقول** تبجحا **هاؤم اقرؤا كتابيه** هاؤم اسم لخذوا وفيه لغات اجودها ها
يا رجل وها يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم
لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ
باثباتها في الوصل **اني ظننت اني ملاق حسابيه** اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم
النظرية **فهو في عيشة راضية** ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم **في جنة عالية**
مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار **قطوفها** جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر **دانية** يتناولها القاعد **كلوا واشربوا**
باضمار القول وجمع الضمير للمعنى **هنيئا** اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا **بما اسلفتم** بما قدمتم من الاعمال الصالحة **في الايام الخالية** الماضية من ايام الدنيا **واما من**
اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة **يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها** يا ليت الموتة التي متها **كانت القاضية** القاطعة لامري
فلم ابعث بعدها او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا **ما اغنى عني ماليه** مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى
هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا **خذوه** يقوله الله لخزنة النار **فغلوه ثم الجحيم صلوه** ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار
العظمى لانه كان يتعظم على الناس **ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا** اي طويلة **فاسلكوه** فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة
وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة **انه كان لا يؤمن بالله العظيم** تعليل
على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك **ولا يحض على طعام المسكين** ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا
ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين
بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب **فليس له اليوم هاهنا حميم** قريب يحميه **ولا طعام الا من غسلين** غسالة اهل النار وصديدهم
فعلين من الغسل **لا ياكله الا الخاطئون** اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطا المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها
فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف **بما تبصرون وما لا تبصرون** بالمشاهدات والمغيبات
وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها **انه** ان القران **لقول رسول** يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه **كريم** على الله وهو محمد او جبرئيل عليهما السلام
وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة **قليلا ما تؤمنون** تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم **ولا بقول كاهن** كما تزعمون اخرى **قليلا ما تذكرون**

تذكرون تذكرا قليلا ولذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القران للشعر امر بين
لا ينكرها الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب وابن عامر
بالياء فيهما **تنزيل** هو تنزيل **من رب العالمين** نزله على لسان جبرئيل **ولو تقول علينا بعض الاقاويل** سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة
اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك **لاخذنا منه باليمين** بيمينه **ثم لقطعنا منه الوتين** اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه
بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة **فما منكم من احد عنه** عن القتل او المقتول
حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس **وانه** وان القران **لتذكرة للمتقين** لانهم المنتفعون به **وانا لنعلم ان منكم مكذبين** فنجازيهم على تكذيبهم
وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين **وانه لحق اليقين** لليقين الذي لا ريب فيه **فسبح باسم ربك العظيم** فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى
بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي عليه السلام من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا **سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون** بسم الله الرحمن الرحيم
سأل سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء او الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على
لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور
والمعنى سال واد بعذاب ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الاخرة وهو عذاب النار **للكافرين** صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع
وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على الاول لتضمن سال معنى اهتم **ليس له دافع** يرده **من الله** من جهته لتعلق ارادته به **ذي المعارج**
ذي المصاعد وهي الدرجات التي تصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة
يعرجون فيها **تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة** استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى
انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار
خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض
ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد زمان عروجهم من الارض
الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او سال ان جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات
او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة **فاصبر صبرا جميلا** لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان
عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سيل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام **انهم يرونه**
الضمير للعذاب او ليوم القيمة **بعيدا** من الامكان **ونراه قريبا** منه او من الوقوع **يوم تكون السماء كالمهل** ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل من في يوم
ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت **وتكون الجبال كالعهن** كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت
في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح **ولا يسال حميم حميما** ولا يسال قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسال على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسال
منه حاله **يبصرونهم** استئناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم
يود المجرم يتمنى الكافر **لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه** حال من احد الضميرين او استئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي
باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وقرا نافع والكسائي بفتح الميم يومئذ **وفصيلته**

وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الأرض جميعا من الثقلين والخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي أي ثم لو ينجيه الافتداء
وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على أن الافتداء لا ينجيه إنها الضمير للنار أو مبهم يفسره لظى وهو خبر أو بدل أو للقصة ولظى مبتدأ خبره
نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص أو الحال المؤكدة أو المتنقلة على أن لظى
بمعنى متلظية والشوى الأطراف وجمع شواة وهي جلدة الرأس تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو أنفه الريب مجاز عن جذبها وإحضارها لمن فر عنها
وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله إذا أهلكه من أدبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فأوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا
إن الإنسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر إذا مسه الشر جزوعا يكثر الجزع وإذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الإمساك والأوصاف الثلاثة أحوال مقدرة
أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها وإذا الأولى ظرف لجزوعا والأخرى لمنوعا إلا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الأحوال
المذكورة قبل المضادة لتلك الصفات لعلمهم من حيث إنها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والإشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة
وإيثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في أموالهم حق
معلوم كالزكاة والصدقات الموظفة للسائل للذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا بأعمالهم وهو أن
يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على أنفسهم إن عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل على أنه
لا ينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله وإن بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون
سبق تفسيره في سورة المؤمنين والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون حافظون وقرأ ابن كثير لأمانتهم والذين هم بشهاداتهم قائمون يعني يحفظون ولا ينكرون ولا يكتمون
ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الأنواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون أركانها
وسننها وشرائطها وتكريره ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغة لا تخفى أولئك في جنات مكرمون
بثواب الله فما للذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزي إلى غير
من تعتزي إليه الأخرى كان المشركون يتحلقون حول رسول الله عليه السلام حلقا حلقا ويستهزئون بكلامه أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بلا إيمان وهو إنكار لقولهم
لو صح ما يقوله لنكونن فيها أفضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع إنا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى إنكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد دخولها أو إنكم مخلوقون من أجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يبوأ منازل
الكاملين أو الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا أقسم برب المشارق والمغارب
إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم أي نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم أو نعطي محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الأنصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين إن أردنا أن نهلكهم فذرهم
يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو في آخر سورة الطور يوم يخرجون من الأجداث سراعا مسرعين جمع سريع كأنهم إلى نصب منصوب للعبادة أو علم
يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون بفتح النون وسكون الصاد وقرئ نصب بالضم على أنه تخفيف نصب أو جمع خاشعة أبصارهم ترهقهم
ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي عليه السلام من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وآيها تسع أو ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك بأن أنذر أي بالإنذار أو بأن قلنا له أنذر ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن
الإرسال معنى القول وقرئ بغير أن على إرادة القول من قبل أن يأتيهم عذاب أليم عذاب الآخرة أو الطوفان قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون
مر في سورة الشعراء نظيره وأن يحتمل الوجهين يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فإن الإسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم إلى أجل مسمى هو أقصى ما قدر لكم

بشرط الإيمان والطاعة إن أجل الله إن الأجل الذي قدره إذا جاء على الوجه المقدر به أجلا وقيل إذا جاء الأجل الأطول لا يؤخر فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير
لو كنتم تعلمون لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه أنهم لانهماكهم في حب الحياة كأنهم شاكون في الموت قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا أي دائما فلم يزدهم
دعائي إلا فرارا عن الإيمان والطاعة وإسناد الزيادة إلى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم إيمانا وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان لتغفر لهم بسببه جعلوا أصابعهم في آذانهم
سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر إلي من فرط كراهة دعوتي أو لئلا أعرفهم فأدعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة
وأصروا أكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت
لهم وأسررت لهم إسرارا أي دعوتهم مرة بعد أخرى كرة بعد أولى على أي وجه أمكنني وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد والتراخي بعضها عن بعض
وجهارا نصب على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا أي مجاهرا به أو الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر
إنه كان غفارا للتائبين وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا إن كنا على حق فلا نتركه وإن كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب إليهم
المنح ولذلك وعد لهم عليه ما هو أوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى إصرارهم حبس الله عنهم القطر أربعين سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار
عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب
والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا أي تعظيما لمن عبده وأطاعه فتكونوا
على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار أو لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع الأدنى
الظن مبالغة وقد خلقكم أطوارا حال مقررة للإنكار من حيث إنها موجبة للرجاء فإنه خلقهم أطوارا أي تارات إذ خلقهم أولا عناصر ثم مركبات تغذي الإنسان
ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأهم خلقا آخر فإنه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب وعلى أنه تعالى عظيم القدرة
تام الحكمة ثم أتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا أي في السموات وهو في السماء الدنيا وإنما نسبه إليهن
لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله والله أنبتكم من الأرض نباتا أنشأكم منها
فاستعير الإنبات للإنشاء لأنه أدل على الحدوث والتكون من الأرض وأصله أنبتكم إنباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين
ويخرجكم إخراجا بالحشر وأكده بالمصدر كما أكد به الأول دلالة على أن الإعادة محققة كالبدء وأنها تكون لا محالة والله جعل لكم الأرض بساطا تتقلبون عليها
لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب إنهم عصوني فيما أمرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا
واتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بأولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه أنهم إنما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بأموالهم وأولادهم
أدت بهم إلى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن والحزن أو جمع كالأسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه
للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية فإنه أبلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم أي عبادتها ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال
وقد انتقلت إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما
للعلمية والعجمة وقد أضلوا كثيرا الضمير للرؤساء أو الأصنام كقوله إنهن أضللن كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا عطف على رب إنهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال
في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم أو الضياع والهلاك كقوله إن المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من أجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ
أبو عمرو مما خطاياهم أغرقوا بالطوفان فأدخلوا نارا المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال أو لأن المسبب كالمتعقب

وان رای حجة لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله
وانها لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور اصله ديوار ففعل به
ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم
وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة
ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي عليه السلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر
ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه
عليه السلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا كتابا بديعا مباينا لكلام
الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل
القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام
فانهما من جملة الموحى ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام على الاستيناف وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من كلامهم فمعطوف
على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت
والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وهو قوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق
ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الولد والصاحبة وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا
والشطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشتط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا كذبا ومن قرأ
ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا
الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل
الغشي وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى
ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه
فوجدناها ملئت حرسا حرسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للرصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه
عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا
خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق كنا فيها
في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما
ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو
لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما

لان من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا
رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان لو استقام الجن والانس او كلاهما
على الطريقة على الطريقة المثلى لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه
لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم
لكفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي عليه السلام مسجدا وقيل المسجد الحرام
لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي عليه السلام وانما ذكر بلفظ العبد
للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته
وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة
لغة وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم واطباقكم على مقتي وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر
للنبي عليه السلام ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن
يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد
لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله
في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية
لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو ام هم قل ان ادري ما ادري
اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن
لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى من رسول لعلم بعضه حتى يكون له معجزة
بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على
احوال الآخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا
اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبرئيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير
واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة
سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به
وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي النبي عليه السلام به تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة
او روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباءه قم الليل
اي قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه استثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا
وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف
كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا

قراءة على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل إذا كان مفلجا إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فإنه لما فيه من التكاليف
ثقيل على المكلفين سيما على الرسول إذ كان عليه أن يتحملها ويحملها أمته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على أنه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس
لرزانة لفظه ومتانة معناه أو ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيل في الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقيل تلقيه لقول عائشة رأيته
ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز أن يكون صفة للمصدر والجملة على هذا الوجه للتعليل مستأنف فإن التهجد يعد
للنفس ما يعالج ثقله إن ناشئة الليل إن النفس التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة من نشأ من مكانه إذا نهض قال نشأنا إلى خوص برى نيها السرى وألصق منها مشرفات القماحد
أو قيام الليل على أن الناشئة له أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث أو ساعات الليل لأنها تحدث واحدة بعد أخرى أو ساعاتها الأول من نشأت إذا ابتدأت هي أشد وطاء
أي كلفة أو ثبات قدم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء أي مواطأة القلب اللسان لها أو فيها أو موافقة لما يراد من الخضوع والإخلاص وأقوم قيلا وأسد مقالا أو أثبت قراءة
لحضور القلب وهدوء الأصوات إن لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فإن مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا أي تفرق قلب بالشواغل
مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن
ودراسة علم وتبتل إليه تبتيلا وانقطع إليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف أو مبتدأ
خبره لا إله إلا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل بإضمار حرف القسم وجوابه لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل
فإن توحده بالألوهية يقتضي أن توكل إليه الأمور واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل أمرهم إلى الله كما قال
وذرني والمكذبين دعني وإياهم وكل إلي أمرهم فإن فيه غنية عنك في مجازاتهم أولي النعمة أرباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا أو إمهالا قليلا
إن لدينا أنكالا تعليل للأمر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا أليما ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه إلا الله
ولما كانت العقوبات الأربع مما يشترك فيها الأشباح والأرواح فإن النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص إلى عالم المجردات متحرقة
بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي أنوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف الأرض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في
لدينا أنكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء إذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا إذا نثر إنا أرسلنا إليكم رسولا
يا أهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالإجابة والامتناع كما أرسلنا إلى فرعون رسولا يعني موسى لم يعينه لأن المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول
عرفه لسبق ذكره فأخذناه أخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون إن كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم
يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل وأصله أن الهموم تضعف القوى فتسرع بالشيب ويجوز أن يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر
منشق والتذكير على تأويل السقف أو إضمار شيء به بشدة ذلك اليوم على عظمها وإحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل أو لليوم
على إضافة المصدر إلى المفعول إن هذه الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا أي يتقرب إليه بسلوك التقوى إن ربك يعلم أنك تقوم
أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار الأدنى للأقل لأن الأقرب إلى الشيء أقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على أدنى وطائفة
من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من أصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله تعالى فإن تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص
ويؤيده قوله علم أن لن تحصوه أي لن تحصوا تقدير الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرءوا ما تيسر من القرآن
فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقرآن كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات
الخمس أو فاقرءوا القرآن بعينه كيف تيسر عليكم علم أن سيكون منكم مرضى استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال وآخرون

يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله والضرب في الأرض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه
وأقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وأقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الأمر بسائر الإنفاقات في سبيل الخير أو بأداء الزكوة على أحسن وجه والترغيب فيه
بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا من الذي تؤخرونه إلى الوصية عند الموت أو من متاع الدنيا وخيرا
ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيد أو فصل لأن أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع أحوالكم فإن
الإنسان لا يخلو من تفريط إن الله غفور رحيم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون

سورة

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر أي المتدثر وهو لابس الدثار روي أنه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئا فنظرت فوقي فإذا هو
قاعد على عرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر ولذلك قيل هي أول سورة
نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه متفكرا أو كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية والمختفي فإنه كان بحراء كالمختفي فيه
على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر أي الذي دثر هذا الأمر وعصب به قم من مضجعك أو قم قيام عزم وجد فأنذر مطلق للتعميم ومقدر بمفعول دل عليه قوله وأنذر
عشيرتك الأقربين أو قوله وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي أنه لما نزل
كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيقن أنه الوحي وذلك لأن الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لإفادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن فكبر ربك
على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فإن أول ما يجب معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك
فطهر من النجاسات فإن التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو أول ما أمر به من رفض العادات
المذمومة أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة والأفعال الدنيئة فيكون أمرا باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية والدعاء إليه أو طهر دثار النبوة
عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة
ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو أن يهب شيئا طامعا في عوض أكثر نهي تنزيه أو نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته
ما فيه من الحرص والضنة أو لا تمنن بعبادتك على الله مستكثرا إياها أو على الناس بالتبليغ مستكثرا به الأجر منهم أو مستكثرا إياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف أو الإبدال
من تمنن على أنه من من بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على إضمار أن وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بحذفها وإبطال عملها كما روي أحضر الوغى
بالرفع ولربك ولوجهه أو أمره فاصبر فاستعمل الصبر أو فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين فإذا نقر في الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت
وأصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم وإذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك
يومئذ يوم عسير على الكافرين فإن معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله أو ظرف لخبره إذ التقدير
فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير غير يسير تأكيد يمنع أن يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بتيسيره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزلت في الوليد
ابن المغيرة ووحيدا حال من الياء أي ذرني وحدي معه فإني أكفيكه أو من التاء أي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو من العائد المحذوف أي من خلقته فريدا لا مال له
ولا ولد أو ذم فإنه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما به أو إرادة أنه وحيد ولكن في الشرارة أو عن أبيه لأنه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا أو ممدا
بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون إلى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج أن يرسلهم
في مصالحه لكثرة خدمه أو في المحافل والأندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين أو أكثر كلهم رجال فأسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت
له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد أي باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع أن أزيد على ما أوتيته وهو استبعاد لطمعه

ما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع
على سبيل الاستيناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا سأغشيه
عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه السلام الصعود جبل من النار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد
او بيان للعناد والمعنى انه فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال
عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي ابلغ في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده روي انه مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة فاتى
قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى
فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام وناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق
ويقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه
ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القرآن
مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله وقطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق واستكبر
عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول البشر كالتاكيد
للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادريك ما سقر تفخيم لشأنها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر عاملها
فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئ بالنصب على الاختصاص
تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع او
جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة
لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف والساعات الاربعة والعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوة فيبقى تسعة عشر قد تصرف
فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة
كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا
واشدهم غضبا لله وروي ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستعظامهم
ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد
وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
اي في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون
في المدينة بعد الهجرة والكافرون المجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل
كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو
اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر او عدة خزنتها
الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذا ادبر

على

على المضي والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف كالتاء كما
الحقت قاصعاء بقاصعة فجمع على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا للبشر لاحدى الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة
منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر
لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة
لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم
يتساءلون عن المجرمين اي يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر جوابه حكاية لما جرى بين المسئولين
والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اطعامهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين
نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيمة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة
الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اي معرضين عن التذكير يعني القرآن او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة
شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبي عليه السلام لن نتبعك حتى تأتي كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم
الآيات بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة اي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره
وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ
بهما مشددة هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة

سورة القيمة مكية وآيها تسع وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم
للتاكيد شائع في كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس
اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة
للنفس الامارة او بالجنس لما روي انه عليه السلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا
قالت ليتني قصرت او نفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس
واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سأل رسول الله عليه السلام عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم
لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه سلامياته ونضم
بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى
وقرئ بالرفع اي نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام
ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسأل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر
الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ
على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف
بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ

أين المفر أي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر
وهو الثقل إلى ربك يومئذ المستقر إليه وحده استقرار العباد أو إلى حكمه استقرار أمرهم أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا
الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله أو بما قدم من عمل حسن عمله وبما أخر من سيئة عمل بها بعده أو بما قدم من ماله فتصدق به
وبما أخر فخلفه أو بأول عمله وآخره بل الإنسان على نفسه بصيرة حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز أو عين بصيرة بها فلا يحتاج
إلى الإنباء ولو ألقى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر
وذلك أولى وفيه نظر لا تحرك به بالقرآن لسانك قبل أن يتم وحيه لتعجل به لتأخذه على عجلة مخافة أن يتفلت منك إن علينا جمعه في صدرك وقرآنه
وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فإذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم إن علينا بيانه بيان
ما أشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما هو توكيد التوبيخ على حب العجلة لأن العجلة إذا كانت مذمومة
فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره أو تذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الإنسان المذكور والمعنى أنه يؤتى كتابه
فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فإن علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته فإذا قرأناه فاتبع قرآنه
بالإقرار أو التأمل فيه ثم إن علينا بيان أمره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول عن عادة العجلة أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة تعميم للخطاب إشعارا بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال وإن كان الخطاب للإنسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير
وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة إلى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول
وليس هذا في كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره وقيل منتظرة إنعامه ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه
لا يعدى بإلى وقول الشاعر: وإذا نظرت إليك من ملك • والبحر دونك زدتني نعما • بمعنى السؤال فإن الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة
شديدة العبوس والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه تظن تتوقع أربابها أن يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن إيثار
الدنيا على الآخرة إذا بلغت التراقي إذا بلغت النفس أعالي الصدر وإضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق قال حاضروا صاحبها
من يرقيه مما به من الرقية أو قال ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقي وظن أنه الفراق وظن المحتضر أن الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها
والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها أو شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة إلى ربك يومئذ المساق سوقه أي إلى الله وحكمه
فلا صدق ما يجب تصديقه أو فلا صدق ماله أي فلا زكى ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للإنسان المذكور في أيحسب الإنسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة
ثم ذهب إلى أهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فإن المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط أو من المطا وهو الظهر فإنه يلويه أولى لك فأولى ويل لك
من الولي وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل أفعل من الويل بعد القلب كأدنى من دون أو فعلى من آل يؤول
بمعنى عقباك النار ثم أولى لك فأولى أي يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى أيحسب الإنسان أن يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير إنكاره
للحشر والدلالة عليه من حيث أن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق إلا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة
ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والأنثى وهو استدلال آخر بالابتداء على الإعادة
على ما قرره مرارا ولذلك رتب عليه قوله أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى وعن النبي عليه السلام أنه كان إذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام
من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا به سورة الإنسان مكية وآيها إحدى وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتى على الإنسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد وأصله أهل كقوله: أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم • حين من الدهر طائفة محدودة
من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الإنسان أو وصف لحين بحذف
الراجع والمراد بالإنسان الجنس لقوله إنا خلقنا الإنسان من نطفة أو آدم بين أولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه أمشاج أخلاط جمع مشيج من مشجت الشيء إذا خلطته
وجمع النطفة به لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الأجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد
كأعشار وأكياش وقيل ألوان فإن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا اخضرا أو أطوار فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة نبتليه في موضع
الحال أي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره أو ناقلين له من حال إلى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب
عن الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله إنا هديناه السبيل أي بنصب الدلائل وإنزال الآيات إما شاكرا وإما كفورا حالان
من الهاء وإما للتفصيل أو التقسيم أي هديناه في حالتيه جميعا أو مقسوما إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه أو من السبيل ووصفه
بالشكر والكفر مجاز وقرئ أما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كفورا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل وإشعارا بأن الإنسان لا يخلو عن كفران غالبا
وإنما المأخوذ به التوغل فيه إنا أعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون وأغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم
لأن الإنذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر سلاسلا للتناسب إن الأبرار جمع بر كأرباب أو بار كأشهاد
يشربون من كأس من خمر وهي في الأصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج به كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور فيكون
كالمن وجه به عينا بدل من كافورا إن جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف أي ماء عين أو خمرها أو نصب على الاختصاص أو بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها
عباد الله أي ملتذا أو ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة أو بمعنى من لأن الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا إجراء سهلا يوفون بالنذر
استئناف ببيان ما رزقوه لأجله كأنه سئل عنه فأجيب بذلك وهو أبلغ في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لله كان أوفى بما
أوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار وفيه إشعار بحسن عقيدتهم
واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله أو الطعام أو الإطعام مسكينا ويتيما وأسيرا يعني أسارى الكفار فإنه عليه السلام كان يؤتى بالأسير
فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه أو الأسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك إنما نطعمكم لوجه الله
على إرادة القول بلسان الحال أو المقال إزاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للأجر وعن عائشة أنها تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل المبعوث
ما قالوا فإن ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا أي شكرا إنا نخاف من ربنا فلذلك نحسن
إليكم أو لا نطلب المكافأة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه
من اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة
وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على أداء الواجبات واجتناب المحرمات وإيثار الأموال جنة بستانا يأكلون منه وحريرا يلبسونه
وعن ابن عباس أن الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله
عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاث إن برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص
فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه
ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك متكئين فيها على الأرائك حال من هم

في جزائهم وصفة لجنة «لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا» يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال الشاعر · وليلة ظلامها قد اعتكر · قطعتها والزمهرير ما زهر · والمعنى انها مضيئة بذاتها لا يحتاج الى شمس وقمر «ودانية عليهم ظلالها» حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حال او صفة «وذللت قطوفها تذليلا» معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا «ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب» بلا عروة «كانت قواريرا قواريرا من فضة» اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير «قدروها تقديرا» اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوا او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء «ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا» ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب تستلذ الشراب الممزوج به «عينا فيها تسمى سلسبيلا» لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفى عنه لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح «ويطوف عليهم ولدان مخلدون» دائمون «اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا» من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض «واذا رأيت ثم» ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع «رأيت نعيما وملكا كبيرا» واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت «عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق» يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب «وحلوا اساور من فضة» عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع بينهما ومن فيه للتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين «وسقاهم ربهم شرابا طهورا» يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار «ان هذا كان لكم جزاء» على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم «وكان سعيكم مشكورا» مجازى عليه غير مضيع «انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا» مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به «فاصبر لحكم ربك» بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم «ولا تطع منهم آثما او كفورا» اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان تكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور «واذكر اسم ربك بكرة واصيلا» وداوم على ذكره او دم على صلوات الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما «ومن الليل فاسجد له» وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص «وسبحه ليلا طويلا» وتهجد له طائفة طويلة من الليل «ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم» امامهم او خلف ظهورهم «يوما ثقيلا» شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه «نحن خلقناهم وشددنا اسرهم» واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب «واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا» واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية «ان هذه تذكرة» الاشارة الى السورة او الآيات

«فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا» يتقرب اليه بالطاعة «وما تشاؤن الا ان يشاء الله» وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء «ان الله كان عليما» بما يستأهل كل احد «حكيما» لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته «يدخل من يشاء في رحمته» بالهداية والتوفيق للطاعة «والظالمين اعد لهم عذابا اليما» نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي عليه السلام من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم «والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا» اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه السلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما بمعنى العرف نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال «عذرا او نذرا» مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاول بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدل من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف «انما توعدون لواقع» جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء الساعة كائن لا محالة «فاذا النجوم طمست» محقت او ذهب نورها «واذا السماء فرجت» صدعت «واذا الجبال نسفت» كالحب ينسف بالمنسف «واذا الرسل اقتت» عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل «لاي يوم اجلت» اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت «ليوم الفصل» بيان ليوم التأجيل «وما ادراك ما يوم الفصل» ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله «ويل يومئذ للمكذبين» اي بذلك اليوم وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته «الم نهلك الاولين» كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه «ثم نتبعهم الآخرين» اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى «كذلك» مثل ذلك الفعل «نفعل بالمجرمين» بكل من اجرم «ويل يومئذ للمكذبين» بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب «الم نخلقكم من ماء مهين» نطفة قذرة ذليلة «فجعلناه في قرار مكين» هو الرحم «الى قدر معلوم» الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة «فقدرنا» على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد «فنعم القادرون» نحن «ويل يومئذ للمكذبين» بقدرتنا على ذلك او على الاعادة «الم نجعل الارض كفاتا» كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها «احياء وامواتا» منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او على الحال من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بجعل على المفعولية وكفاتا حال فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت «وجعلنا فيها رواسي شامخات» جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او اشعار بان في الارض ما لم يعرف ولم ير «واسقيناكم ماء فراتا» بخلق الانهار والمنابع فيها «ويل يومئذ للمكذبين»

بامثال هذه النعم انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم لقوله وظل من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب كانه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه والتهابه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعل جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة والعمل ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا واخضعوا وصلوا او اركعوا في الصلوة اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها سبة وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذ لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويترائونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبأ العظيم بيان لشأن المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي فراشا كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء

وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حيوة تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع يقال جنة لف وعيش مغدق وقيل لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان في علم الله او في حكمه ميقاتا حدا يوقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روي انه عليه السلام سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات والمانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال اي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤوس الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه

فان للحصار والكتبة بيانا كان في معنى الضبط او فعله لمقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات مجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار
ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء
فلكت ثديهن اترابا لدات وكاسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب
بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا
من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك
الرحمن وقد رفعه الحجازيون وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفته الا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وحدها على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا
والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا
وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء
الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف لا يملكون او لا يتكلمون
والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا الى ثوابه بالايمان والطاعة
انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب لا محالة ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي يرى
ما قدمه من خير وشر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية
منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر
سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حاله عن النبي عليه السلام من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة سورة النازعات مكية وآيها خمس وست واربعون

سورة

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا
هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد
وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون
بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات او الاوليان لهم
والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب
غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحون في الفلك فيسبق
بعضها في السير لكونه اسرع حركة فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب
قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمي الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا
من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات
فتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة وايديهم تنزع القسي باغراق السهام
وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها
وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف

الرا

الراجفة وهو منصوب به اي بالمحذوف والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال
او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة
في موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف
ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته
التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه
فحفرت حفرا وهي حفرة ائذا كنا وقرأ نافع وابن عامر اذا كنا على الخبر عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيون والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا
كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف
اي لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في بطنها والساهرة
الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها لا ينام خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك
حديث موسى اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى
قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل
الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون
بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا فاراه الآية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم
والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة
يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعدما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم
الاعلى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة
وهي هذه وكلمته الاولى هو قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى
لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها
من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسويها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب وغيرها من قولهم سوى فلان امره
اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها لقوله والشمس وضحيها يريد
النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة
عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ الارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية
متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي اكبر الطامات وهي القيمة او النفخة
الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيه من فرط
الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا يخفى على احد وقرئ وبرزت
ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر
او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هي المأوى هي مأواه

والاولى فيه ساد مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي وهي فصل او مبتدأ واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ
والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هي المأوى ليس له سواها مأوى يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها
او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكراها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكرها
وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف معناه انت ذكر
اي علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهاها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشاها
انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل
لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحاها اي عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى
الى العشية لانهما من يوم واحد عن النبي عليه السلام من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة سورة عبس مكية
وآيها احدى واربعون بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش
يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت وكان
رسول الله يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف
المذهبين وقرئ آن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع الرسول القوم والدلالة على
انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر
بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى اي او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت في
تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم فتنفعه بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى
تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اي تعرض وتدعى الى التصدي وما عليك الا يزكى
وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير
وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي
للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره مكرمة
او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف
عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي
بين الله تعالى وبين رسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين
يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم
من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له
من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر
ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها
ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة والامر

بالقبر

بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين في نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه
لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم
الخارجية انا صببنا الماء صبا استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل من الطعام بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا
اي بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه
اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ
مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من أب اذا أم لانه يؤم وينتجع او من أب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤوب
للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الاحب فالاحب
للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ
مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة
اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك جمع الى سواد وجوههم الغبرة قال عليه السلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة
ووجهه ضاحك مستبشر سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها
بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا
والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعده اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال
فضاء فانكدر او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر
جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحاب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت
او اميتت من حشرتهم السنة اذا اجحفت بهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر
التنور بالحطب اذا احماه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس
المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموءودة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت
بأي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وقرئ سئلت على الاخبار عنها وقرئ
قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب وقرئ بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة
التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا
وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها
ثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس
في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله
الجوار الكنس اي السيارة التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه
او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس وسعسع الليل اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم انه اي القرآن لقول رسول

يعني جبرئيل فانه قاله عن الله كريم ذي قوة لقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي
ثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبرئيل
على محمد عليهما السلام حيث عد فضائل جبرئيل واقتصر على نفي الجنون عن النبي عليه السلام وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى
ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبرئيل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على الغيب على ما يخبره
من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل في التبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان
وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العلى وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع ونفي لقولهم
انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه من امر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير
لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاءون الاستقامة يا من يشاؤها الا ان يشاء الله
الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال عليه السلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله تعالى ان يفضحه
حين تنشر صحيفته سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة
واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره
بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركة ويجوز ان يراد بالتاخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي
فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان
كثرة كرمه تستدعي الجد في الطاعة لا الانهماك في العصيان اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان
من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة او مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة
لما يستعد لها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة
سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة
على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله تعظيم للجزاء
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها
قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادراك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا يدركه دراية دار
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف
قال عليه السلام من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلاثون
بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا
فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا

من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم
اي كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع
لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم
يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل
من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه
برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة
اعمالهم لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه
فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب
مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد
متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث شغلته عما وراءها وحملته
على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل كلا ردع عن
هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم
فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين
الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم
باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذي كنتم به
تكذبون تقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان
كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة
ان الابرار لفي نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب
تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي
له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون
ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله
وتمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين آمنوا يضحكون
كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص
فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين ... فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون
هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون اي اثيبوا وقرأ حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء وقال عليه السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه
تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اي انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت
بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها وآكامها والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات
وتخلت وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع
من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار او لدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اي جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه وقيل ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك اي عمل نفس والكدح السعي الى لقائه
فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما
من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه
وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان وابن عامر والكسائي ويصلى كقوله وتصلية جحيم وقرئ يصلى كقوله ويصلونها انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا
بالمال والجاه فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم
بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه
فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها
في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء طبقا
ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبق او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق ومجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيامة واذا
قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم فنزلت
واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله سجد فيها
بل الذين كفروا يكذبون اي القرآن والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنون عليهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى
ان يؤتيه كتابه وراء ظهره سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور
لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت ومنازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور
واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه
وصفهما او للمبالغة في الكثرة كما قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته وامته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او الحق وخلقه او الملك
على خلقه وهو شاهد على جوده او الملك الحفيظ والمكلف ويوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود
قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت
المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود والخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك

فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربي فغضب فعذبه
فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق
فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني
فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه
اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار
فطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود
صفة لها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر
فيما امره او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على
طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله
الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى ثم لم
يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق
ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها يصغر دونه
ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده في الآخرة وهو الغفور الودود لمن تاب الودود
المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة
وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتاك
حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب
قومك وحذرهم مثل ما اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب عنهم ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا
آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد بل هو الذي كذبوا به كتاب شريف
وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ
في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن النبي عليه السلام من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا
عشر حسنات سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق
واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد
الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس لما عليها حافظ اي ان الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب فان هي
المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق
لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق
ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من المائين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر
ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض

سورة

على برهيم وموسى محمد عليهم السلام سورة الغاشية مكية وآياتها ست وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية

سورة

سورة الفجر مكية وآياتها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر

... اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يتبعه ويسرع الافراط بالجماع بالضعف فيه وله خلفة وهي النخاع

... له الى الترائب بهما اقرب الى وعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة

... والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث منها

... من منعة في نفسه يمتنع به ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع يرجع في كل دورة الى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل الرجع

... يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات والشق بالنبات

... فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فانه جد كله انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا

... لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا

... التسكين عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات سورة سبح مكية وآياتها تسع

عشرة بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره ...

ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لأنه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الإحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر كيف فعل ربك بعاد يعني أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم باسمه إرم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف أي سبط إرم أو أهل إرم إن صح أنه اسم بلدتهم وقيل سمي أوائلهم وهم عاد الأولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ذات العماد ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال أو الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها إرم فلما تم سار إليها بأهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة أخرى لإرم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا أو لتعذيبه بالأوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون أو ذم منصوب أو مرفوع فأكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من أنواع العذاب وأصله الخلط وإنما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما أحل بهم في الدنيا إشعارا بأنه بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط إذا قيس إلى السيف إن ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لإرصاده العصاة بالعقاب فأما الإنسان متصل بقوله إن ربك لبالمرصاد كأنه قيل إنه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد إلا السعي لها فأما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا ولذاتها إذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر فأكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي أكرمن فضلني بما أعطاني وهو خبر المبتدأ الذي هو الإنسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام وكذا قوله وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه إذ التقدير وأما الإنسان إذا ما ابتلاه أي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي أهانن لقصور نظره وسوء فكره فإن التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي إلى قصد الأعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع أن قوله الأول مطابق لأكرمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه لأن التوسعة تفضل والإخلال بها لا يكون إهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون أكرمن وأهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن أبي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين أي بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال وهو أنهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون أهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون تحاضون وتأكلون التراث الميراث وأصله وراث أكلا لما ذا لم أي جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب لا يكرمون إلى يحبون بالياء والباقون بالتاء كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه إذا دكت الأرض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباء منبثا وجاء ربك أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها يومئذ بدل من إذ دكت والعامل فيهما يتذكر الإنسان أي يتذكر معاصيه ويتعظ لأنه يعلم قبحها فيندم عليها وأنى له الذكرى أي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فإن هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي أي لحياتي هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فإن المحجور عن الشيء قد يتمنى أن كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد الهاء لله أي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله له أو للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا أيتها النفس المطمئنة على إرادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره أو إلى الحق بحيث لا يريبها شك

التي

التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي إلى ربك إلى أمره أو موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الأبدان موجودة في عالم القدس أو بالبعث راضية بما أوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم أو في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فإن الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة أو ادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي أعدت لك عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة

سورة

سورة البلد مكية وآيها عشرون بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد أقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول فيه إظهارا لمزيد فضله وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره أو حلال لك أن تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم أو إبراهيم وما ولد ذريته أو محمد عليه السلام والتنكير للتعظيم وإيثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله أعلم بما وضعت لقد خلقنا الإنسان في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا إذا وجعت كبده ومنه المكابدة والإنسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه السلام مما كان يكابده من قريش والضمير في أيحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه أكثر أو يغتر بقوته كأبي الأشد بن كلدة فإنه كان يبسط تحت قدميه أديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزول قدماه أو لكل أحد منهم أو للإنسان أن لن يقدر عليه أحد فينتقم منه يقول أي في ذلك الوقت أهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء إذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة للرسول أيحسب أن لم يره أحد حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني أن الله يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر أو الثديين وأصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة أي فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والإطعام في قوله وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب وترب إذا افتقر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض معناه أنك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم أو فك بثم لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمة الله أولئك أصحاب الميمنة اليمين أو اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن هم أصحاب المشأمة الشمال أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبي عليه السلام من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة

سورة

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها وضوئها إذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر إذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو في الاستدارة وكمال النور والنهار إذا جلاها جلى الشمس فإنها تنجلي إذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر ذكرها للعلم بها والليل إذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي ضوءها أو الآفاق أو الأرض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظرف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام في قوله والأرض وما طحاها ونفس وما سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فألهمها فجورها وتقواها بقوله وما سواها إلا أن يضمر فيه اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس أو للتعظيم والمراد نفس آدم

والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما او التمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكاها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به
الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم الآلاء
ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة
لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دساها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغواها
بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى
اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقاها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن مالاه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع
فقال لهم رسول الله ناقة الله اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم
من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم فسواها فسوى الدمدمة بينهم
او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقباها اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع
وابن عامر فلا على العطف عن النبي عليه السلام من قرا سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة

سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اى يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق
صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين
لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة
كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى
للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا
للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء
او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصلاها لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها
ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اى كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم
ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله
وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافاة نعمة
ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر حين اشترى بلالا في جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف
عن النبي عليه السلام من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة

سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا
والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف
ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل
وروي ان الوحي تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا
عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا

ويعدله ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل
لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل على الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك
لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه
تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام
فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك
فازال ضلالك عن عمك وجدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا
تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي
عليه السلام من قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة

سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم
وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل اتى النبي عليه السلام في صباه او يوم الميثاق فاستخرج
قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك
عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم
والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك
بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه مع ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب
وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع
والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان من معنى المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به
اتصال المتقارنين ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او استئناف وعدة بان العسر مشفوع بيسر آخر كقولك ان للصائم فرحتين فرحة عند الافطار وفرحة عند
لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول
فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة
او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فان القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اى رغب الناس الى طلب ثوابه عن
النبي عليه السلام من قرا سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة

سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة
ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه
قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس
او البلدان وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الامين اى الآمن من امن الرجل امانة
فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات
ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك اي فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا
بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب أليس الله باحكم الحاكمين
تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة وهي اول ما نزلت
وقيل الفاتحة ثم هذه بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد
ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذي خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته
من علق جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة والاول مطلق والثاني
للتبليغ او في الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وربك الاكرم الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف
الكريم وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات
فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا للاكرمية
واشارة الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى
مصدر كالبشرى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه
من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي أرأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى أرأيت
في قوله أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرني
عبادة عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب
يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل
في الثانية مع الكفار فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى كأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى أتنهاه ولعله
بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلاة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل او لان نهي العبد اذا صلى
ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى
والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة وكتبه في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية
ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازي
فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله عليه السلام وهو يصلي فقال ألم انهك فاغلظ له رسول الله فقال
وانا اكبر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على
والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك
العبد الى ربه وهو ساجد عن النبي عليه السلام من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كأنما قرأ المفصل كله سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم
انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي

بقوله

بقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدئ بانزاله فيها او انزل جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة
ثم كان جبرئيل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها
والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما
انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة
والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك
وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة
فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي عليه السلام من
القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم
حتى تأتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير
يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبرئيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا
وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن
بالاصرار على كفرهم الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا وافراد اهل الكتاب بعد الجمع
وبين المشركين لانه على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من
والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت
اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمزة على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات
وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد رضي الله عنهم استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم
ما يتمنى ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي عليه السلام من قرأ سورة لم يكن كان يوم
مع خير البرية مساء ومقيلا سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة
او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع
البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله
زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث
بان حدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشف
يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص

والعقاب وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء
عن النبي عليه السلام من قرا سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القران كله سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا
حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات صبحا يغير اهلها على العدو صبحا اي وقته فاثرن به فهيجن بذلك
الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي متلبسات به جمعا من جموع الاعداء روي انه عليه السلام بعث خيلا
فمضت شهرا لم ياته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات
مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل
بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه
لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور بعث من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في
الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما
قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ ان ربهم بهم بلا لام عن النبي عليه السلام من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد
جمعا سورة القارعة مكية وآيها عشر بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة سبق بيانه في سورة الحاقة يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف
لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة راضية ذات رضى اي مرضية واما من خفت موازينه
بان لم يكن له حسنة يعبا بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادراك ما هيه نار حامية ذات حمى عن النبي
عليه السلام من قرا القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو
منقول من لهي اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى
الموتى بزيارة المقابر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء
والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم
مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخرتكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه
ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطا رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا عن غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون
تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين
ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم
جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد والاولى اذا رأتهم من مكان بعيد
والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسالن
يومئذ عن النعيم الذي الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة لقوله تعالى من حرم زينة الله
كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسال عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي عليه السلام من قرا سورة الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به في

واعطي من الاجر كانما قرا الف اية سورة والعصر مكية وآيها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلوة العصر لفضيلتها او بعصر النبوة
او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم
في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية
وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام
للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عدّ يؤدي
الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي عليه السلام من قرا سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر سورة الهمزة
مكية وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة
يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه
ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان
ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت وطول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان
المخلد هو السعي للآخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادراك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية
نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفيه التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر
لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقائد الزايغة ومنشا الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته
قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرا الكوفيون
غير حفص بضمتين عن النبي عليه السلام من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه سورة الفيل مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما
لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها
الرسول عليه السلام وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف الحاج اليها
فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيا للدخول وعبا جيشه وقدم
الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر
من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل
كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها
الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب
سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه
الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه وكتبن كلها لذلك او لانه روثه عن النبي عليه السلام من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من المسخ والقذف
سورة قريش مكية وآيها اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله

عليهم للتخصيص كأن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون

ويتجرون والمجرور متعلق بما قبله كالتضمين في الشعر اي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليألف قريش ولالف

قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل

وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع

اي برحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام المحترقة وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم

فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام لتسهيل امرها وارأيتك بزيادة الكاف

الذي يكذب بالدين بالجزاء او بالاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم

فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض اهله

وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم

يراءون يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليهم ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين

الدين الموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك

رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ارأيت غفر له

ان كان للزكوة مؤديا سورة الكوثر مكية وآيها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين

وروي عنه عليه السلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ

من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه

فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة

المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما

انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له

في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر سورة الكافرون مكية وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين

قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع

في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف

ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة

الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي

والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم

الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة وقرأ نافع وحفص وهشام بفتح الياء عن النبي عليه السلام من قرأ

سورة قل يا ايها الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر سورة النصر مدنية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك ... بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها تقرب منها

فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وقبائل

العرب يدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه واستغفره

هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم

التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على

ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله عليه السلام لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل

ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه السلام

من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة سورة تبت مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت والتباب

خسران يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه

فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى

فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار بعد اخبار والتعبير

بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني

عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة

والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة

وترك ميتا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل

على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامرأته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وفي جيدها الخبر وهي ام جميل

اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة

الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق الرسول وقرأ عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق

اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها

حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي عليه السلام من قرأ سورة تبت رجوت

ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشأن كقولك

هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد

صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات

عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية

وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول او موادعة لهم

وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان تكون منه واما هذه فتوحيد يقول به ويدعو اليه الله الصمد السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به

على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظة الله للاشعار بان من لم يتصف به

لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها **لم يلد** لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة
والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله او ليطابق قوله **ولم يولد** وذلك لانه لا يفتقر الى شيء
ولا يسبقه عدم **ولم يكن له كفوا احد** اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة لكن لما كان المقصود نفي المكافأة
عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعاطف لان المراد منها نفي اقسام
الامثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة
مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدلها
بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي عليه السلام انه سمع رجلا يقرأها فقال وجبت قيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة **سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس**
بسم الله الرحمن الرحيم **قل اعوذ برب الفلق** ما يفلق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج
من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة
يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من ساير اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية
من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبعي كاحراق النار واهلاك السموم
ومن شر غاسق ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه
اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف
ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللواتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا
سحر النبي عليه السلام في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه السلام ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا فجاء به فقرأهما عليه وكان
كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال
عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد **ومن شر حاسد اذا حسد**
اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز
ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلث
وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي عليه السلام لقد انزلت علي سورتان
ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين **سورة الناس مختلف فيها وآيها ست** بسم الله الرحمن الرحيم **قل اعوذ**
وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام **برب الناس** لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة
في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك
امورهم ويستحق عبادتهم **ملك الناس اله الناس** عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة
قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى
يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة
تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان **من شر الوسواس**

اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة **الخناس** الذي عادته ان يخنس اي يتأخر
اذا ذكر الانسان ربه **الذي يوسوس في صدور الناس** اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر
الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم **من الجنة** بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة **والناس** وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف
الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين عن النبي عليه السلام
من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى كلها تم انوار التنزيل واسرار التأويل

فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين قد وقع الفراغ على يد افقر خلق الله الغني
درويش حسن الكاشي الادرنوي في سنة ست وسبعين والف
بالعز والسعادة والشرف